وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

المرزباني

منزلته في حركة النقد العربي القديم

حسين علي الزعبي





المرزباني

منزلته في حركة النقد العربي القديم



حسين علي الزعبي



المرزباني

منزلته في حركة النقد العربي القديم

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة — دمشق ٢٠١٣م

المرزباني: منزلته في حركة النقد العربي القديم / حسين علي الزعبي .- دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٣م.- ٢٦٤ ص ؛ ٢٤ سم.

(دراسات في النقد الأدبي؛ ٣)

١- ٩٢٤: المرزباني، محمد بن عمران ز ٢- ٨١٠,٩ ز ع ب م
٣- العنوان ٤- الزعبي ٥- السلسل
مكتبة الأسد

في النقد الأدبي
«٣»

$

q p n m l k j i h g M

| { z y x w v u t s r

L قَوْلًا كَرِيمًا ~ }

W


الهيئة العامة
السورية للكتاب

m

ورث القرن الرابع الهجري جهود قرون ثلاثة سابقة، بذلها المهتمون بالشعر من نقاد ولغويين، وشعراء، وأدباء، وخلفاء، ونسوة، يفحصون الأثر الشعري، فيميزون جيده من رديئة.

ويقدم المرزباني هذا الموروث حتى كأنه مرآة للحركة النقدية منذ نشوئها حتى نهاية الفترة التي عاشها، وهي نهاية القرن الرابع الهجري تقريباً.

وللبحث ضرورة، فالمتحري البصير الذي يعكف بتأمله على مؤلفات المرزباني - التي بين أيدينا - يكشف النقاب عن كنز دفين فيها، فهي تحدد الاتجاهات النقدية لأسلافنا - هذا من جهة - ومن جهة ثانية فإن الدراسات النقدية المحدثة يعوزها على العموم الحرص على الدقة والسيطرة على المجموع.

وإذا عرضت ضرورة بحثنا في نتاج المزرباني في هذا النحو، فإنها تشي ضمناً بأن طريق تحرينا لن تكون سهلة.

فالقضايا النقدية التي طرحها المرزباني سواء ما اختاره من آراء أم مجموع نظراته التي تبدو متشعبة متبعثرة، فكلها تشف عن وعي نقدي وتسهم في بناء الحركة النقدية التراثية.

وبسبب المنهج الذي اتخذته استطعت أن أسيطر على عوامل التشعب فيها من خلال تنسيق النويات المستنبطة حول كل اتجاه نقدي محدد.

فقصدت طريقاً عرضت فيها المادة النقدية المتمحورة في موضوع واحد بما فيها الآراء المرزبانية فاستطعت أولاً: أن أحدد الاتجاهات النقدية التي حازت على اهتمامات المرزباني، وثانياً أبرزت مكانة المرزباني النقدية.

وبعد، فإن بحثنا لا يسعى فقط إلى نقل ما هو موجود من آراء نقدية بل يسعى إلى تعميق الفحص فيها، للنفوذ إلى قلب الفكرة التي طمح المرزباني بتقديمها للقارئ.

والبحث يطمح إلى رسم معالم رؤية جديدة، أعمق وأشمل، للفكر النقدي عند المرزباني، انطلاقاً من قراءة جديدة، اقترنت بمنهج متكامل. فقسمت البحث إلى تمهيد وثمانية فصول:

التمهيد

ترجمت به للمرزباني اسمه ونسبه، ومولده ووفاته، واتجاهه الفكري، وشيوخه وتلاميذه. ثم انتقلت إلى الحديث عن منهجه، ففي «معجم الشعراء»، اهتم المرزباني بتعريف الشعراء وإيراد نماذج من أشعارهم. وأوضحت أن النموذج الشعري قد يكون له علاقة بالترجمة، أو يخلو من هذه العلاقة كما عرضت ما استحوذ على تفكيره في أثناء الترجمة من ذكر لعصر الشاعر أو بيئته أو قبيلته، أو ما أطلقه من صفات اجتماعية، أو نقدية انطباعية وتعليلية، أو فيما حدده من مسار عام لشعر الشاعر. أما «الموشح» فهو كتاب نقدي تعليمي هدف مؤلفه إلى ذكر عيوب الشعراء التي نبّه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها، ثم ذكرت أقسام الكتاب وما تخلل هذه الأقسام من عيوب، وأتيت على ذكر بعض الروايات، وهدفت من ذلك إلى إبراز مسار الكتاب، الذي يعد كتاباً خالصاً ودقة الرواية عند المرزباني. أما في نور القبس فقد أوردت عدة نماذج التي خلالها يتضح المنهج الذي اختطه المرزباني في مؤلفه، فالترجمة قد تطول، وقد تقصر، فيذكر فيها أخباراً ونوادر تتعلق بالمروي له بعد أن يذكر اسمه ونسبه. لا يربط هذه الأخبار سوى شخصية المترجم له.

الفصل الأول:

عرضت فيه مفهوم النقد الانطباعي الذي قام على الأحكام الذاتية التلقائية من حب أو استكراه للأثر الأدبي، مبتعداً عن التعليل، وباحثاً عن تقديم شاعر من الشعراء على أنه أشعر الناس أو أشعر أهل عصره، أو زمانه، أو أهل الجاهلية، أو الإسلام أو الإقليم، أو القبيلة، أو أبناء النعمة. ثم انتقلت إلى الحديث عن الموازنة الثنائية، فقصدت الموازنة بين شاعرين اثنين وتفضيل أحدهما على الآخر بصيغة انطباعية، والتفضيل قد يكون عاماً، أو في بعض شعر الشاعر، أو في موضوعين مختلفين، أو بسبب نزعة قبلية أو في مضمون الشعر، أو في غرض من الأغراض، أو بسبب صفة سلبية في شعر أحدهما، أو بأحد الفنون المعروفة كفن النقائض، أو فني الجِدِّ والهَزْل، أو بين قصيدتين. وبعد ذلك تحدثت عن المفاضلة بين الأبيات في الأغراض الشعرية لتقديم شاعر على سواه، أو لتقديم بيت أو أبيات على أنها أفضل ما قيل في الغرض نفسه، فثبتنا على لسان النقاد أفضل ما قيل في المديح والفخر والهجاء والرثاء والغزل والزهد والحكمة. ثم انتقلنا إلى الحديث عن التفضيل في نطاق الموضوعات الجزئية، وارتأينا أن حدود النظرة النقدية قد تضيق، فتطلق حكماً نقدياً على أحسن ما قيل في شيء، أو في صفته. ثم تحدثت عن التفاوت في شعر الشاعر نفسه، فيقدم النقاد قصيدة على أنها من أشعر شعر الشاعر، أو يتفاوت شعر الشاعر في طرقه للمعاني، أو يتفاوت في قصيدة واحدة، أو يحكمون على معيار التفاوت في شعر الشاعر جملة. ثم ختمت الفصل ببيان الهدف من إنشاء هذا الفصل، وهو إبراز ظاهرة النقد الانطباعي التي رافقت حركة النقد العربي حتى نهاية الفترة التي عاش بها المرزباني وأن المرزباني يقف موقفاً إيجابياً من هذا النقد لإسهاماته فيه، وأن النقاد استعملوا صيغتين في أحكامهم: الأولى صيغة التفضيل؛ والثانية التفضيل الضمني.

الفصل الثاني:

لقد تحدثت فيه عن النقد التعليلي، وأوضحت أن النقد الانطباعي لم يعد مقنعاً وهو سبب من الأسباب التي دفعت النقاد إلى تعليل الموازنات وبيان السبب في تقديم شاعر على آخر. وأشرت إلى أن هذا النوع من النقد تبدى في حديث النقاد عن أغراض شعرية منوعة أو في بعض العيوب، أو في بعض الموضوعات الجزئية. وعرضت هذه الموازنات بإطار ثنائي وجماعي. ولم أقصر حديثي على النقل وإنما قمت بتأويل الآراء النقدية جميعها. فرأيتهم يحتكمون إلى معايير نقدية، فيؤثرون الشعر الذي يلائم معناه غرضه أو يأتلف لفظه ومعناه ويعيبون كل شعر غير ملائم أو مؤتلف، أو قصر في لفظه ومعناه، أو أخفق في التعبير عن صورة حسية أو عدل عن الفضائل الخاصة بمديح الرجال، كما وجدت معايير أخرى كالصدق الخلقي، وصدق العاطفة والنزعة الطبقية. ثم تحدثت عن المصطلحات النقدية التي أطلقت على الشعراء أو القصائد: فحل، مفلق، سابق، مصلٍّ وسكيت، مُغلّب، مخلي، هزروف مقلّدات، نثول، يتيمة. فعللت معنى المصطلحات متكئاً بشكل أساسي على سياق النصوص التي وردت عند المرزباني. وختمت الفصل بالمعايير النقدية التي استنتجتها. وما قدمه المرزباني في هذا المجال يقدمه ناقداً تعليلاً فهو يدين بمعيار الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج، ومعيار الصدق الخلقي. ويشارك الأصمعي وابن سلام الجمحي في إطلاق مصطلحات نقدية على الشعراء أو القصائد.

الفصل الثالث:

عرضت في هذا الفصل تعريف النقد التاريخي، وما آل إليه في تمييز الشعر صحيحه من منحوله، وعرفت عمل الرواية، وطرق الرواية، وجهود المرزباني في التحقق من نسبة الأثر الشعري إلى قائله، أو في تصحيحه للاسم والنسبة. ثم عرفت

الانتحال وعرجت على أسبابه كما وردت في مؤلفات المرزباني. وتحدثت - كذلك - عن السرقات الشعرية وما تولّد عنها من مصطلحات نقدية كالنقل، والاحتذاء، والأخذ، والنسخ، والإغارة، والمسخ، والاجتلاب. وأشرت إلى مشاركة المرزباني النقاد الآخرين رؤيتهم في حسن السرقة أو قبحها، وختمت حديثي ببيان منزلة المرزباني في هذا الجانب النقدي، فهو لم يكن راوياً فقط، وإنما شارك في مجال السرقات الشعرية ولا سيّما دفاعه عن الفرزدق وكُثَيِّر عزَّة في مجال السرقات.

الفصل الرابع:

تناولت في هذا الفصل معيار الاستخدام السليم، فعرفته ثم انتقلت إلى الحديث عن مقياسَيْ هذا المعيار وهما:

أ - **النقد المتصل بآداب اللياقة:** فقد تطرقت إلى مقولات متعددة عرضها المرزباني في هذا المجال، وهي تعني أن يلتزم الشاعر أمام ممدوحه أو المتغزل بها في الإعراض عن الصفات الجسمية أو المعنوية التي لا تليق بهما.

ب - **النقد التسلطي:** وعنيت به أن يخضع الشاعر لقواعد اللغة والنحو، وأوردت مجموعة من الشواهد أتى على ذكرها المرزباني خرجت على هذه القواعد، مما ولّد الضرورات الشعرية التي أوردها المرزباني على نَحْوٍ متتال. وختمت الفصل بإبراز العلاقة في معيار آداب اللياقة بين المبدع وحساسية المتلقي، وبالإشارة إلى الخلاف الذي دار بين اللغويين من جهة والشعراء والنقاد من جهة ثانية، وكذلك فيما توصل إليه النقاد في الضرورات الشعرية مما هو جائز وغير جائز ومما هو حسن وغير حسن. وفي دور المرزباني الذي كان يحرص على إيضاح الخبر المبهم ورأيت أن ذلك أثرٌ من آثار جنوحه التعليمي.

الفصل الخامس:

تناولت فيه عيوب الشكل، فعرضت عيوب اللفظ من وحشي ومعاظلة، ثم قدمت جهود النقاد في عيوب القافية من إقواء وإكفاء وإبطاء وسناد وتضمين ورمل، وأشرت إلى اختلاف النقاد في بعضها. ثم عرضت العيوب التي قدمها المرزباني نقلاً عن قدامة كعيب التخليع والعيوب التي أرجعها قدامة إلى العناصر الأربعة المركبة:

أ - عيوب ائتلاف المعنى والقافية.

ب - عيوب ائتلاف اللفظ والوزن.

ج - عيوب ائتلاف المعنى والوزن.

د - عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى.

وختمت الفصل بإبراز حرص المرزباني على عرض عيوب الشعر مع الإشارة إلى ما قدَّمه في هذا المجال.

الفصل السادس:

تناولت في هذا الفصل عيوب الأغراض الشعرية - كما وردت عند المرزباني - من مديح، وهجاء وغزل، ووصف، ورثاء، وفخر. وأولت الآراء النقدية جميعها ثم أشرت إلى خروج الغرض عن معناه الأصلي، ثم عرضت عيوب المعاني التي اتكأ فيها المرزباني على قدامة، ثم عرجت على ظاهرة الصدق والكذب في القول الشعري. وختمت الفصل بالمعايير التي استنتجتها في نقد الأغراض الشعرية، ووضحت أن نقد المرزباني يقوم على معياري مراعاة مقتضى الحال والأسلوب الشعري، وأنه ممن يميلون إلى الصدق الواقعي ويخالفون مفهوم قدامة بن جعفر في المغالاة.

الفصل السابع:

تحدثت في هذا الفصل عن اللمحات النقدية التي وجدتها في ثنايا كتب بعض المحدثين عن المرزباني ومؤلفاته. وممن كتب هيوارث في مقدمة تحقيقه لكتاب الأوراق للصولي، وشوقي ضيف في العصر العباسي الأول، ومحمد زغلول سلام في تاريخ النقد الأدبي و البلاغة حتى القرن الرابع الهجري، وزكي مبارك في النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ومصطفى الشكعة، في مناهج التأليف عند العرب، ورجاء عيد في التراث النقدي، وبدوي طبانة في دراسات في نقد الأدب العربي ومصطفى حسين في رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع الهجري، وأمجد الطرابلسي في نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب. ولم أجد سوى دراسة واحدة خصت المرزباني والموشح، وقد اهتم صاحبها بعصر المرزباني وحياته، ثم تعرض للآراء النقدية فصنفها بحسب أصحابها من علماء ونحاة ورواة ونقاد، وبعد ذلك تحدث عن المرزباني والموشح وما يهمنا قوله إن هذه الرؤى النقدية أتت نتفا ينقص بعضها الدقة والموضوعية، سوى دراسة سلطان التي هي جزئية من جهة وينقصها التأويل والتعليل من جهة ثانية، فكان من الضروري أن نناقش هذه الآراء، فنوافق صاحب الرؤية السديدة ونعالج الآراء التي لا توافق بحثنا.

الفصل الثامن:

تحدثت في هذا الفصل عن منزلة المرزباني النقدية، وما قدمه على صعيد كل اتجاه نقدي، فبرزت آراؤه النقدية الخاصة به، وظهرتْ جلياً مشاركته غيره من النقاد في النقد الانطباعي و التعليلي والتاريخي، والمضمون، ومعيار آداب اللباقة، وبرزت شخصيته التعليمية في أكثر من موطن من مواطن البحث عندما كان يفسر بعض الأخبار، فيزيل إبهامها.

وبهذه الفصول التي قدمت، نكون قد عالجنا الموروث النقدي للمرزباني وأبرزنا قيمتها النقدية في حركة النقد العربي القديم، من خلال كتبه التي وصلت إلينا كنور القبس المختصر عن المقتبس، و«معجم الشعراء»، و كذلك كتاب «الموشح» الذي جمع أكثر الأخبار النقدية المتعلقة بالشعراء سواء أكانوا من الشعراء الجاهليين أم الإسلاميين أم المحدثين في العصر العباسي. وهو بذلك يعد من أهم الكتب النقدية التي تؤرخ لنشأة النقد العربي القديم و تطوره وذلك من خلال الروايات النقدية التي خصت كلَّ شاعر من الشعراء من الذين ذكرهم.

و قبل أن أفرغ من هذه المقدمة، لا يفوتني أن أذكر بالوفاء الجهود التي بذلها أستاذي الدكتور المرحوم فهد عكام الذي رافق خطوات هذا البحث، و ما حباني به من رعاية و تشجيع، رحمه الله، وأسكنه فسيح جناته.

والله الموفق

التمهيد

أولاً- ترجمة المرزباني:

أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعد بن سعيد بن عبد الله الكاتب المعروف بالمرزباني، خراساني الأصل بغدادي المولد والوفاة[١].

ولقد اختلف في تاريخ مولده، كما اختلف في تاريخ وفاته، فقد ذكر الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) أنه ولد سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة[٢]، أما ابن النديم (ت ٣٨٥هـ) فقد حدد ولادته سنة سبع وتسعين ومائتين للهجرة، وفي وفاته نص في فهرسه على أنه توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة[٣]، والخطيب البغدادي يذكر أنه توفي سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[٤]، وياقوت (ت ٦٢٦هـ) في معجم الأدباء حدد ولادته سنة سبع وتسعين ومائتين، ونقل القولين في وفاته، إذ قال: توفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. وقال الخطيب: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة[٥].

ويرجح عز الدين إسماعيل رواية ابن النديم. وربما كانت رواية ابن النديم هي الأرجح، فقد كان معاصراً للمرزباني وتوفي بعده[٦]. بينما يرجح منير سلطان

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص: ٢٦٨، ابن النديم، الفهرست، ص ١٩٦. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جزء ٣/ ١٣٥.

(٢) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد جزء ٣/ ١٣٥.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ١٩٦.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جزء: ٣/ ١٣٥.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩.

(٦) إسماعيل (عز الدين)، المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، ص ٢٣٩. دار المعارف بمصر. ط٢. تا: ١٩٨٠.

رواية الخطيب «ويوثق رواية الخطيب أنَّ مصدرها هلال بن المحسن التنوخي تلميذ المرزباني، كما يوثقها ذيوعها»[1].

وقد بخلت المصادر الأدبية في إعطاء صورة مفصلة عن أسرته سوى أن «أباه عمران نائب صاحب خراسان ببغداد، والفرس لا تطلق لقب المرزباني إلاَّ على الرئيس فيهم»[2]. وما نجده - كذلك - في مدح أبيه قصيدة رواها المرزباني في ترجمته لمحمد بن محمد الشنوفي، حين قال: «وجدت له قصيدة مدح فيها أبي أبا عليٍّ عمران بن موسى رحمه الله تعالى»، هي عندي من أجود شعره، يقول فيها:

إلى المرزبـانيّ الهـمام أخـي النـدى ... أليف السَّدَى عمرانُ والعرْفُ صاحبُهْ

سـليل ذرا العليـاءِ موسـى فجـوده ... كبحـرٍ أتـى العـافين تجـري متاعبُـهْ

غزير الحجا يُزهى بـه كـلُّ ذي حجـاً ... كـما فخـرت بالمرزبـان مرازبُـهْ

تقيَّـلَ مـن موسـى وآبائـه النـدى ... وبالـسَّلف الأمجـادِ جلّـت ضرائبُـهْ

فتـى للحيـاء الجـمّ خِـدن وللنـدى ... عقيـدٌ وفي الآداب تعلـو مراتبُـهُ

أغـرّ كـأنَّ الجـودَ غيـثٌ بكفـهِ ... أناملُـه للمعتفـين سـحائبُهْ

فـلا يعْـدَمَنِّي منـك مـوطنُ نعمـةٍ ... فعنـدَك أوطـارُ النـدى وملاعبُـهْ

وصِلْني بجيش مـن نـداك مُكـردَس ... مكارِمُـكَ الغـرُّ الحـسانُ مواكبُـهْ[3]

والشاعر في قصيدته يمدح عمران وآباءه وأجداده بالكرم، وبأنه سليل أمجاد، وصاحب آداب.

---

(١) سلطان (منير)، المرزباني والموشح، ص ٤٨. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ط: ١. تا: ١٩٧٨.

(٢) سلطان (منير) الموشح والمرزباني ص ٤٨. والجواليقي: المُعَرَّب /٣٦٥/ تحقيق أحمد محمد شاكر طبعة دار الكتب. تاريخ ١٩٦٩.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٢٦.

والمرزباني «قد جمع إلى التشيع ميلاً أصيلاً إلى الاعتزال»[1]. وكان من الطبيعي أن تبرز أيديولوجيته من خلال تراجمه في معجم الشعراء. ففي ترجمته لعدي بن حاتم الطائي، قال: «وكان مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في حروبه، وهو القائل لمعاوية:

يحاولني معاويةُ بن صخر وليس إلى التي يبغي سبيلُ
يذكّرني أبا حسنٍ عليّاً وحظّي في أبي حسنٍ جليلُ»[2]

وفي ترجمته لمالك بن أعين الجهني، قال: «قال يرثي جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنهم، وتوفي في سنة ثمان وأربعين ومائتين:

فيا ليتني ثمّ ياليتني شهدتُ وإن كنتُ لم أشْهَدِ
فآسيت في بثّه جعفراً وساهمت في لطفِ العُوَّدِ
وإن قيل نفسُكَ قلْتُ الفداءَ بِكفٌّ المنية بالمرصد
عشيّةُ يدفَنُ فيه النّدى وغُرَّةُ زُهْر بني أحمد

وله في أبي جعفر الباقر محمد بن علي رضوان الله عليهما:

وإن قيل أينَ ابنُ بنت النّبيْ نلت بذلك فرعاً طوالا
نجوم تهلّل للمُدْلجين جبالٌ تُوِّرث عِلْماً جبالا[3]

والأمثلة كثيرة ومتعددة في معجم الشعراء فستشف من خلالها إيديولوجية المرزباني الشيعية[4].

---

(١) ابن الجوزي، المنتظم ٧: ١٧٧.
(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٨٤.
(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٦٨.
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٢٣، ٤٥،٥١، ٨٤، ١١٣، ١١٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٩، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٩، ١٨٤، ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٠١، ٣٥٠، ٣٨١، ٤٠٨، ٤٤٧، ٤٦٧.

أما بشأن ميله إلى الاعتزال فقد روى أبو حيان التوحيدي: «ولا طرب الزُّهْريّ على خَلوبَ جارية أبي أيوب القطان إذا أَهَلَّت واستَهَلَّتْ ثم اندفعت وغنَّتْ:

إذا أَرَدْتُ سُلُوّاً كان ناصِرَكم قلبي وما أنا مِن قَلْبي بمنْتَصِرِ
فأكثِروا أو أقلّوا من إساءتكم فكلٌّ ذلك محمولٌ على القَدَرِ
وضعتُ خَدّي لأدنى مَنْ يطيف بكم حتّى احْتُقِرْتُ وما مِثْلي بِمُحْتَقَرِ

وأبو عبد الله المرزباني شيخنا إذا سمع هذا جنَّ وَّاستغاث، وشقَّ الجيب وحولقَ (١) وقال: يا قوم أما ترون إلى العباس بن الأحنف، ما يكفيه أن يفجُرَ حتى يكْفُرَ؟ متى كانت القبائحُ والفضائحُ والعيوب والذنوب محمولة على القدر؟ ومتى قدَّر هذه الأشياء وقد نهى عنها، ولو قدَّرها كان قد رضي بها، ولو رضي بها لما عاقب عليها، لعن الله الغزل إذا شِيْبَ بمجانة، والمجانة إذا قُرِنَتْ بما يَقْدَحُ في الديانة(٢).

وذكر الخطيب البغدادي أنَّ المرزباني حدَّث عن «أبي القاسم البغوي وأبي حاتم محمد بن هارون الحضرمي وأحمد بن سليمان الطوسي وأبي بكر بن دريد وأبي عبيد الله نفطويه وأبي بكر الأنباري ومن في طبقتهم»(٣).

والمرزباني يتحدث في معجمه عن شيخين من شيوخه: (ابن دريد) الذي ذكره الخطيب فيقول عنه: «(محمد) بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزدي. شيخنا رضي الله عنه، وُلِدَ بالبصرة ونشأ بعمان، وكان أهله من رؤساء أهلها وذوي اليسار منهم، ثم تنقل في جزائر البحر وفارس، ثم ورد

---

(١) حولق: أي أكثر من قول لا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

(٢) التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة، الجزء الثاني، ص ١٧٧.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد الجزء ٣، ص ١٣٥.

مدينةَ السلام بعد أن أسنَّ، فأقام بها إلى أن توفي في سنةِ إحدى وعشرين وثلاثمائة، وكان رأس أهل العلم والمتقدم في الحفظ للغة والأنسابِ وأشعارِ العرب، وهو غزيرُ الشعرِ كثيرُ الرواية»[1] وعن شيخه الصولي يقول: «محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول أبو بكر. شيخنا رحمه الله تعالى. نادم المكتفي بالله فكان واسع الرواية حسنَ الحفظ للآداب والافتنان فيها، حاذقاً بتصنيف الكتب ووضع الأشياء منها مواضعها، وله أبوَّة حسنة، كان جده صول وأهله ملوكَ جرجان، ثم رأس أولاده بعده في الكتابة وتقلُّدِ الأعمالِ الجليلة السلطانية، وتوفي أبو بكر بالبصرة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، وشعره كثير»[2].

ويشير المرزباني إلى شيخ روى عنه، وهو إبراهيم بن محمد بن شهاب أبو الطيب العطار وقال عنه: «أحد مشايخ المتكلمين والفقهاء على مذهب العراقيين، عاش في منزلي أربعين سنة أو أكثر منها معاشرة متصلة غير منقطعة»[3].

أمّا تلاميذه فقد أشار إليهم الخطيب البغدادي وهم: أبو عبد الله الصيمري وأبو القاسم التنوخي وعلي بن أيوب القمي والحسن بن علي الجوهري ومحمد بن المظفر الدقاق وغيرهم»[4].

ومن تلاميذه الشريف الرضي (ت ٤٠٦هـ) الذي حدَّث عنه يوم الغدير فنقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وأخذل من خذله وانصر من نصره - ويقول

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٢٥.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٣١.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جزء ٦، ص ١٦٧.

(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، جزء ٣، ص ١٣٥.

الشريف الرضي. أخبرنا بذلك أبو عبيد الله المرزباني في جملة ما أخبرنا به من رواياته ومصنفاته»[1].

أما مؤلفاته فهي كثيرة ومتنوعة فله أخبارُ الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، أولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز عشرة آلاف ورقة[2]، أخبار أبي تمام نحو مائة ورقة[3]، أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة أكثر من مائة ورقة[4]، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً نحو خمسمائة ورقة[5]، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم نحو مائتي ورقة[6]، أخبار عبد الصمد بن المعذَّل الشاعر[7]، أخبار محمد بن حمزة العلاّف نحو مائة ورقة[8]، أشعار النساء[9] نحو ستمائة ورقة الأنوار والثمار فيما قيل في الورد والنرجس وجميع

---

(١) الشريف الرضي، المجازات النبوية، ص ١٦٥، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط: الحلبي، تا: ١٩٣٧.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٨. والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٢.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٨، والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩، وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٧. والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٧. والقفطي، إنباه الرواة، جزء ٣، ١٨٣.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩. وابن النديم الفهرست، ص ١٩٧.

(٨) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٦٩. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٨.

(٩) حققاه سامي العاني وهلال ناجي، ط: جامعة المستنصرية - بغداد، ت: ١٩٧٤م.

الأنوار من الأشعار وما جاء فيها من الآثار والأخبار، ثم ذكر الثمار وجميع الفواكه وما جاء فيها(١)، مستحسن النظم والنثر(٢)، تلقيح العقول أكثر من مائة باب وهو أكثر من ثلاثة آلاف ورقة(٣)، الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين(٤)، شعر حاتم الطائي(٥)، كتاب الأزمنة ألف ورقة، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحر والغيوم والبروق والرياح والأمطار، وأوصاف الربيع والخريف وطرفاً من الفلك وأيام العرب والعجم وسنينهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار(٦)، كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم نحو ألف ورقة(٧)، كتاب الدعاء نحو مائتي ورقة(٨)، كتاب ذم الحُجَّاب نحو مائتي ورقة(٩)، كتاب ذَمِّ الدُّنيا نحو خمسمائة ورقة(١٠)، كتاب الشَّباب والشَّيب نحو ثلاثمائة

---

(١) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٦٩ و٢٧٠. وابن النديم الفهرست، ص ١٩٧.

(٢) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧٠.

(٣) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧٠. وابن النديم الفهرست، ص ١٩٧ والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٤) ياقوت الحموي، معجم الأدباء،جزء: ١٨، ٢٧٠.

(٥) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧٠، وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٧.

(٦) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧٠. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٦. والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣ ص ١٨٣.

(٧) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، جزء: ١٨، ٢٧٠. وابن النديم، الفهرست، ص ١٩٧، والقفطي، إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٨) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٦. وإنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٩) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٧.

(١٠) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٨.

ورقة[١]، كتاب الزُّهد وأخبار الزُّهَّاد[٢]، كتاب الشعر وهو جامع لفضائله وذكر محاسنه وأوزانه وعيوبه، وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك[٣]، كتاب الفرح نحو مائة ورقة[٤]، كتاب العبادة نحو أربعمائة ورقة[٥]، كتاب المُحْتَضَرِينَ نحو مائة ورقة[٦]، كتاب المراثي نحو خمسمائة ورقة[٧]، كتاب المغازي ثلاثمائة ورقة[٨]، كتاب نسخ العهود إلى القضاة نحو مائتي ورقة[٩]، كتاب الهدايا نحو ثلاثمائة ورقة[١٠]، كتاب المديح في الولائم والدعوات نحو خمسمائة ورقة[١١]، المُتوّج في العدل وحسن السيرة أكثر من مائة ورقة[١٢]،

---

(١) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٨، وإنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٢) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٣) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة جزء: ٣، ص ١٨٢.

(٤) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠. والفهرست، ص ١٩٨. وإنباه الرواة جزء: ٣: ص ١٨٣.

(٥) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٠ و ٢٧١ والفهرست،ص ١٩٨. وإنباه الرواة جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٦) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء: ٣: ص ١٨٤.

(٧) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء: ٣: ص ١٨٣.

(٨) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨.

(٩) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨.

(١٠) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣، ص ١٨٢.

(١١) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(١٢) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

المرشد في أخبار المتكلِّمين نحو مائة ورقة[١]، المستطرف في الحمقى والنَّوادر نحو ثلاثمائة ورقة[٢]، المُشَرِّف في حِكَمِ النبيِّ r وآدابه ومواعظه ووصاياه[٣]، المُفصَّل في البيان والفصاحة نحو ثلاثمائة ورقة[٤]، المزخرف في الإخوان والأصحاب أكثر من ثلاثمائة ورقة[٥]، المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم فيه نحو خمسة آلاف اسمٍ ألف ورقة[٦]، المقتبس في أخبار النحويين البصريين وأوَّل من تكلَّم في النحو وأخبار القرَّاء والرواة من أهل البصرة والكوفة نحو ثمانين ورقةٍ[٧]، الموشح فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسرٍ ولحنٍ وعيوب الشعر ثلاثمائة ورقةٍ[٨]، المنير في التَّوبة والعمل الصالح نحو أربعمائة ورقة[٩]، المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهليةَّ والإسلام ودياناتهم ونحلهم نيفٌ وخمسة آلاف ورقةٍ[١٠]الموثقَّ في أخبار الشعراء الجاهليِّين والمخضرمين والإسلاميِّين على

---

(١) معجم الأدباء جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨. وانباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٢) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٣) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٤) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٥) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٦) حقق الجزء الموجود منه الأستاذ عبد الستار أحمد فراج.

(٧) حققه رودلف زلهايم.

(٨) حققه محمد علي البجاوي. وورد في معجم الأدباء (الموسع) وفي الفهرست باسم (الموسخ) ونعتقد أنهما من قبيل الأخطاء التي وقع فيها النساخ.

(٩) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٨. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(١٠) معجم الشعراء، ص ٥٠٧. ومعجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧١. والفهرست، ص ١٩٦. وإنباه الرواة جزء: ٣، ص ١٨٢.

طبقاتهم نيف وخمسة آلاف ورقة[١]، الواثق في وصف أحوال الغناء وأخبار المغنِّين والمغنِّيات الإماء والأحرار[٢]، كتاب التهاني نحو خمسمائة ورقة[٣]، وكتاب التسليم والزيارة[٤]، وحب الدنيا مائة ورقة[٥]، وكتاب التعازي[٦]، وكتاب المواعظ وذكر الموت أكثر من خمسمائة ورقة[٧]، المعُلَّى في فضائل القرآن[٨]، أخبار فاطمة (رضي الله عنها)[٩]، أخبار ملوك كندة[١٠] نحو مائتي ورقة، أخبار أبي حنيفة النعمان بن ثابت نحو خمسمائة ورقة[١١]، أخبار شعبة بن الحجاج[١٢]، أخبار أبي عبد الله بن حمزة العلوي نحو مائة ورقة[١٣] وهي كتب مفقودة سوى ما أشرنا إليه في الحواشي.

---

(١) نور القبس المختصر من المقتبس، ص ٣١٦. ومعجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٢. والفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٢.

(٢) معجم الأدباء، جزء ١٨، ص ٢٧٢. والفهرست، ص ١٩٦. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٢.

(٣) الفهرست، ص ١٩٧. وإنباه الرواة، جزء ٣: ص ١٨٣.

(٤) إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣. والفهرست، ص ١٩٧.

(٥) إنباه الرواة، جزء: ٣، ص ١٨٣.

(٦) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٧) إنباه الرواة، جزء ٣، ص ١٨٤.

(٨) المصدر نفسه، جزء ٣، ص ١٨٣.

(٩) المرزباني، الموشح، منير سلطان، ص ١٧٩.

(١٠) الفهرست، ص ١٩٨.

(١١) الفهرست، ص ١٩٧.

(١٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(١٣) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

ثانياً- منهج المرزباني في التأليف:

اهتم المرزباني في معجمه الذي بين أيدينا، بتعريف الشعراء، وتقديم نماذج لأشعارهم، وقد يكون للنموذج الشعري علاقة بتعريف الشاعر، ففي ترجمته للمستوغر واسمه (عمرو) بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن نعيم ويكنى أبا بيهس.

قال: «مات في صدر الإسلام، ويقال إنه عاش إلى أول أيام معاوية، وهو أحدُ المعمرين يقال إنه عاش ثلاثين وثلاثمائة سنة... وهو القائل:

ولقد سئمت منَ الحياة وطولها ... وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة أتت من بعدها مائتان لي ... ازددت من عدد الشّهور سنينا(١)

وفي ترجمته لقراد بن حنيفة التميمي، قال: «جاهلي، تزوج امرأة طلقها حاجب بن زرارة وقال:

وطلّق حاجبٌ في غير شيءٍ ... حليلته ليخلفهُ قُرَادُ

فأصبح زوجُها منها بعيداً ... مكان السّيف من طَرْف الغمادِ(٢). (٣)

ونرى النموذج الشعري أحياناً يخلو من علاقته بتعريف الشاعر. ففي ترجمته (لهلال) بن صنعاء التميمي، قال: «إسلامي من أهل اليمامة يقول:

لا يستوي إنْ كنت لا بدَّ عازماً ... كريمٌ إذا أدنيتَه ولئيمُ

إذا ما غدا مني غريمٌ بحقّه ... تأوَّ بني يرجو القضاءَ غريمُ»(٤)

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٣.

(٢) في البيت إقواء.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٠٦.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٥٩.

ونرى أنّ ما قدمناه في علاقة النموذج الشعري بتعريف الشاعر تارة وبخلو النموذج من هذا الخيط تارة أخرى، منهج واضح، نسقطه على كلّ النماذج الشعرية التي أوردها المرزباني في معجمه.

ونجده في المعجم يشير إلى عصر الشاعر صراحة في مواقع كثيرة: قديم(١)، جاهلي قديم(٢)، أحد المعمرين(٣)، جاهلي(٤)، مخضرم(٥)، إسلامي(٦)، محدث(٧)، محدث متأخر(٨).

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٨، ١٠، ٢٧، ٣٩، ٥٦، ٢٠٢، ٢٣٣، ٢٩٤.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ١٨، ١٩، ٢٠، ٧٥، ٨٣، ١٧٢، ٢٥٨، ٢٩٤، ٤٣٦.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ١٧، ٢٢، ٢٦١.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٩، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٠، ٢١، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٥، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ٨٥، ٨٨، ١٠٣، ١١١، ١١٥، ١١٦، ١٢١، ١٢٥، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٤، ١٦١، ١٦٣، ١٦٦، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٩١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨،٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٦،٣١١، ٣٣٠، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٧٢، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ١٥، ٦٤، ٦٥، ٨٥، ١١٢، ١١٦، ١٨٨، ٢٢٦، ٢٣٨، ٢٤٠، ٢٦٢، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٥، ٣٠٣، ٣٣٥، ٤٣٩، ٤٧٣.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٤٧، ٥٢، ٦٦، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٧٧، ٨٧، ١١٣، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٢، ١٨٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٥، ٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٩، ٣٢٣، ٣٣٧، ٣٤٤، ٣٥٠، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٧٦، ٥٠٥.

(٧) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٩٢، ٩٤، ١٠٧، ١١٩، ١٢٩، ١٥٩، ١٧٢، ١٩٣، ١٩٤، ٢٠٩، ٢٧٧، ٢٩٣، ٢٩٩، ٣٣٣.

(٨) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ١٢٠، ١٦١، ١٩٤، ٢٩٠، ٣٢٨.

وفي أماكن أخرى نستدل على عصر الشاعر من خلال التعريف به، وعلى سبيل المثال قوله: مدح الرشيد[١]، كان أيام المهدي[٢]، وزير المهدي[٣]، له مع أمير المؤمنين[٤] عليٍّ خبر، أدرك الإسلام وأسلم[٥]، قَدِمَ على رسول الله r [٦]، أحد الخوارج[٧]، لما أوقع بالبرامكة[٨]، حضر العطاء في أيام عمر[٩]، هاجى الفرزدق[١٠]، هاجى جريراً[١١]، له مع المأمون خبر وبقي إلى أيام المتوكل[١٢]، مدح المأمون[١٣]، وكان لاصقاً بالمأمون[١٤]، وكان يلجأ أحياناً إلى ذكر وفاة الشاعر[١٥].

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص: ٣٥٥، ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٦١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٩٥.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٣٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٤٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٤٨ و ٤٤٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ٤٦٢.

(٩) المصدر نفسه، ص ٤٦٠.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٧٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٥١.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٦٣.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٥.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٦، ٤٠٩، ٤١٠.

وكان يعرج أحياناً على ذكر بيئات الشعراء: بصري[١]، كوفي[٢]، بغدادي[٣]، حجازي[٤]، شامي[٥]، جزري[٦]، بدوي[٧]، أحد شعراء البحرين[٨]، من شعراء خراسان[٩]، من أهل أصبهان[١٠]، مدني[١١]، من أهل مصر[١٢]، سندي[١٣].

ومما أشار إليه قبيلةَ الشاعر: من الأوس[١٤]، من بني تميم[١٥]، من بني حويرثه[١٦]، وفي المعجم إشارات كثيرة إلى ذلك[١٧].

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٠، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٤٧، ١١٦، ١٢٣، ١٥٩، ١٦٤، ١٧٢، ١٨٠، ٢١٠، ٢٢٦، ٢٧٠، ٢٩٠، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٣٠، ٣٤٠، ٣٥٦، ٣٧٤، ٤٠٧، ٤٥٧، ٤٥٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨، ١٠٨،١٣٦، ١٣٧، ١٧٧،١٨٨، ٢٠٩،٢١١، ٢١٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٧٤، ٣٩١، ٣٩٥، ٤٠٥، ٤٢٨، ٤٥٠، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٨٥، ٤٨٨، ٤٩٣، ٥٠٤، ٢٩٦، ٣٠٤، ٣٥٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٩، ١٧٦، ٣٢٨، ٣٥٩، ٣٧١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٥، ٤٦، ٧٥، ٩٢، ١١٢، ٢٣٥، ٢٦٨، ٢٩٩، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٤٦، ٣٥١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩، ٣١، ١١٢، ١٢٠، ١٥٨، ١٧٢، ٢١٧، ٢٤٤، ٥٠٥، ٤١٤، ٤١٨.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٨، ٦٩، ٧٤، ١٠٨، ١٣١، ٣٩٨، ٤٧٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٦٤. أو (أعرابي) ٢٠٩، ٣٣٣، ٣٣٤.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٦٧، ٢٠٧، ٢٦٣، ٤٨٨.

(٩) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٩، ٥٠، ٩١، ١٢١، ١٤٠، ٢٣٦، ٣٢٩، ٤٢٢.

(١٠) المصدر نفسه، ص ١٣٩، ١٤٠، ٤٠٢

(١١) المصدر نفسه، ص ٧٧، ٢١٥، ١٧٤: من أهل المدينة، ٢٧٦، ٣٤٦، ٣٤٩.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٧، ٤١٢، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣٠، ٤٥٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٨٥.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(١٦) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(١٧) المصدر نفسه، ص ٥٢، ٥٣، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٦، ٨٣، ٩١، ١٠٠، ١١٦، ١٥٩، ١٦٣، ١٧٢، ١٨٨، ٢٠٨، ٢٢٥، ٢٢٣، ٢٤٠، ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٦٤، ٣٠٤، ٣٠٥.

وأطلق صفاتٍ على بعض الشعراء تربطهم بأسماء الخلفاء: رشيدي[١]، مأموني[٢]، معتصمي[٣]، متوكلي[٤].

وهو يشير أحياناً إلى أيديولوجية الشاعر، كان يتشيع أو شيعياً[٥]، أو كان من أنصار معاوية[٦]، أو كان خارجياً[٧]، أو كان هواه مع ابن الزبير[٨].

ومما أشار إليه الوراثةُ في القول الشعري، ففي ترجمة (الفُرَيص) بن ثريان المُرّي، قال: هو عم ابن ميادة واسمه الرَّماح بن أبرد بن ثريان، وأم فُريص والعوثبان وأبرد سُلْمى بنت كعب بن زهير بن أبي سُلمى، وكان العَوْثبان وفريص شاعرين، ويقال: إنّ الشعر أتى ابن ميادة وأعمامه من قبل زهير بن أبي سلمى[٩].

ومما أطلقه على الشعراء من صفات في أثناء تراجمهم صفة الفارس، وهو مصطلح مرتبط بالفروسية والشجاعة ففي ترجمته ليعقوب بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، قال عنه «فارس شجاع»[١٠] وكان يذكر أحياناً

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٠، ١١٩، ١٢٩، ١٨٠، ٢١٦، ٢٩٩، ٣٣٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩، ٣٥٨.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٧، ٣٧١، ٣٧٣، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٨٤، ٢٩٠، ٣٢٨، ٣٧٧، ٣٧٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٣، ٤٥، ٥١، ٨٤، ١١٢، ١١٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٨، ١٨٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٧٢، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٢١، ٣٨١، ٣٥٠، ٣٨٢، ٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٨، ٤٢٣، ٤٢٨، ٤٤٧، ٤٦٦، ٤٨٨.
(٦) المصدر نفسه: ص ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٩١، ٣١٥.
(٧) المصدر نفسه: ص ٤٨، ٩٥، ٤٤٨.
(٨) المصدر نفسه: ص ٣٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩.
(٩) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٩٢، وفي المصدر نفسه أشار إلى الوراثة في الصفحات: ٤٦، ٥٣، ٢٥٣، ٢٦٩، ٤٧٧، ٣٠٤، ٣٥١، ٣٦٨، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤١٩، ٤٧٧، ٤٩٦.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٩٨.

اسم فرس الشاعر فارس خِرْقه[١]، فارس حجناء[٢]، وفارس مجِلَز[٣]، وأحياناً يطلق الصفة دون ذكر اسم الفرس[٤].

وقد يطلق صفة لها علاقة بالمكانة الاجتماعية للشاعر، كصفة (شريف). ففي ترجمته (لقيس بن زهير بن خديمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عيسى بن بغيض. قال: «كان شريفاً حازماً ذا رأي، وكانت عبس تصدر في حروبها عن رأيه، وهو صاحب داحس وهي فرسه[٥].

والصفة يكون لها علاقةٌ بالشهرة كصفة (معروف)[٦]، أو يطلق عليه صفة (الراوية)[٧] إذا كان الشاعر راويةً.

وإذا غادرنا ميدان تراجم الشعراء وما خص شخصياتهم من صفات وانتقلنا إلى ميدان الشعر، فإننا نجد المرزباني يطلق بعض المعايير النقدية: (كثير الشعر)[٨] أو (قليل الشعر)[٩] وهما مقياسان لهما علاقة بالفحولة[١٠].

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٧١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣١٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٧، ٨، ١٣، ١٤، ٢٦، ٤٦، ٤٨، ٦٦، ٧٣، ٧٦، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ٣٠٦، ٣١٠.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٧، وأورد المصطلح في الصفحات: ١٠٩، ١١٥، ١٦٤، ٢٠٠، ٢٢٦، ٢٥٩، ٣٢٣.
(٦) المصدر نفسه، ص ٨، ٢٦، ١١٦، ١٦٣، ١٧٤، ١٨٨، ٢٠٨، ٢٩٦، ٤٧٢.
(٧) المصدر نفسه، ص ٤٢٥، ٤٣١، ٥٠٥، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٧،
(٨) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٢، ٢٨، ٦٩، ٩٧، ١٢٠، ١٣١، ١٣٤، ٢٠٢، ١٨١، ٢٥٩، ٢٦٦، ٢٩٤، ٣١٨، ٣٢٩، ٣٣٧، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٧، ٤٣٠، ٤٧٩.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٣٧، ١٦٠، ١٨٢، ١٨٤، ٢٠٥، ٣٨١، ٤٠٣، ٤٠٧، ٤٦٤، ٤٧٦، ٤٩٨.
(١٠) البحث، ص ٩٠، ٩١، ٩٢.

وكان يطلق أحياناً صفات انطباعية، كأن يقول عن بعض الشعراء: (ضعيف الشعر)[١] (محسن)[٢].

ونراه أحياناً يحدد المسارَ العام لشعر الشاعر، كقوله: أكثر شعره في الغزل[٣] يكثر القول في الحنين إلى وطنه[٤]، كان يهاجي مثقالاً (الواسطي)[٥]، أنفذ شعره في مراثي جارته[٦]، لا يمدح سوى بني العباس وكتابهم وأكثر قوله في البرامكة[٧]، أنفذ شعره في مدح المهلب وولده[٨]، كان يكثر الافتخار بآبائه رضوان الله عليهم[٩]، كان يكثر الافتخار بالعجم[١٠]، كان هجَّاء خبيث اللسان[١١]، خبيث اللسان هجاء للأمراء[١٢]، استفرغ شعره في وصف المجالس والندامى[١٣]، استفرغ شعره في وصف الغلمان[١٤]، جل شعره آداب وأمثال[١٥]،

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٦٠، ١٧٢، ١٧٦، ١٩٣، ٤٢٤، ٤٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨٤، ٣٥٥، ٣٦٩، ٤٥٦، ٤٨٨، ٤٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٨٦، ٤٢٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٠٣.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

(٧) المصدر نفسه، ص ٣١، ٣٢.

(٨) المصدر نفسه، ص ٢٣٦، ٢٧٣.

(٩) المصدر نفسه، ص ٣٨١.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣٧٩.

(١١) المصدر نفسه، ص ٤٨٣.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٤٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٥٣، ٥٤.

(١٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٢٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٣٥١.

كعب الأمثال لكثرة ما بشعره من الأمثال[١]، كان شاعراً غزلاً[٢]، كان غزلاً عفيفاً[٣]، يكثر القول في مدح شوال وذم رمضان[٤]، ويصفه بأنه ماجن خبيث.

والكتاب ضمَّ ألفاً ومئة ونيفاً من الشعراء، وقد التزم في ترتيبهم على حروف المعجم: العين ثم الفاء ثم القاف ثم الكاف ثم الميم ثم الهاء ثم اللام والألف ثم الياء، وقد نال حرف العين والميم النصيب الأوفر من الكتاب، فبلغ عدد الشعراء الذين تبدأ أسماؤهم بحرف العين أربعمائة وخمسة شعراء، وبحرف الفاء ثمانية وثلاثين وبالقاف اثنين وستين، وبالكاف خمسين، وباللام أربعة، وبالميم أربعمائة وستةً وأربعين شاعراً، وبالهاء أربعة وأربعين وباللام والألف شاعرين، وبالياء تسعة وخمسين.

ومراجع المرزباني في المعجم هي كتاب محمد بن داوود بن الجراح في مَنْ سمي من الشعراء عَمْراً[٥]، وكتب أبي سعيد السكري[٦]، وحماسة أبي تمام[٧]، والمفضليات[٨]، وطبقات الشعراء لدعبل[٩]، وأبي هفان[١٠]، وكتب ثعلب[١١]، والمبرد[١٢]، والصولي[١٣]،

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٣٨، ٧٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥، ٢٦، ٣٣، ٤٦، ٥٦، ٥٩، ٤٠٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٥، ١١، ٦٤، ٤٣٤.

(٧) المصدر نفسه، ص ١٧٣، ٢٠٠، ٢٠٧، ٢١٣، ٢٤٤، ٢٨٢، ٣٠١، ٣٢٩.

(٨) المصدر نفسه، ص ١١، ٣٤٤.

(٩) المصدر نفسه، ص ٤٥، ٦٥، ٦٧، ٧٣، ٨٩، ١٠٩، ١١٨، ١٣٦، ١٦٩، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٤، ٢٨٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٢٩، ٣٤٦، ٣٨٠، ٤٣٩، ٤٥٢.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٤٦، ٢٣٨، ٣٢٢، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٨٨، ٣٩٣، ٤٧٧، ٤٩٠، ٤٩٤.

(١١) المصدر نفسه، ص ٧، ٣٥، ١٤٢.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٧٥، ١٠٩، ٢٤٧، ٢٦٩، ٣١٤.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣١، ٣٣، ١٠٧، ١١٩، ٢٢٠، ٤١٦، ٣٣٣، ٣٤٠، ٤٠٣، ٤١٦، ٤٢٠.

والمدائني[١]، وابن الكلبي[٢]، وابن الأعرابي[٣]، وابن سلام[٤]، والزبير بن بكار[٥]، ومصعب الزبيري[٦]، وابن دريد[٧]، وابن أبي طاهر[٨]، وأبي عبيدة[٩]، والهيثم بن عدي[١٠]، ولقيط[١١]، وعمر بن شبة[١٢]، وإسحاق الموصلي[١٣]، والأصمعي[١٤].

وهناك شعراء عاصروه وأنشدوه لأنفسهم، كمحمد بن أبي الأزهر[١٥]، ومحمد بن أحمد الوراق[١٦]، ومنهم شيخاه محمد بن يحيى الصولي[١٧]، والحسن بن دريد[١٨]، ومنهم من أنشده شعرا لغيره، كأبي بكر أحمد بن كامل القاضي[١٩].

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١١، ٧٢، ٢٩٧.
(٢) المصدر نفسه، ص ١١، ١٢٦، ١٩٥، ٤٣٤.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥، ٢٠، ٢٨٤.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٩، ٤٧، ٧٩، ١٧٤، ١٧٩، ١٩٥، ٢٣٧، ٢٤٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٦، ٧٥، ٢٨٣، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٤٧، ٤٩٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٦، ٣٢٣.
(٧) المصدر نفسه، ص ٥، ٥٧، ١٤٨، ٣١٣.
(٨) المصدر نفسه، ص ٣٠، ١٣٣، ٣٦٩.
(٩) المصدر نفسه، ص ١٠، ١١، ١٣، ١٧٢، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٣٧، ٢٤٧، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٥، ٣٥١.
(١٠) المصدر نفسه، ص ٥٧.
(١١) المصدر نفسه، ص ٥٧، ١٩٥.
(١٢) المصدر نفسه، ص ٦٧، ١٠٩، ١١٦، ١٦٦، ٢١٥، ٢٥٣، ٣٢٥، ٣٥٣، ٤٩٥، ٣٨١.
(١٣) المصدر نفسه، ص ٦٧، ١٣٨، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٧٥.
(١٤) المصدر نفسه، ص ٩٠، ٣٠٧.
(١٥) المصدر نفسه، ص ٤٢٩.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٢٨.
(١٧) المصدر نفسه، ص ٤٣١.
(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٢٥، ٤٢٦.
(١٩) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

ولا بدَّ من الإشارة في هذا المجال إلى أن المرزباني لم يقتصر عمله في المعجم على ما نقله من الآخرين وإنما اتكأ على ذاته اتكاء ملحوظاً يبين مدى محفوظه وثقافته.

والمرزباني لم يورد نماذج شعرية لستين شاعراً[1]، وقد عللنا سبب ذلك[2].

أما كتاب «من الضائع من معجم الشعراء»، الذي كان مصدراً من مصادرنا فقد قام بجمعه الدكتور إبراهيم السامرائي، واعتمد مصادر أفاد منها: الإصابة لابن حجر، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، ومعجم الأدباء لياقوت الحموي، وَفَوات الوفيات لابن شاكر، ولسان الميزان لابن حجر، والاشتقاق لابن دريد، وتاج العروس للزبيدي، واللسان لابن منظور، وخزانة الأدب للبغدادي، ووفيات الأعيان لابن خلكان[3].

ويحتوي الكتاب على مئتين وخمسين شاعراً، ورتبه على توالي حروف الأبجدية فبدأ بالهمزة وانتهى بالياء.

ومنهج الكتاب هو نفسه منهج المعجم، وهو شيء طبيعي لأن ما جمعه السامرائي عن المصادر التي ذكرها نقلت عن المعجم.

ولا بدَّ من التنبيه أن الدكتور إحسان عباس نشر مقالاً بعنوان ملتقطات من القسم المفقود من معجم الشعراء، ويرى في عمله استكمالاً لما فات الدكتور

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٩، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٦٠، ٦٧، ٦٩، ٧٣، ٧٥، ٧٨، ٨٢، ٨٥، ٨٧، ١١٦، ١٢٥، ١٣٣، ١٤٥، ١٥٤، ١٦٥، ١٧١، ١٨٨، ١٩٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٢، ٢٤٦، ٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦٢، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٩٦، ٣٠١، ٣٠٧، ٣١٢، ٣٢٣، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٨١، ٣٨٦، ٤٤٩، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٠، ٤٧٧.

(٢) البحث، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٣) السامرائي (إبراهيم)، من الضائع من معجم الشعراء، ص ١٠.

السامرائي، إذ قال: «ورأيت استكمالاً لهذا العمل أن أقوم بجمع ما فات الدكتور السامرائي، وإيراده مرتباً على حروف المعجم، فوفقت إلى إضافة ثلاث وثمانين ترجمة»[١].

أما الموشح فهو كتاب نقدي تعليمي للشعراء، فيما أنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب، كي يتجنبوها ويعدلوا عنها، وقد ألفه المرزباني بناء على طلب من أحد لم يصرح باسمه، ومقدّمة الكتاب تبين الهدف، والإيعاز: سألت، حرس الله النعمة عليك وأسبغ الموهبة لديك أن أذكر لك طرفاً مما أنكر على الشعراء في أشعارهم من العيوب التي سبيل أهل عصرنا هذا ومن بعدهم أن يتجنبوها ويعدلوا عنها، فأجبتك إلى ما سألت، وعملت فيه بما أحببتَ، وأودعتُ هذا الكتاب ما سهل وجوده، وأمكن جمعه، وقرب متناوله من ذكر عيوب الشعراء التي نبه عليها أهل العلم وأوضحوا الغلط فيها[٢].

والمراد بأهل العلم أهل العلم بالشعر.

وقد قسم الكتاب إلى أبواب: أبان في الباب الأول عن حال السناد والإيطاء والإقواء والإكفاء. ثم انتقل إلى الحديث عن العيوب التي وقع بها الشعراء، فاعتمد المقياس الزمني في ترتيب أبوابهم، فبدأ بالشعراء الجاهليين، ثم الإسلاميين، ثم المحدثين. وقد تخلل هذا التقسيم بعض العيوب الشعرية، نقلها عن قدامة بن جعفر، وابن طباطبا العلوي، وعن العروضي الذي حدّثه بالضرورات الشعرية، ثم ختم كتابه بباب ذكر فيه ما جاء في ذم الشعر الرديء.

---

(١) عباس (إحسان) مجلة الأبحاث - العدد ٣٣ - السنة ١٩٨٥. مجلة يصدرها مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط.

(٢) المرزباني، الموشح، المقدمة.

والمرزباني اعتمد على الروايات المسندة، ونورد مثالاً على ذلك، يقول: حدثنا محمد بن ابراهيم، قال: حدثنا أحمد بن أبي خيثمة، عن محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان البجلي، قال: دخل كثيّر على عبد الملك فأنشده. وحدثني محمد بن أحمد الكاتب. قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي، عن محمد بن سلام، قال: قال يونس أنشد كثيّر عبد الملك مدحته التي يقول فيها:

على ابنِ أبي العاصي دِلاصٌ حَصينةٌ ... أجاد المُسَدِّي سَرْدَها وأذالَها

ـؤود ضُعيفَ القومِ حَمْلُ قتيرها ... ويستضلعُ القومُ الأشمُّ احتمالَها

فقال له عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحبّ إليّ من قولك إذ تقول.

وقال ابن أبي خيثمة في حديثه: ألا قلت كما قال الأعشى:

وإذا تجيء كتيبةٌ ملمومةٌ ... خرساءُ يخشى الذائدون نهالها

كنتَ المقدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ ... بالسّيف تضربُ مُعْلِما أبطالَها

فقال يا أمير المؤمنين، وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم فأرضاه[1].

فالمرزباني نقل الرواية نقلاً دقيقاً سواء في سندها أو متنها، ففي السند كان يكفيه أن يتكئ على واحد من محدثيه، وفي المتن كان يكفي قول عبد الملك الأول، ولكنه أفرد قول ابن خيثمة ليستقصي ألفاظ الرواية جميعها، ويقدمها للقارئ كما حُدِّث بها، وهذا النهج يدل على تأثره المنهج الذي اتبعه القدامى في كتبهم متأثرين - فيما يبدو - ما فعله المحدثون في كتب الحديث النبوي من حيث الاهتمام بالمتن والسند، معبرين بذلك عن أمانتهم العلمية.

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٣٠، ٢٣١.

والحرص على الدقة قاد المرزباني في أماكن متفرقة من الموشح إلى تعمد تكرار الرواية، ففي منزلة عدي بن زيد العبادي، يقول: «أخبرنا محمد بن الحسن بن دريد، قال: أخبرنا أبو حاتم الأصمعي، قال قلت لأبي عمرو بن العلاء: كيف موضع عدي بن زيد من الشعراء؟ قال: كسهيل في النجوم؛ يعارضها ولا يدخل فيها. وأخبرني الصولي، قال: حدثنا: أحمد بن إسحاق، وأخبرني عبد الله بن يحيى العسكري، قال: حدثنا وكيع: قالا أخبرنا حماد بن إسحاق بن ابراهيم، عن أبيه، عن أبي عبيدة، وحدثني علي بن عبد الرحمن، قال: أخبرني يحيى بن علي المنجم، عن أبيه قال: حدثني اسحاق بن إبراهيم، عن أبي عبيدة، قال: قال أبو عمرو بن العلاء عدي بن زيد في الشعراء مثل سهيل في الكواكب يعارضها ولا يجري مجراها. وقال الصولي: ولا يجري معها. وقال وكيع في حديثه: بمنزلة الشِّعرى في النجوم تعارضها ولا تجري معها وزاد في حديثه: يعني أنه يشبه بها، ويقعد عن شأوها ألفاظه الحيرية، وأنها ليست بنجدية»[1].

فقد كرر قول أبي عمرو بن العلاء، وأضاف لفظ الصولي علماً أنهما لا يضيفان شيئاً جديداً على صعيد الرؤية النقدية، ولكنه بروح الراوي المتابع ينقل تعليل ابن خيثمة، الذي فسر ما يريده أبو عمر بن العلاء، وأزال بذلك إبهام الخبر.

وإن كان التكرار في الرواية السابقة قد أضفى مهمة تعليمية بإضافة ابن خيثمة، فإننا نراه في مكان آخر يكرر الرواية دون أن يضيف شيئاً جديداً على صعيد الرؤية النقدية، قال المرزباني. «حدثني أحمد بن محمد الجوهري، قال: حدثنا الحسن بن عليل العَنَزِي، قال: حدثنا محمد بن موسى بن يحيى بن زيد النجار الحنفي اليمامي، قال: حدثني أبو بُرْدَة الثقفي اليمامي، قال: أدركت

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٠٢ و ١٠٣.

الناس وهم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بن قيس بن ثعلبة:

لــو أســـندَتْ مَيْتــاً إلى نحْرِهـــا عـــاش ولم يُنْقَـــل إلى قـــابِرِ»[(١)]

وفي رواية ثانية، قال ابن المعتز في البيت نفسه: «وأخبرني بعض شيوخنا أنه أدرك الإسلام وهم يزعمون أن هذا البيت أكذب بيت قالته العرب»[(٢)].

وفي «نور القبس» المختصر من «المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء»، لا بدَّ من التنبيه، بادئ ذي بدء، أنَّ الكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب مختصر عن كتاب المقتبس للمرزباني، واخْتُصِرَ الكتاب مرتين، أولهما اختصار الشيخ الإمام نجم الدين بشير بن أبي بكر حامد بن سليمان الجعفري التبريزي، وقال: الباعث عليه أمران أولهما استفادتي منه ساعة بعد ساعة، وثانيهما إفادة أهليه بغرائبه والنوادر التي فيه، فقد سمعت مشيختنا، يقولون: لا يوجد من هذا الكتاب نسخة سوى الأصل الذي هو بخط المصنف، وهو ثمانية عشر مجلداً في وقف الوزير نظام الملك في مدرسته بمدينة السلام، وقال وقد حذفت الأسانيد والطرق وما لا يتعلق به كبير غرض وفائدة[(٣)]. والاختصار الثاني للمقتبس قام به، حافظ اليغموري (ت ٦٧٣هـ)، وقال: فهذا كتاب علقته انتخاباً من كتاب الشهاب القبس من كتاب المقتبس تأليف الشيخ الحافظ أبي عبيد الله المرزباني ولم أُخلِّ ترجمة منه غير أني أذكر أحاسن ما ذكره، وبالله التوفيق والعصمة في حسن الاختيار[(٤)].

والمحقق يقول: إن هناك مخطوطةً اسمها المختار لعلي بن حسن بن معاوية محفوظة في مكتبة الشهيد علي باشا في استانبول تحت الرقم (٢٥١٥)، وقد أخرجها

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٦٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٣) المرزباني، نور القبس، توطئة المحقق، ص ١٨.

(٤) المصدر نفسه، توطئة المحقق، ص ١٨.

باسم «مختار من كتاب المقتبس في أخبار النحويين»، وأظن المخطوطة هي نسخته التي بخطه وليس فيها إلاَّ الجزء الأول... ويتابع المحقق قوله: ولم يخبرنا علي بن حسن صاحب المختار بأي شيء عن الأصل وكيف انتقى أخباره منه، أما المخطوطة فليس لها مقدمة وإنما تبدأ بعد البسملة بترجمة أبي حاتم السجستاني. وإن علي بن حسن هذا قد نقل عن المقتبس بخلاف الحافظ اليغموري، والدليل على ذلك أن علي بن حسن يورد الكثير من الأسانيد والطرق التي رواها المرزباني، وأغفل ذكرها صاحب المنتخب واتبعه في ذلك الحافظ اليغموري في مختصره[١].

ويوازن المحقق بين المقتبس والمختصر والمختار، فيقول[٢]: عند النظر في ترتيب مفردات المختصر وترتيب مفردات تراجم المقتبس التي نقلها إلينا الفهرست ص ١٣٣، ٢٦، ٢٧. والإرشاد ٥٢/٧ نستدل أن المختصر لم يشذ إلاَّ مرة واحدة عن ترتيب تراجم الأصل. أما المختار فقدم وأخر في ترتيب بعض تراجم الأصل وغير في محتوى البعض الآخر وأضاف أشياء من كتب التراجم الأخرى، ولا وجود هنا لمقدمة المرزباني عند ابتداء أمر النحو ولا أخباره عند ابتداء أمر البصرة والكوفة وبغداد ونزولها. ويورد المختار فيما عدا ذلك ذكر ثلاث تراجم لا وجود لها في المختصر وهذا يدل بشكل واضح على أن المختصر لم ينقل تراجم المقتبس كلها، ويدعم هذا الرأي جدول المختصر (ص ٢٣٥) الذي نص على ذكر ستة من العلماء من أهل الكوفة لم يترجم لهم فيما بعد كما سلف القول، وتلك الأسماء هي: عبد الملك بن عمير اللخمي وعاصم بن أبي النجود وأبان بن تغلب - وقد ذكروا بين الترجمتين ٦١ و ٦٢، وأبو خنف لوط بن يحيى وقد ذكر بين الترجمتين ٧٣ و ٧٤، وخالد بن كلثوم وقد ذكر بين الترجمتين ٨٢ و ٨٣ والحكم بن موسى السلولي وقد ذكر بين الترجمتين ٨٩ و ٩٠.

---

(١) المرزباني، نور القبس، توطئة المحقق، ص ٢٤، ٢٦.
(٢) المرزباني، نور القبس، توطئة المحقق، ص ٢٧، ٢٨.

ويحتوي المختصر على ١٢٥ ترجمة على حين لا يحتوي المختار إلاَّ على ٣٣، ولكن المختار في مقابل ذلك يفوق المختصر في عدد أوراقه. على أن قلة عدد تراجم المختار وكثرة أوراقه لا تغني إطلاقاً أن المختار يقدم في تراجمه أخباراً أغزر من تلك التي يقدمها المختصر، بل إنَّ العكس صحيح إذ لا يبز المختصر المختار في عدد تراجمه فحسب بل يعرض للقارئ فوق ذلك في تراجمه مادة لا تقل جودة عن تلك التي نجدها في المختار[1].

ويعزو المحقق السبب إلى الأسانيد والطرق التي شغلت حيزاً كبيراً من الكتاب، بالإضافة إلى ذلك تكرار الروايات والأحاديث التي لا تختلف في معناها إلاَّ قليلاً[2].

وبعد، فإن النسخة التي بين أيدينا - كما قدمنا - قد اختصرت مرتين وسماها حافظ اليغموري: آخر المختصر المسمى بنور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء تأليف الحافظ أبي عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني رحمه الله تعالى.

والمختصر يقع في أربعة أجزاء ليست متساوية الحجم، فالجزء الأول يشمل فاتحة الكتاب والحث على تعلم العلم وتقويم اللسان وابتداء أمر النحو ومن تكلم فيه، ويحوي أخباراً لعلماء ونحاة ورواة من أهل البصرة، والجزء الثاني يقتصر على تراجم للعلماء والنحاة والرواة البصريين، أما الجزء الثالث فإنه يشتمل على ابتداء أمر البصرة ونزول المسلمين فيها وأخبار لعلماء ونحاة ورواة بصريين. ثم يذكر ابتداء أمر الكوفة ونزول المسلمين فيها وبعض أخبار أعلامهم، وهو تمهيد للجزء الرابع الذي يشمل تراجم لعلماء ونحاة ورواة كوفيين. ثم يتحدث عن ابتداء أمر مدينة السلام واختطاط أبي جعفر المنصور

---

(١) المرزباني، نور القبس، توطئة المحقق، ص ٢٧ و ٢٨.

(٢) المرزباني، نور القبس، توطئة المحقق، ص ٣٣.

إياها ونزولها وابتنائها، ثم يتحدث عن أخبار العلماء والنحاة والرواة من أهل بغداد ومن طرأ عليها من الأمصار. ثم يذكر بعض النسابين: غفل بن حنظلة، وأبو ضمضم البكري والنخار العذري، ووهب بن منبّه، وبذلك ينتهي المختصر.

والترجمة التي يقدمها المرزباني للعالم قد تطول أو تقصر وإذا طالت فيذكر أخباراً ونوادر لا يربطها خيط سوى شخصية المترجم له، وسنورد نماذج متفرقة توضح من خلالها منهجية المؤلف في تأليف كتابه.

وإذا أخذنا أبا الأسود الدؤلي أحد الأمثلة[1]، فقد بدأ المرزباني بتعريفه، فهو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سُفيان بن جَنْدل بن يَعْمَر بن حِلْس - ويقال حُليس - بن نفاثة بن عدي بن الدِيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة.

ثم تحدّث عن ضبط كلمة الدُّؤَلي، واختلاف القبائل في ضبطها، قال يونس: الدُول في بني حنيفة ساكنة الواو، والدِيل في عبد القيس ساكنة الياء، والدؤل مهموزٌ في بني كِنانة رهط بني أبي الأسود.

ثم يذكر زمن ولادة أبي الأسود واتجاهه وشاعريته، قال: «وُلِدَ عام الفتح». واستعمله عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه على البصرة، وكان شيعة له، وهو شاعر مجيد.

ويعرج على ذكر المحاورة التي دارت بين علي رضي الله عنه وأبي الأسود الدؤلي في أصل النحو.

ويعدُّ أبا الأسود أحد فصحاء الإسلام، وقد عددهم على لسان ابن الأعرابي، فصحاء الإسلام: أبان بن عثمان، والحسن بن يسار البصري، وأبو الأسود الدؤلي، وقبيصة بن جابر الأسدي.

---

(١) المرزباني، نور القبس، وفيما نقدمه في ترجمة أبي الأسود - من ص ٧ إلى ص ٢١.

ومما يذكره رسالةُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة: يحثه بها على التفقه في الدين، وتفهم العربية، وأن يعلم أبو الأسود الدؤلي أهل البصرة، وأن يعلموا أولادهم السباحة وركوب الخيل.

ويسرد المرزباني نماذج شعرية لأبي الأسود الدؤلي، فقد استعمل علي رضي الله عنه أبا الأسود على البصرة وزياداً على الديوان والخراج، فبلّغ أن زياداً يطعن عليه عند علي رضي الله عنه، فقال:

رأيت زياداً ينتحيني بشرِّه   ـرضُ عنه وهو بادٍ مَقاتِلُهْ

ولما هلك علي عليه السلام، قال أبو الأسود:

ألا أَبلِغْ معاويةَ بن حَرْبٍ   فلا قَرَّتْ عيونُ الشامِتينا

أفي الشهر الحرام فجَعْتُمُونا   بخَيرِ النّاس طُرّاً أَجْمعِينا

ويشير المرزباني إلى فقر أبي الأسود الدؤلي، قال: مرَّ عبيد الله بن زياد على أبي الأسود وعليه ثياب رثة كان يكثر لبسها، فقال: ألا تستبدل بجُبتك هذه؟ فقال ربَّ محلولٍ لا يستطاع فراقه! فأرسل إليه عبيد الله ثمانين ثوباً - وقيل مائة - فقال أبو الأسود:

كساك ولم تستكسه فاشكُرَنْ له   أخٌ لك يعطيك الجميلَ وناصِرُ

ومن النوادر التي أوردها، قال: لما وقعت الفتنة بالبصرة في أيام الزبير، مرّ أبو الأسود على مجلس بني قشير، فقال: يا بني قشير، على ماذا اجتمع رأيكم في هذه الفتنة؟ قالوا: ولم تسألنا؟ قال لأخالفه، فإن الله لا يجمعكم على هدى.

ثم يذكر أخباراً وقعت لأبي الأسود مع زياد ومعاوية، لها علاقة بإيديولوجية الدؤلي الشيعية.

ومما يذكره نصائح أبي الأسود لأبنائه، وتعريفه للبلاغة بأنها سلاطة اللسان، وحثُّه على العلم لأن العلماء حكامٌ على الملوك، ثم يورد له نماذج شعرية: في العلم، وتنفيذ الوعد والحكمة. قال أبو الأسود في العلم:

علـم زيـنٌ وتـشريفٌ لِـصاحبِهِ فاطلُبْ هُـدِيتَ فُنونَ العِلـم والأدبا

وفي تنفيذ الوعد، قال:

وإذا وعـدتُ الوعـدَ كنـتُ كغـارمٍ ـا أقـرَّ وأحَّـضر كاتِبَـا

وقال في الحكمة:

ولا تَحفِـرَن بئـراً تريـد أخـاً بهـا فإنَّـك فيهـا أنـت مـن دونـه تَقَـعْ
وكلُّ امـرئٍ يَبغـي عـلى النـاس ظالمـاً تُـصبه عـلى رَغْـمِ عَواقـبُ مـا صَـنَعْ

وذكرت العمائم عنده، فقال: العمامة خير ملبوس: جُنَّةٌ في الحروب وواقيةٌ في الأحداث مُسَكِّنةٌ من الحر ومُدفئة من البرد، وقارئ في الندى وزيادة في القامة، وهي تُعدّ من تيجان العرب.

ثم يقص علينا قصة زواج أبي الأسود الدّؤلي ثم طلاقه لزوجته، واحتكامها إلى معاوية بن أبي سفيان في ابنهما، وحكم معاوية بأحقية الزوجة في الولد. وقول معاوية:

لـيس مـن غـذاه طِفـلاً صَـغِيراً وَسـقاه مـن ثَدْيِـه بالخـذول
هـي أولى بـه وأَقـربُ رُحْمـاً مـن أبيـه وفي قـضاء الرسـول

وينهي القصة بدفع معاوية الولد إليها.

كما يقص علينا قصتين يعرفنا من خلالهما على جانب آخر من شخصية أبي الأسود وعلى صفة من صفاته وهي صفة البخل. فقد اتخذ أبو الأسود دكاناً على باب داره بقدر مجلسه، لا يتسع لغيره ولغير لطبق يكون بين يديه يأكل منه، فإذا

مر به مار فسلم عليه عرض عليه طعامه، فينظر فلا يرى لنفسه موضعاً، فيدعو له وينصرف. والقصة الثانية قصة أعرابي مع أبي الأسود، فأجابه وأقبل يأكل وهو قائم، وأبو الأسود ينظر ويتغيظ. ثم أنشأ يقول:

انظُـــرْ إلى جلـــسته ومَطِّـــه ... ولَقْمِـــه مُبـــادِراً وغَطِّـــهِ

ولفِّـــه رُقاقـــه ببَطِّـــه ... كـــأنَّ جـــالينوس تحـــت إبطِـــهِ

ومن القصص التي أوردها المرزباني مدللاً على خلق أبي الأسود، أنه اشترى جارية - يقال لها صلاح - لتخدمَه، فطمعت فيه وأقبلت تتطلب وتتعرض لفراشه، فأنشأ يقول:

أصَـــلاحُ إنّي لا أُريـــدكِ للـــصِبا ... فــذَرِي التـــشكُّل حولنـــا وتبـــدُّلي

إني أُريـــدكِ للعَجـــين وللرَّحـــا ... ولحَمْـــلِ قربَتنـــا وغَـــليِ المِرجَـــلِ

وكان يهجو بعض أصدقائه من عمال المدن إذا رأى جفوة منهم، وممن هجاهم عبد الله بن عامر، فقال:

ألم تـــرَ مـــا بينـــي وبـــين ابـــن عـــامر ... مـــن الـــودِّ قـــد بالـــت عليـــه الثعالـــبُ

فللنـــأيُ خـــيرٌ مـــن دُنُـــوٍّ عـــلى أذىً ... ولا خـــيرَ فـــيمن خالفتْـــه الـــضرائبُ

ومن المهجوين حوثرة بن مسلم عامل أصبهان، كان صديقاً لأبي الأسود، فخرج إليه، فلم يحفل به حوثرة، فكتب إليه:

إنَّـــك اليـــومَ امـــرؤ محتقَـــرٌ ... ـــصةَّ اللهُ بلـــؤم وِضَـــعَهْ

ونقل المرزباني كثرة خروج أبي الأسود من منزله في كبره، وسوَّغ أبو الأسود ذلك بقوله: ولو جلست في منزلي اغتم أهلي واستأنس بي الصبي واجترأت عليَّ الخادم، وكلمني من أهلي من كان يهاب كلامي، لإلفهم إياي وجلوسي عندهم.

ويسرد المرزباني نموذجاً شعرياً لأبي الأسود فحواه الصداقةُ الحقةُ والعتابُ والحكمة:

أظَلُّ كئيباً لو تُشوكُك شوكةٌ ... وتفرَحُ لو دُهْدِهتُ من رأسِ حالقِ

شتّان ما بيني وبينك في الإخا ... صدقتُك في نفسي ولست بصادق

أَفِقْ عنك لا يذهب بك التِّيهُ سالماً ... فإنك مخلوقٌ ولستَ بخالقِ

لكل أخٍ عند الهوينا ملاطفٌ ... ولكنّما الإخوانُ عندَ الحْقائقِ

ثم يورد له نموذجين شعريين قالهما في حارثة بن بدر الغُداني لما ولاّه عبيد الله بن زياد سُرَّق.

ويختتم المرزباني الترجمة بذكر مرض أبي الأسود وتاريخ وفاته: مرض أبو الأسود فقيل له: اصبر، فهذا أسْرُ الله! قال: هو، أشَدُّ له! - مات رحمه الله في الطاعون الجارف سنة تسع وتسعين، وسنُّه خمسٌ وثمانون سنةً.

ونعرض نموذجاً آخر لأبي زيد الأنصاري[(1)]:

بدأ المرزباني بترجمته له، فهو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن ثابت بن زيد بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج. ثم يوضح مكانته الدينية فقد شهد أحداً، وهو أحد العشرة الذين بعث بهم عمر رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعري إلى البصرة وأحد السِّتة الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله r .

ثم يبين مكانته في علم النحو ويوازن بينه وبين الأصمعي وأبي عبيدة، فيقول: كان أبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو وكانا بعده يتقاربان. وقال المبرّد: أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحو وكان أكبر من الأصمعي في

---

(١) المرزباني، نور القبس فيما نورده في ترجمة أبي زيد من ص ١٠٤ إلى ص ١٠٨.

النحو، وكان أبو عبيدة أعلم من أبي زيد والأصمعي بالأنساب والأيام والأخبار، وكان الأصمعي بحراً في اللغة لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرواية.

ثم ينقل إلينا المرزباني صورةً لمجالس الشعر حيث يتناشد أبو زيد وأبو بسطام شعبة بن الحجاج الشعر.

وينقل مجيء أعرابي إلى أبي زيد وإنشادَه شعراً وكتابة أبي زيد للشعر.

ومن النوادر التي قدّمها، قال أبو زيد: قلت لأعرابي: اقرأ، فقال سبح اسم ربك الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي منَّ على الحبلى، فاخرج منها نسمة تسعى، حتى إذا شب واستوى، أدبر وتولى.

ومن مهام النقاد تفسير الشعر واختلافهم في التفسير أحياناً، ومما قدّمه المرزباني: ذُكِر عند أبي زيد تفسير الأصمعي لقول الأعشى:

وسَبِيئةٍ ممَّا تُعتِّق بابلٌ ... كدَم الذبيح سلَبْتُها جِريالَها

وإنه قال: معناه شربتها حمراء وبلتها بيضاء وسلبتها الجريال. فقال أبو زيد: لم يقل أبو سعيد شيئاً، قد نرى الزنجي يفعل ذلك يشربها حمراء ويبولها بيضاء، وإنما أراد: أخذت حمرتها في وجنتي لونها في خدي، وهذا ما نراه أبداً عند الامتحان.

وكان ديسم العنزي لا يزال يحفظ أشياء من هجو حماد عجرد وأبي هشام الباهلي في بشار بن برد فبلغه ذلك، فقال:

أديسمُ يا ابنَ الذئب من نَجْلِ زارعِ ... أتَرْوي هجائي سادراً غَيرَ مُقْصِرِ

قال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت وقلت له: ما تقول؟ فقال: لمن الشعر؟ قلت لبشار، قال: قاتله الله، ما أعلمه بكلام العرب! ثم قال له: الديسم ولد الذئب من الكلبة، وزارع اسم الكلب ويقال للكلاب: أولاد زارع، والعِسبار ولد الضبع من الذئب، والسِمْع ولد الذئب من الضبع.

ومن النوادر التي يرويها، قال: وقف أعرابي على أبي زيد، فظن أنه جاء يسأله عن مسألة في النحو فقال: سل عما بدا لك! فقال الأعرابي:

لـــــست للنحـــو جئـــتُكم	لا ولا فيـــــه أَرغَـــــبُ
أنـــا مـــالي ولا مـــريءٍ	أبَـــدَ الـــدهر يُـــضرَبُ
خَـــلِّ زيـــداً لـــشأنِهِ	حيـــثُما شـــاء يَـــذهَبُ
واســتمِعْ قـــول عاشـــقٍ	قـــد شـــجاه التطـــرُّبُ

ويورد نموذجاً شعرياً، ينشده أبو زيد:

ذا أنـت لم تعـفُ عـن صـاحبٍ	أسـاءَ وعاقبتَـه إنْ عَثَـرْ
بَقيـتَ بـلا صـاحبٍ فاحتمِـلْ	وكـن ذا وفـاءٍ وإن هُـوْ غَـدَرْ
ولا تـسألِ الحُـرَّ عـن عَـورَةٍ	وإن قـام يومـاً عليهـا سَـتَرْ

ثم ينقل خطبة للحسن بن علي رضي الله عنهما. وبعد ذلك يذكر مرض أبي زيد الذي مات بسببه، ومن خلال الرواية يبرز دور أبي زيد اللغوي. فقد روى: قال المازني: دخلت على أبي زيد في مرضه الذي مات فيه، فقال أشتكي صدري. فقلت امْرِخْه بشَمعٍ ودُهن! فقال: ليس كذا، إنّما هو امْرُخْه، فتعجَّبتُ منه في تلك الحال يعلمني. - ومات أبو زيد رحمه الله سنة خمس عشرة - وقيل أربع عشرة - ومائتين، وله ثلاث - وقيل: أربع، وقيل: خمس وتسعون سنة.

وقد تقصر الترجمة، فمن أخبار أبي عليّ إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي[1]، قال المرزباني: كان راويةً أديباً شاعراً، وابنه أبو الحسن أحمد مثله، ولإسماعيل كتاب في طبقات الشعراء لطيف، ومات أحمد قبل أبيه وأسن إسماعيل وله:

أتـت ثمانـونَ فاسـتمرَّت	بـالنَقْص مـن قـوَّتي وحَزْمـي
فـرَقَّ جِلـدي ودَقّ عَظْمِـي	واختـلَّ بعـد الـتّمام جِـسْمِي
وقـد رمـاني الزّمـان منـه	في العـين مـن ركْبَتـي بـسَهْمِ

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٩٠، ٩١.

ومن أخبار نصر بن عاصم الليثيّ(١)، قال المرزباني: كان ممَّن أخذ العربية من أبي الأسود وكان فقيهاً، وقيل أيضاً: إنَّه أول من نقط المصاحف.

ومن أخبار أبي اسحاق إبراهيم بن السَرِيّ الزّجاج(٢)، قال: هو أقدم أصحاب المبرّد، وقد صنف: (معاني القرآن) و(الاشتقاق) و(العروض) وكتبا في النحو واللغة.

وفي ذكر النسابين ومنهم دَغْفَل بن حَنْظَلَةَ(٣)، روى المرزباني: قال أبو حاتم: سمعت الأصمعيَّ يذكر نساب العرب، فذكر دَغْفَلاً من بكر بن وائل والنَخَّار العُذْري وابن القِرِيَّة وَصُبيحاً وأبا ضَمْضَمٍ البكري وكيِّساً النَمَرِيّ، وقال: هؤلاء كلهم أميون.

وقيل: إن دغفلا أدرك النبي r ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية، فضمّه إلى يزيد مؤدِّباً، سئل عن نسب النمل، فقال: إنها ثلاثة أبطن: ذَرٌّ وهي الصِغار الصُغر، وفارزٌ وهي التي رأسها كبير وُمؤخّرها صغير، وعُقفان وهي الطوال القوائم. قال له معاوية: من أين ضبطت هذا؟ قال: بلسان سؤول وقلب عقول، وقال: أي بيت قالته العرب أندى وأفخر؟ قال:

لــه هِمَــمٌ لا مُنتَهــى لِكبارِهــا ... وهِمَّتُــه الــدنيا أَجَــلُّ مــن الــدَهْرِ

لــه راحــةٌ لــو أن مِعــشارَ جُودِهــا ... على البَرِّ كــان الــبَرُّ أَنــدَى مـن البَحْـرِ

وقال دغْفَل: يا معشرَ العرب، فاخروا العجم بثلاث خِصالٍ! فإنكم، إن فاخرتموهم بغيرهنّ غلبوكم، فاخروهم بأنكم حفظتم أنسابكم ونسوها، وبأنكم عففتم عن الحُرم وأتوهن، وبأنكم أحسنُ الناس شِعراً.

---

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٢٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

الفصل الأول

النقد الانطباعي

ليس للنقد الانطباعي قواعد وقوانين يحتكم إليها النقاد، ولذا فهو أقرب إلى الذوق الشخصي وبعيد عن التعليل:

ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى أحمد بن حاتم، أنه قال: بلغني أن الفرزدق دخل على عبد الملك بن مروان (ت ٦٨هـ)، فقال له: «من أشعر أهل زماننا؟ فقال: أنا يا أمير المؤمنين قال: ثم من؟ قال: غلام منا بالبادية يقال له ذو الرّمة. قال ثم دخل عليه جرير بعد ذلك فقال له: من أشعر الناس؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين قال: ثم من؟ قال غلام منا بالبادية يقال له ذو الرّمة»[١].

ولقد جاءت الأحكام الانطباعية ذاتية تلقائية، تقوم على آرائهم الخاصة فيما يرجح الناقد أو يفضل «فهو يقدم حكمه القائم على الإعجاب بهذا الأثر أو ذاك أو الاستكراه له»[٢].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٣٧٤.

(٢) د. عكام، (محمد فهد)، أبو تمام، مبدع الإغراب لدى العرب، نظراته النقدية وفنه الشعري، مخطوط قُدِّم لنيل شهادة الدكتوراه، باريس.

ففي خبر أورده المرزباني، أن ابن الأعرابي[1] (ت ٢٣١هـ) قال: «يعجبني من الهجاء قول جرير:

لــو أنَّ تغلــب جمَّعــتْ أحــسابَها يــوم التفاضــل لم تــزنْ مِثقــالا[2]

وفي خبر آخر للمرزباني أنّ ابن عائشة[3] قال: يعجبني من شعر أبي الشمقمق قوله في أهل بغداد:

لــيس فيهــا مُــروؤةٌ لــشريفٍ غــير هــذا القِنــاع بالطَيلَــسانِ
وبقينــا في عُــصْبةٍ مــن قُــريشٍ يَــشتَهونَ المَــديحَ بالمجَّــانِ[4]

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي[5] (ت ٢١٦هـ) تقريباً أنه قال: «لا يعجبني شاعر اسمه الفَضْل بن قدامه يعني أبا النجم العِجْلي»[6].

وفي خبر أورده المرزباني، في سند يرجع إلى الأصمعي، أنه قال: «لم يكن طرفة يحسن أن يتعشق[7]» وفي خبر آخر يرجع إلى أبي عمرو بن العلاء[8] (ت ١٥٥هـ)، أنه قال: - ويقصد الفرزدق -: «ومن كلامه المستحسن قوله لجرير:

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابي، وكان مؤدِّباً ناسباً عالماً بالشعر واللغة نحويَّاً كثير السماع من المفضل راوية لشعر القبائل.
(٢) المرزباني، نور القبس، ص ٣٠٤.
(٣) هو محمد بن حفص بن عائشة، والعائشي رجل صِدقٍ، ليس ممكن يكذب إلاَّ أنّه سمع صغيراً.
(٤) المرزباني، نور القبس، ص ٢٠٣.
(٥) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن أصمع بن مظهر بن رياح ابن عمرو بن عبد وشمس بن أعيا بن سعد بن عبد غنم بن قتيبة بن معن بن مالك ابن أعصر.
(٦) المرزباني، الموشح، ص ٣٣٤.
(٧) المرزباني، الموشح، ص ٧٧.
(٨) هو أبو عمر بن عمار بن الحصين التي المازني البصري، قيل اسمه كنيته، وقيل اسمه زبَّان، وقيل اسمه رَيَّان، وقيل جَزْء، وقيل: عتيبة، وقيل: العُريان.

فهل ضربة الرّوميِّ جاعلةٌ لكم أباً عن كليب أو أباً مثلَ دارم[١]

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى إسحاق الموصلي[٢] (ت ٢٣٦هـ)، أنه: قال[٣]: «كنا نستشنع قول قيس بن الخطيم:

طَعنْتُ ابن عبدِ القيس طعنةَ ثائرٍ لها نَفَذٌ لولا الشُّعاعُ أضاءَها[٤]
ملكتُ بها كفي فأَنهرْتُ فَتْقَها يُرَى قائمٌ مِنْ خلفها ما وراءها[٥]

تقديم الشعراء

لقد واكب حركة هذا النقد الانطباعي سؤال، طالما رُدِّد، وشغل بالَ النقاد سواء أكانوا من الشعراء أم من الرواة أو من سواهم:

من هو أشعرُ الناس؟ فقد قيل لحسان بن ثابت (ت ٦٠هـ وقيل ٥٤هـ) - كما يروي المرزباني - (من أشعر الناس؟ قال: الذي يقول، يعني قول عمر ابن الإطنابة:

إني من القوم الذين إذا انتَدَوا بدأوا بحقِّ الله ثم النَّائل[٦]

والناقد نفسه يختلف موقفه في أشعر الناس، فمرة يقدم هذا وأخرى يقدم ذاك:

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٦٢.
(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصلي، كان أحد العلماء باللغة والغريب وأخبار الشعر وأيام الناس، وكان شاعراً، وقد روى من العلم والأخبار قطعة حسنة.
(٣) المرزباني، الموشح، ص ١١٦.
(٤) النفذ: الثقب. والشعاع ضوء الدم وحمرته وتفرقه.
(٥) أنهرت: وسعت.
(٦) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٨.

قال المرزباني: «تلاحوا في مجلس المنصور من أشعر الناس، فسئل حماد[١] (ت ١٥٦هـ) عن ذلك، فقال صناجة العرب - يعني الأعشى[٢] - وفي موضع آخر يقدم حماد امرأ القيس على لسان أحد الجن حيث يسأله: يا هذا من أشعر الناس؟ قال الذي يقول:

وما ذرفت عيناك إلاَّ لتضربي بسهميك في أعشار قَلْبٍ مُقتَّلِ[٣]

مما يشي بأن الحكم النقدي ينطلق من انطباع آني، لا من روية وتفكير في مادة الشعر.

التفضيل الضمني أو باستخدام صيغة التفضيل:

لقد أطلقت أحكام متعددة - كما سنرى - تتكئ على التفضيل لقديم الشعراء، والتقديم قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً:

- فعلى المستوى الأول يكون الشاعر أشعر الناس أو أهل زمانه أو عصره أو أهل الجاهلية أو أهل الإسلام أو أهل إقليمه أو أهل قبيلته أو أبناء النعمة.

ففي خبر أورده المرزباني أن خلفاً الأحمر[٤] (ت ١٨٠هـ) أمر أبا نواس أن يرثيه وهو حيٌّ فرثاه أبو نواس فلما سمعه، قال له: «أنت أشعر الناس»[٥]. والمرزباني قدم يحيى بن أبي منصور المنجم، فقال: «أشعر أهل زمانه»[٦]. والشاعر يقدّم على شعراء

---

(١) هو حماد بن سابور بن عبيد الرواية.

(٢) المرزباني نور القبس، ص ٢٦٩.

(٣) المرزباني نور القبس، ص ٢٧٠.

(٤) هو خلف بن حيان الأحمر، نحوي لغوي عالم بالشعر.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٧٣ و ٧٤.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٩٣.

عصره، قال المرزباني: «قيل للعُتْبِيّ[1] (ت ٢٢٨هـ) من أشعر الناس؟ قال أشعر الناس في الجاهلية الملك الضِلِّيل وأشعر الناس في الإسلام الذي يقول - يعني أبا نواس -:

فقــام إلى العقــار فــسدَّ فاهــا فعــاد الليــلُ مُــسْوَدَّ الإزارِ[2]

وفي رواية المرزباني، قال أبو عبيدة[3] (ت ٢٠٨هـ وقيل ٢١٠هـ): «كان كُثَيِّر أشعر أهل الإسلام، والسَّيد الحميري أشعر المولدين»[4].

والتقديم يكون أقل عمومية على مستوى الإقليم أو القبيلة الواحدة، قال المرزباني عن كُثَيِّر عَزَّة كان شاعر أهل الحجاز لا يقدمون عليه أحد[5]، وفي خبر أورده المرزباني عن الشعبي (ت ١٠٤ وقيل ١٠٧هـ) أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قدم النابغة على شعراء غطفان عندما قدم إليه وفد غطفان، فسألهم عن قائل مجموعة من الأبيات الشعرية، فأجابوه: النابغة يا أمير المؤمنين، قال: «هذا أشعر شعرائكم[6]» والتقديم نُظِر إليه من زاوية طبقية، قال المرزباني في ترجمته ليحيى بن أبي منصور المنجم: وقال أبو هفان:[7] «أشعر أبناء النعمة إلى سنة ست وخمسين ومائتين أربعة نفر أولهم أبو أحمد يحيى بن علي المنجم»[8].

---

(١) هو محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ١٩٤.

(٣) هو معمر بن المثنى.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص ١٢٢.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٤٢. والموشح، ص ٤٢٤، في تقديم أبي نواس على أهل البصرة.

(٦) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤٨.

(٧) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي، وهو أحد غلمان أبي نواس ورواته.

(٨) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٩٤.

وعلى مستوى التقديم الخاص قد يُقدَّم الشاعر في بيتين مدحيين، قالهما أو في غرض من الأغراض: فالمرزباني يذكر ما نسب إلى خلف الأحمر: «كثيّر أشعر الناس في قوله لعبد الملك:

أبوك الذي لما أتى مَرْجَ راهطٍ[١] وقد ألَّبوا للشرّ فيمن تألّبا
تشنَّأ للأعداء حتى إذا انتهوا إلى أمره طوعاً وكرهاً تحبَّبا[٢]

والمرزباني يقدّم القاسم بن يوسف بن صبيح في غرض رثاء البهائم، إذ قال: «وهو أرثى الناس للبهائم»[٣].

- الموازنة الثنائية:

ونعني به التفاضل بين شاعرين اثنين وتغليب أحدهما على الآخر. وهي لم تخرج عن الروح الانطباعية وميل الناقد «وأنت إذا رجعت إلى موازنات القوم وجدتها تقف دائماً عند وضع أحد الشاعرين فوق زميله، ولا تعلل ذلك ولا تذكر أسبابه، وفي الغالب ليس هناك سبب ولا علة سوى الميل الشخصي»[٤]. وهي «تلخص الإعجاب العام لدى أحد المتذوقين بشاعر دون آخر»[٥].

فيُفَضَّلُ شاعر على آخر من عصر واحد، ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي أن رجلاً سأل أبا عمرو بن العلاء: النابغة أشعر أم زهير؟

---

(١) موضع بالشام.
(٢) المرزباني، معجم الشعراء ص ٢٤٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ٢١٦.
(٤) د. ضيف (شوقي)، سلسلة فنون الأدب العربي، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر.
(٥) د. عباس (إحسان) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى الثامن الهجري ص ٨٧. الطبعة الأولى عام ١٩٧١م. دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

فقال: «ما يصلح زهير أن يكون أجيراً للنابغة. ثم قال: أوس بن حجر أشعر من زهير»[١]. «وكان ذو الرّمة أحسن حالاً عند الأصمعي من الكميت»[٢].

ويُفَضَّلُ شاعر على آخر من عصره في بعض شعره ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي، قال: «دريد بن الصِّمَّة في بعض شعره أشعر من الذبياني، وقد كاد يغلب الذبياني»[٣]. وفي سند آخر يرجع إلى الأصمعي، قال: «وطفيل الغَنَوِيّ في بعض شعره أشعر من امرئ القيس»[٤].

ويفضل شاعر على آخر من عصر واحد لبيت قاله في موضوع مختلف. ففي خبر أورده المرزباني أن عبد الملك بن مروان (ت ٨٦هـ) سأل الشعبي[٥] (ت ١٠٤ وقيل ١٠٧هـ): «وأي شعراء الجاهلية كانت أشعر؟ قال الخنساء. قال: ولم فضلتها؟ قلت لقولها:

وقائلةٍ -نعشٌ قد فات خَطْوَها   لِدُرْكِه يا لهفَ نَفْسِي على صَخْرِ
ألا ثَكِلَتْ أُمُّ الّذين غَدَوْا به   إلى القبر ماذا يَحمِلون إلى القَبْرِ

فقال عبد الملك: أشعر منها والله ليلى الأخيلية حيث تقول:

هُفَ الكَشْحِ والسِّربال مُنْخَرِقٌ   عنه القميصُ لِسَيرِ الليلِ مُحْتَقِرُ[٦]
لا يَأْمَنُ الناسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ   في كلِّ فَجٍّ وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ[٧]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٥٩.
(٢) المرزباني، الموشح، ص ٣٠٢.
(٣) المرزباني، الموشح، ص ٥١.
(٤) المرزباني، الموشح، ص ٣٧.
(٥) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي بن حمير.
(٦) الكشح: ما بين الخاصرة إلى الضلع، وهو من لدن الصرة إلى المتن، وهو الخصر. والسربال: القميص والدرع. ورجل هفهاف القميص: إذا نعت بالخفة.
(٧) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤٩.

والتقديم يكون على لسان بعض المجانين، قال المرزباني أخبرني محمد بن يحيى المنجم، قال: «كان بعض المجانين يتعصب للفرزدق، فقال له إنسان مرة: أتعيبُ جريراً؟ ما أحسن ما قال صاحبك في المدح:

وما مثلُهُ في الناس إلا مملَّكاً ... أبو أُمِّه حيٌّ أبوه يقاربه

فقال: هذا أحسن من قول صاحبك - يعني جريراً - في الغزل:

لو أنّ عُصْمَ عمايتين ويَذبُلٍ[1] ... سمعا حديثَكِ نزَّلا الأوعالا»[2]

ويبدو أن محمد بن يحيى هذا كان يريد بالمجانين أولئك اللغويين الذين كانوا يقدمون الفرزدق على جرير، ومن هنا جاء تبنيه للموقف الساخر الذي وقفه صاحب جرير من صاحب الفرزدق.

وللنزعة القبلية أثر في تفضيل شاعر على آخر ومن عصر واحد لبيت قاله: ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى محمد بن عمران الطلحي القاضي، قال: تناظر ربعي ومضري في الأعشى والنابغة فقال المضري للربعي: شاعركم أخنث الناس، حيث يقول:

قالت هُرَيرةُ لَمَّا جئتُ زائرَها ... ويلي عليكَ ووَيْلي منكَ يا رجلُ

فقال الربعي أفَعَلَى صاحبكم تعوّل حيث يقول:

سَقطَ النصيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولتْه واتَّقَتْنا باليَدِ

لا والله ما أحسن هذه الإشارة إلا مخنَّث[3].

---

(١) العصم: جمع أعصم، وهو الوعل: تيس الجبل. وجمعه أوعال. عماية ويذبل: جبلان.

(٢) المزرباني، الموشح، ص ١٩٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦ و ٦٧.

وقد يُفضَّل شاعر على آخر للمضمون؛ ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى التوزَّي، قال: «أنشد ذو الرّمة قصيدته في بلال بن أبي برده، فلما بلغ قوله:

إذا ابــنُ أبي موســى بــلالاً بلغْتِــه ... فقــام بفــأْسٍ بــين وصــلَيكِ جــازرُ

فقال له عبد الله بن وكيع (ت ٣٩٢هـ) هلاّ قلت كما قال سيدك الفرزدق:

قــد اســتبطأتُ ناجيــةً ذَمــولا[١] ... وإنَّ الهـــمَّ بي وبهـــا لـــسام

إلام تلفّتِـــينَ وأنـــتِ تحتـــي ... وخَـــيْرُ النـــاسِ كلّهـــم أمـــامي

متـــى تـــأْتي الرُّصـــافةَ تَـــسْتَريحي ... مـن التـصدير والـدَّبَر[٢] الـدَّوامي[٣]

وقد يسأل عن تفضيل شاعر على آخر. ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى عمر بن شَبَّه «أنَّ أبا الوليد الرياحي سأل أبا الهذيل العلاء بن الفضل بن سَوِيَّة، أيُّهما أشعر أجرير أم الفرزدق؟ قلت: ذاك إليك. قال: يقول الفرزدق:

مـا حملـت ناقـةٌ مـن مَعـشَرٍ رجـلاً ... مـثلي إذا الـريحُ لفتّنـي عـلى الكُـور

إلاَّ قريـــشاً فـــإنَّ الله فـــضَّلها ... مـــع النبـــوةِ بالإســـلام والخـــيرِ

ويقول جرير:

لا تحسبنَّ مِـراسَ الحـرب إذ لقحـتْ ... شُرْبَ الكَشِيش وأكلَ الخُبـزِ بالـصِّير

سلح والله أبو حَزْرَة، سلح والله أبو حزرة، وكان أبو البيداء عالماً[٥].

---

(١) الناجية: الناقة السريعة. وناقة ذمول: تسير سيراً ليناً.

(٢) صدر بعيره: شد جبلا من حزامه إلى ما وراء الكركرة. الدبر: الجروح.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٧٥ و ٢٧٦. والموشح ص ٩٥ و ٩٦.

(٤) كشيش الشراب: صوت غليانه.

(٥) المرزباني، الموشح، ص ١٨٨.

وقد يُفضَّل شاعر على آخر في غرض المديح؛ ففي خبر أورده المرزباني: أن عبد الملك بن مروان سأل في مجلس من مجالسه من أشعر الناس؟ قال [الأخطل]: أنا. قال الشعبي: فلم أصبر، فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين؟ فعجب من عجلتي، ثم قال: هذا الأخطل. قلت: يا أخطل أشعر منك الذي يقول:

هــــذا غـــلامٌ حَـــسَنٌ وَجْهُـــه   مُقْتَبَـــلُ الخـــيرِ سريـــعُ الـــتمامْ

للحـــارث الأكـــبر والحـــارث الـــ   أصـــغر والحـــارثِ خـــيرِ الأنـــامْ

فقال الأخطل صدق والله النابغة أشعر مني[1].

ويُفضَّل شاعر على آخر لصفة سلبية في شعر الثاني (الضعف)، فالمرزباني قدم حمزة المخزومي الكوفي على أخيه محمد المخزومي، فقال «ضعيف، وأخوه حمزة أشعر منه[2]».

وقد تكون الموازنة غير متحققة حين يوازن الناقد بين أجود ما يعرفه الشاعر وأضعف ما يعرفه لشاعر آخر ففي خبر أورده المرزباني وفي سند يرجع إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

«أن الرشيد سأله: من أشعر، أبو العتاهية - وكان الرشيد يتعصب له - أم العباس بن الأحنف؟ فعرفت السبب، فقلت: أبو العتاهية. قال فأنشدني لهذا ولهذا. فقلت بأيهما أبدأ؟ قال: بعباس. فأنشدته أجود ما أعرفه له:

أُحْـــرَمُ مـــنكمُ بـــما أقـــول، وقـــد   نـــال بـــه العاشـــقون مَـــنْ عَـــشِقُوا

صِرْتُ كـــأني ذبالـــةٌ نُـــصِبتْ   تَـــضيء للنـــاس وهـــي تحـــترق

---

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤٧.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٢٨.

فقال: أحسن فأنشدني لأبي العتاهية: فأنشدته - وأردت عيبه أضعف ما أعرف له:

كــأنَّ عتَّابــةَ مــن حُــسنها دُميــةُ قَــس فتَنــتْ قَــسَّها

يــا ربِّ لــو أنْــسَيْتَنِيها بــما في جنَّــةِ الفــردوس لم أنْــسَها

قال: لغيره من قوله أحسن[1]

ويُفضَّل شاعر على آخر في فن معروف: (النقائض)؛ ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي أن مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ)، قال: «من نظر في نقائض جرير والفرزدق علم أنَّ جريراً لم يَقُمْ للفرزدق»[2].

والمرزباني يؤيد تقديم مروان للفرزدق على جرير في هذا الفن، إذ قال: «وصدق مروان في هذا القول، والأمر فيه ظاهر غير مستتر»[3].

وقد يفضل شاعر على آخر في فنين معروفين: (الجِد والهَزْل). ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي أنّه قال: «بشار يصلح للجِدِّ والهَزْلِ ومروان لا يصلح إلاَّ لأحدهما»[4]

وقد اشتركت المرأة العربية في النقد، فالنوار زوجة الفرزدق تفضل جريراً عليه في الأشعار الحلوة، وتساوي بينهما في الأشعار المرة، فقالت مخاطبة الفرزدق: «هو والله أشعر منك: قال وكيف عَلِمْت ذلك؟ قالت: غلبك على حلوه وشركك في مُرِّه»[5].

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٤٠٦ و ٤٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٩٢.

(٥) المرزباني، الموشح، ص ١٦٩.

والمرزباني يعزو تفضيل النّوار لجرير لأسباب اجتماعية، ويرفضه، حيث قال: «ولا يقبل قول النوار على الفرزدق لمنافرتها إياه»[١].

وقد تكون الموازنة بإقامة تفاضل بين قصيدتين لتقديم شاعر؛ ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى ابن الأعرابي، أنه قال: قيل لجرير: «أيُّهما أشعر أنت في قولك:

حــيَّ الغــداة برامــة الأطــلالا ... رَســماً تحمَّــل أهلُــه فأحــالا

أم الأخطل في جوابها: «كذبتك عينك[٢]؟ قال: هو أشعر مني»[٣].

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي، فإنه قال: جاء مروان بن أبي حفصة إلى يونس بن حبيب ت (١٨٢هـ)، فقال له: «قد قلت شعراً أعرضه عليك، فإن كان جيداً أظهرته، وإن كان رديئاً سترته. وأنشده:

/طَرَقَتْكَ زائرةً فحيِّ خَيالَها/[٤]

قال: فقال له: يا هذا، اذهب فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى - يريد في قوله:

/رحلتْ سُمَيّةُ غُدْوَةً أجْمَالها[٥]/.[٦]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٦٩.

(٢)

نبتْك عينك أم رأيتَ بواسِطٍ ... لسَ الظلام من الربّابِ خَيـالا

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٠٩. وفي رواية ثانية، قال جرير: «ما غلبني إلاَّ في هذه القصيدة».

(٤) تمامة: بيضاء تخلط بالحياء دلالها. ديوانه، تحقيق د. عطوان (حسين). دار المعارف بمصر. ط٢. ١٩٨٢.

(٥) تمامه: غضبي عليك فما تقول بدا لها.

(٦) المرزباني، الموشح ص ٧٤. وفي رواية ثانية. قال بشار بن برد في قصيدة مروان: «أحسنت أنت أشعر فيها من الأعشى في قصيدته التي على رويها». الموشح، ص ٧٥.

المفاضلة بين الأبيات في الأغراض لتقديم الشاعر:

وهي المفاضلة التي اعتمدت موازنة بيت ببيت آخر من الشعر، وتفضيل أحدهما على الآخر، أو بتقديم بيت واحد أو بيتين أو عدة أبيات على سائر ما قيل في غرض أو موضوع شعري.

- المدح:

قال المرزباني في ترجمته لحنظلة بن الشرقي، (أبو الطمحان القيني)، وهو القائل:

وإنِّي مِنَ القومِ الذينَ هُمُ هُمُ ... إذا ماتَ مِنْهُمُ سَيِّدٌ قام صاحِبُهْ

أضَاءَتْ لَهُمْ أحسابُهُم ووجوهُهُمْ ... دُجَى الليل حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقِبُهْ

ويقال: هو أمدح بيت قيل في الجاهلية[1].

وقال المرزباني: قيل لأبي عمرو بن العلاء: «من أمدح الناس؟ قال: الذي يقول[2]:

لَمَسْتُ بكفِّي كفَّه أَبتغِي الْغِنى ... ولم أَدْرِ أَنَّ الجُودَ من كَفِّه يُعدِي

فلا أنا منه ما أفاد ذَوو الغِنَى ... أَفدتُ وأعداني فبذرتُ ما عندِي[3]

وقال المرزباني: «قال الصولي[4] (ت ٣٣٦هـ): ما قالت العرب أمدح من قول الشاعر:[5]

---

(١) السامرائي، د. (إبراهيم)، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني. ص ٤٩ و ٧٢.

(٢) ابن الخياط هو عبد الله بن سالم بن يونس، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية. الموازنة ص ٦٢، والصناعتين ص: ٢٠٠، والوساطة ص: ١٧٢.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢٨.

(٤) هو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن صول ملك جرجان، كان غزير الرواية كثير العلم حسن المذاكرة حافظاً للأشعار والأخبار والملح والنوادر. وهو أحد شيوخ المرزباني.

(٥) شعر زهير بن أبي سلمى، ص ٥٧، صنعة الأعلم الشنتمري، تح: د. فخر الدين قباوة. نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت ط / ٣/ ١٩٨٠.

تـــراه إذا مـــــا جئتـــــه مـــــتهلِّلاً   كأنـك تعطيـه الـذي أنـت سـائله[1]

والمرزباني في ترجمته لعبد الله بن رواحة بن ثعلبة، قال: «من أحسن ما مدح النبي r قوله:

ـَـوْ لَمْ تكُـــنْ فيْــكَ آيــاتٌ مُبَيَّنَـــةٌ   كانــت بديهتــه تُنْبِيــكَ بــالخَبرِ»[2]

وفي رواية المرزباني، قال أبو عمرو بن العلاء: «وأما المديح فبرّز فيه جرير على الناس في قوله:

ألــسْتمْ خــيرَ مَــنْ رَكِــبَ المطايــا   وأَنْــدى الْعــالَمِيْنَ بطــونَ راح»[3]

- الفخر:

قال المرزباني في ترجمته لكعب بن مالك: وهو القائل، ويقال: «إنّه أفخر بيت قالته العرب

وببئــر بــدْرٍ إذ يــردُّ وجــوهَهم   جبريــلُ تحــت لوائنــا ومحمــدُ»[4]

وقال أبو عمرو بن العلاء: «فأما الافتخار فيسبق الناس إليه جرير في قوله:

إذا غَــضِبَتْ عليــك بنــو تَمــيم   حَـسِبْتَ النـاسَ كلَّهـمُ غِـضابا»[5]

وفي رواية المرزباني المسندة إلى أبي عمرو بن العلاء، أنه قال: قال رؤبة: «ما سمعت بأفخر من قول امرئ القيس:

---

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٢٩.
(٢) السامرائي، (إبراهيم)، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني، ص ٩١.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢٧.
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٣٠.
(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٢٧.

فلـو أنَّ مـا أسْـعَى لأدنـى معيـشةٍ كفـاني ولم أطلـب قليـلٌ مـن المـال
ولكـــنّما أســعَى لِمَجْـــدٍ مؤثَّـــلٍ وقـد يُـدْرِكُ المْجْدَ المؤثَّـل أَمْثـالِي[1][2]»

- الهجاء:

في رواية المرزباني، قال أبو عمرو بن العلاء: «وأما الهجاء فبرّز فيه جرير على الناس في قوله:

فغُضَّ الطَّـرْفَ إنَّـك مـن نُمَـيْرٍ فـلا كَعْبـاً بلغـتَ ولا كِلابـا»[3]

وفي رواية المرزباني، قال ابن الأعرابي: «أهجى بيت قالته العرب[4]:

وقـد عَلِمـتْ عِرسَـاكَ أنَّـك آئـبٌ تُخَبِّرُهُم عن جَيشهم كُـلَّ مَرْبَـعِ»[5]

وقال المرزباني في ترجمته لحميد بن ثور بن حَزْن: «كان كلُّ من هاجاه غَلَبَه»[6].

- الرثاء:

قال المرزباني في ترجمته لعبدة بن الطبيب: «وهو الذي رثى قيس بن عاصم المنقري التميمي، ويقول فيها:

وما كـان قـيسٌ هُلْكُـه هُلْـكُ واحـدٍ ولكنَّـــه بنيـــان قَـــوْمٍ تَهَـــدَّما

وقال: كان أبو عمرو بن العلاء، يقول: هذا أرثى بيت قيل»[7]

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٣٣.
(٢) مؤثل: عظيم.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢٧.
(٤) أوس بن حجر، ديوان أوس بن حجر، ص ٦٢. تح: محمد يوسف نجم دار صادر بيروت.
(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٣٠٣.
(٦) السامرائي (إبراهيم) من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني، ص ٤٧.
(٧) السامرائي (إبراهيم) من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني، ص ٩٧. والمرزباني، نور القبس، ص ٢٨.

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع لأبي عمرو بن العلاء، أنه قال: «أحسن المراثي ابتداءً قول أوس بن حجر في فَضالة بن كَلَدَة العبسي:

أَيَّتُهــا الــنَّفْسُ أَجْمِــلِي جَزَعَــا ... إنَّ الــذي تحــذَرِينَ قــد وقَعَــا

إنَّ الــذي جَمَّــعَ الــسَماحَة والــ ... ــنجْدةَ والــبِرَّ والتُقــى جُمَعَــا

الأَلمعِــيُّ الــذي يظُــنُّ لــك الــ ... ــظنَّ كأنْ قَد رأى وقـد سَمِعَا»[1] [2]

وفي الخبر نفسه، قال الصولي: «ولا أعرف ابتداءً بعد هذا أحسن من ابتداء أبي تمام في مرثيته:

/أصَمَّ بك الناعي وإن كان أسْمَعَا[3]/[4]

وفي خبر أورده المرزباني، أن يونس بن حبيب، قال: أشعر بيت قالته العرب قول دريد بن الصمَّة في مرثيته أخاه عبد الله:

صبا ما صبا حتى إذا شاب رأسُه ... وأحْـدَثَ حِلْماً قـال للباطـل ابْعُـدِ

قليـلُ التـشكي للمـصيبات حـافِظٌ ... من اليومِ أدبارَ الأحاديـثِ في غَـدِ[5]»

الغزل:

في خبر أورده المرزباني في سند يرجع للضحاك بن عثمان الحزامي، أنه قال: «من أغزل أبيات قالتها العرب أبيات حسان بن يسار التغلبي حين يقول:

أجـدَّك إنْ دارُ الرّبــاب تباعــدت ... أو انْبَـتَّ حبـلٌ أنَّ قلبــك طــائر[6]

---

(١) الألمعي: الذكي المتوقد.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ٢٨.

(٣) تمامه «وأصبح معنى الجود بعدك بلقعا» ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي جزء /٤/ ص ٩٩ دار المعارف بمصر تح: محمد عبده عزام ـ ١٩٦٥.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص ٢٨.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٥٣.

(٦) المرزباني، الموشح، ص ٢٤٥.

وفي خبر أورده المرزباني، أن أبا عمرو بن العلاء سئل: من أبدعُ الناس بيتاً؟ - والمراد الغزل - فقال: الذي يقول:

لَمْ يَطُلْ لَيلي ولكن لم أَنَمْ نفى عنّي الكَرىَ طيَفٌ أَلَمْ

وفي الخبر نفسه، سئل: «من أغزلُ الناس بيتاً؟ قال: الذي يقول:

خَتَمَ الحُبُّ لها في عُنُقي مَوضعَ الخاتَم من أَهل الذِمَمْ

والبيتان لبشار بن برد»[1]

وفي خبر أورده المرزباني عن الشعبي، أنّه قال: «أغزل بيت قيل في العرب قول الأعشى:

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضها تمشي الهُوينا كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ[2]»[3]

وفي خبر أورده المرزباني، في سند يرجع لابن سيرين (ت ١١٠هـ)، أنه قال: «أنسب بيت قالته العرب قول يزيد بن معاوية:

إذا سِرْتُ ميلاً أو تَغَيَّبْتُ ساعةً دَعَتْني دواعي الحُبّ من آل خالدِ

وقال أبو بكر الهذلي: ذكرت ذلك لمسعر بن كدامٍ، فقال: بل قول كثيّر:

وَمَا أَنْصفَتْ أمّا النساءُ فبغّضتْ إلينا، وأمّا بالنَّوال فضَنَّتِ»[4]

وفي رواية المرزباني، قال ابن الصباح: «أنشدت أبا ملحم السعدي[5] (ت ٢٤٥هـ وقيل ٢٤٨) لعمر بن أبي ربيعة:

---

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٢٨.
(٢) الأغر: الأبيض من كل شيء: أعلاهومن المرأة شعرها، والفرعاء للتام الشّعر. الوَجَى: الحفا. الوَحْل: الطين الرقيق.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤٣.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤١.
(٥) هو محمد بن هشام بن عوف التميمي أعرابي. وكان من أحفظ الناس.

وما نِلْتُ منها مُحْرَماً غَيرَ أننا ⠀⠀ كِلانا من الثوب المضرَّجِ [1] لابسُ

فقال لي: ألا أُنْشِدُك في هذا النحو - والمراد الغزل - ما يسجد هذا له فأنشدني لابن ميادة:

وما نِلتُ منها مَحْرَما غير أنّني ⠀⠀ أُقبِّلُ بَسَّاماً من الثَّغْرِ أَفْلَجَا [2]

وأَلْثُمُ فاها تارةً بعد تارةٍ ⠀⠀ وأترك حاجاتِ النُفوس تَحَرُّجا» [3]

وفي رواية المرزباني، قال دماذ [4]: قلت لأبي العتاهية: «أنشدني أحسن ما قلت في غَزَلك فأنشدني:

يقول أناسٌ: لو نَعَتَّ لنا الهوى ⠀⠀ ووالله ما أدري لهم كيف أنعَتُ

سَقامٌ على جِسْمِي كبيرٌ موسَّعٌ ⠀⠀ ونَومٌ على عَينِي قَليلٌ مُقوَّتُ [5]» [6]

وفي خبر أورده المرزباني، في سند يرجع إلى الشعبي أنه قال: «ما من بني عبد المطلب رجلٌ ولا امرأة إلاَّ قال الشعر غير النبي r وأغزل بيت وأرقه قولهم [7]:

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ واسْبَكَرَّتْ وَأُكمِلَتْ [8] ⠀⠀ فَلَوْ جُنَّ إنسانٌ مِنَ الحُسْنِ جُنَّت» [9]

---

(١) ضرجه: شقه، ولطخه فتضرج، وألقاه. وضرج الثوب: صبغه بالحمرة.

(٢) بَسَمَ يَبْسِمُ بَسْماً وابْتَسَمَ وتَبَسَّمَ: وهو أقل من الضحك وأحسنه، فهو بَسَّام وباسم ومبسام. والمَبْسِمْ: الثَّغْر. وما بَسَمْت في الشيء: ما ذُقْتُه. أَفْلَجَا: تَباعَد ما بين الأسنان.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٢١٣.

(٤) هو أبو غسان رُفَيع بن سَلَمة دِماذٌ هو سلمة هو ابن مسلم بن رُفَيع العَبْديُّ وهو غلام أبي عبيدة.

(٥) مقوت: ممسوك.

(٦) ٢٢٣.

(٧) نسب البيت للشنفرى. الآمدي، الموازنة ص ١٤٣. وقدامة بن جعفر، نقد الشعر ص ١٩٦.

(٨) دقت: تجملت وتحسنت. اسبكرت: اعتدلت واستقامت. جلّت: عظمت.

(٩) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤١

الزهد:

في خبر أورده المرزباني أن الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) قال: «لا أعرف من كلام الشعراء كلاماً هو أرفع ولا أحسن من قول أبي نواس:

أيَّةَ نارٍ قدح القادح ... وأيِّ جِدٍّ بَلَغَ المازِحُ
ـهِ درّ الشّيبِ من واعظٍ ... وناصحٍ لو قُبِلَ النّاصحُ
يأبى الفتى إلا اتِّباعَ الهوى ... ومنهج الحقّ له واضحُ
لا يَجتلِي العَذْراءَ في خِدْرها ... لا امرؤٌ مِيزانُه راجِحُ
فاسْمُ بعَينَيك إلى نِسْوَةٍ ... مُهُورُهنّ العَمَلُ الصالحُ
من اتقَى الله فذاك الذي ... سِيقَ إليه المَتْجرُ الصالحُ»[١]

الحكمة:

في خبر أورده المرزباني في سند يرجع للشعبي أنّ عبد الملك بن مروان، قال له:

«أنشدني أحكم ما قالته العرب وأوجزه»، فقال: قول امرئ القيس:

صُبَّتْ عليه وما تَنْصَبُّ عن أَمَمٍ[٢] ... إن الشقاء على الأَشْقَينَ مَكتوبُ

وقال زهير:

ومن يجعَلِ المعروفَ من دُونِ عِرضهِ ... يَعِرْهُ[٣] ومَن لا يتقَّ الشّتمْ يُشْتَمِ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٠ و ٢٣١.

(٢) الأمم: القرب واليسر والبين من الأمر.

(٣) عرّه: ساءه.

وقال النابغة:

ولستَ بمُستَبْقٍ أخاً لا تَلُمُّه ... على شَعَثٍ[1] أيُّ الرجالِ المُهذَّبُ

وقال عدي بن زيد:

عن المَرء لا تسأَلْ وأَبْصِر قرينَهُ ... فإنّ القَرينَ بالمُقارِنِ مُقْتَدِي

وقال طَرَفَة بن العبد:

ستُبدِي لك الأيّامُ ما كنتَ جاهلاً ... ويَأتِيك بالأخبار من لم تُزَوِّدِ

وقال عَبيد بن الأبرَص:

وكُلُّ ذي غَيبةٍ يَؤُوبُ ... وغائبُ الموتِ لا يَؤوبُ

وقال لُبيد بن رَبيعة:

إذا المرءُ أَسْرَى لَيلةً ظنّ أنّه ... عَمَلاً والمرءُ ما عاش عامِلُ

- ويروي أبياتاً للأعشى والحطيئة، والحارث بن عمرو، والشَّمَّاخ -

فقال عبد الملك: حججتك، يا شعبيُّ، يقول طُفيل الغنويّ:

ولا أُخالِسُ جاري في حليلتهِ ... ولا ابنَ عَمِّيَ غالتني إذاً غُولُ[2]

حتّى يقالَ وقد دُلِيتُ في جَدَثٍ ... أينَ ابنُ عَوفٍ أبو قُرّانِ مجعولُ[3]»[4]

---

(١) الشعث: انتشار الأمر. المهذب: مطهر الأخلاق.

(٢) غالته غول: أهلكته هلكة.

(٣) الجدث: القبر. مجعول: مأخوذ.

(٤) المرزباني، نور القبس، ص ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣.

التفضيل في نطاق الموضوعات الجزئية:

وقد تضيق حدود النظرة النقدية، فتطْلَقُ على أحسن ما قيل في شيء أو في صفة، وأورد المرزباني نماذج متعددة منها: «أحسن ما قيل في الخمرة[1]، وأحسن ما قيل في صفة المشي[2] وأحسن ما قيل في صفة الدروع[3]، وأحسن ما قيل في وصف الجيش[4]، وأحسن ما قيل في وصف الدرّ[5] وأحسن ما وصفت به الرماح[6]، وأحسن ما قيل في الذئب[7] وأشعر أبيات وصُفِ بها الفرس[8].

وسنورد نماذج أخرى، أوردها المرزباني:

قال الأصمعي: «أحسن ما قيل في وصف الإبل، قول عمر بن لجأ:

أنْعَتُهـا إنِّي مـن نُعَّاتِهـا مُندحَّـةَ السُّرّاتِ وادقاتِهـا[9]
مكفوفـةَ الأَخفـاف مُحْمَّراتِهـا سـابغَةَ الأذنـاب ذيّالاتِهـا[10]»[11]

وقال المرزباني: أنشد أبو عمرو بن العلاء لجابر بن وألان، «وهو أحسن ما وصف به الماء:

بَقايَا نِطافٍ[12] أُودِعَ الغَيمُ صَفْوَها مـصقَّلَةَ الأرجـاءِ زُرْقَ المَـشارِبِ

---

(١) المرزباني، نور القبس، ص ٣٠٥.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(٤) المصدر نفسه، ص ١٥١.
(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ٣٠٣.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٧٤.
(٨) المصدر نفسه، ص ١٥٠.
(٩) أي عظيمة الجوف منبسطة دانية من الأرض.
(١٠) يريد أخفافها ليست بمنكَسرةٍ كأنها مكفوفةٌ بِكِفافٍ.
(١١) المرزباني، نور القبس، ص ١٥١.
(١٢) النطاف: الماء الصافي.

ترقـرق مـاءُ الحسـنِ فـيهنَّ والْتَـوَتْ   عليهن أنفاسُ الريـاحِ الغرائـب[1] [2]

وفي خبر أورده المرزباني أنَّ أبا عمرو بن العلاء، قال: «لم أسمع وفي وصف الماء أحسن من قول امرئ القيس:

فلما استطابوا صُبَّ في الصحْن نِصْفُه   وجِيءَ بماء غير طَرْقٍ ولا كَـدِرْ[3]
بـماءِ سـحابٍ زَلَّ عـن مَتْن صَـخرةٍ   إلى جوف أخرى طيّبٍ طعْمُه خَصِرْ[4] [5]

وفي خبر أورده المرزباني أنّ الأصمعي، قال: أجود ما قاله الشعراء، قول امرئ القيس في الطيب:

ألم تَرَيـاني كلّـما جئـتُ طارقـاً   وجـدتُ بها طيبـاً وإنْ لَمْ تَطَيَّـبِ[6]

وفي الخبر نفسه، يقول الأصمعي: «ولا وصف أحد اللون بأحسن من بيتي عمر بن أبي ربيعة:

وَهـيَ مكنونـةٌ تحـيَّرَ منهـا   في أديـم الخَـدَّينِ مـاءُ الـشبابِ
شـفَّ منهـا مُحقَّـقٌ جَنَـديٌّ   فَهْيَ كالشمس من خِلالِ السَّحابِ[7][8]

---

(١) ترقرق: تحرك.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص٢٩.

(٣) الطَّرق: الماء الذي خَوَّضَتْهُ الإبْلُ وَبوَّلت فيه.الكَدَرَة من الحوض: طينة أو ما علاه من طُحْلُب ونحوه.

(٤) الخَصْرُ: البارد من كل شيء.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص٢٩.

(٦) المرزباني، نور القبس، ص١٥٢.

(٧) شَفَّ الثَّوب يشُفِ شُفوفا وشَفيفاً: رَقَّ فحكى ما تحته. المحقق من الثياب: المحكم النسج.

(٨) المرزباني، نور القبس، ص١٤٨.

وفي الخبر نفسه يقول الأصمعي: أحسن ما قيل في وصف عمود الصبح قول ذي الرُّمَّة:

كـأنَّ عمـودَ الـصُّبح جِيـدٌ ولَبَّـةٌ وراءَ الدُّجى من حُرّةِ اللَّونِ حـاسِر[1] [2]

وفي خبر أورده المرزباني أن المأمون سأل أبا عبد الله محمّد بن أبي محمد اليزيدي عن «أحسن ما قيل قي قدم الشراب؟ فقال: قول الحَكَمِيّ:

عُتّقَـتْ حَتَّـى لَـو اتّـصَلَتْ بِلِـسَانٍ نـاطقٍ وفَـمِ
لا حتبَـتْ في القـومِ ماثِلَـةً ثُـمَّ قَـصَّتْ قِـصَّةَ الأمَـمِ[3]

وفي خبر أورده المرزباني أن ابن الأعرابي، قال: أشعر ما قيل في شدّة الحرّ، قول القطامي:

فهـنَّ مُعترِضـاتٌ والحـصى رَمِضٌ والـريحُ سـاكنةٌ والظـلُّ مُعتـدِلُ
حتَّـى وَرَدْنَ رَكِيَّـاتِ الغُـوَيرِ[4] وقـد كـاد المُـلاءُ مـن الكَتَّـان يـشتعِلُ

وبيت جرير بن الخطفي:

أُنِخْـنَ لتغـويرٍ وقَـدْ وَقَـدَ الحَـصَى وذابَ لُعـابُ الـشمسِ فـوقَ الجَماجِـمِ[5] [6]

والتفضيل في نطاق الموضوعات الجزئية لم يتوقف على الأمور الحسية وإنما تعدّاها إلى الأمور المعنوية. ففي موضوع الضيافة، وفي رواية المرزباني، قال

---

(١) شبَّه بياض الصبح في الحمرة بعنق امرأة ولبّتِها، وقوله وراء الدُّجَى أي بعد ما ذهب الدجى.
(٢) المرزباني، نور القبس، ص١٥٢.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص٨٨.
(٤) الرّكية، البئر. الغوير: ماء لبني كلب.
(٥) أونخن: بركن. التغوير: الماء الغائر والكهف.
(٦) المرزباني، نور القبس، ص٣٠٢.

معاوية (ت ٦٠هـ) يوماً لجلسائه: «أي أبيات العرب في الضيافة أحسن وأكثر؟ قالوا ليقل أمير المؤمنين، فقال: قاتل الله أبا النجم حيث يقول:

لقــد علِمــتْ عِــرْسي قِلابــةُ أنني طويــلٌ[١] سـنا نـاري بعيـدٌ خمودهـا
إذا حــلَّ ضــيفي بــالفلاةِ فلَـمْ أجِـدْ سوى منبت الأطناب[٢][٣] شُبَّ وقودُهـا[٤]

وفي موضوع الشيخوخة، وفي رواية المرزباني، قال الأصمعي: «أحسن ما قيل في الكبر قولُ حُمَيد بن ثور:

أرى بَـصَري قَـدْ خـانني بَعْـدَ صِـحَّةٍ وَحَــسْبُكَ داءً أنْ تَـصِحَّ وَتَــسْلَمَا[٥]

وفي موضوع الغَيرة، وفي رواية المرزباني، قال الأصمعي: أحسن ما قيل في الغَيرة قول مسكين الدراميّ:

ألا أيُّهـــا الغـــائر المســـتشيطُ عَـــلامَ تغـــارُ إذَا لَمْ تُغَـــرْ
فَـــما خـــيرُ عـــرس إذا خِــضْتها ومـــا خـــيرُ بيـــتٍ إذا لم يُـــزَرْ
تَغـــارُ عـــلى النـــاس أن ينظـــروا وهــل يَفْــتِنُ الــصالحات النَّظــرْ[٦]

وفي موضوع الاحتفاظ بالمال، وفي رواية المرزباني، قال التوزي: «من أجود الأبيات في الاحتفاظ بالمال بيتُ منجوف بن مُرّة السلمي:

وأدفَــعُ عــن مــالي الحقــوقَ وإنّــه لجَــمٌّ وإنَّ الــدهرَ جَــمٌّ عجائبــهُ[٧]

---

(١) سنا: ضوء.
(٢) الفلاة: القفر، أو الصحراء الواسعة.
(٣) أطناب: عرق الشجر.
(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص١٨٠.
(٥) المرزباني، نور القبس، ص١٤٩.
(٦) المصدر نفسه، ص١٥٢.
(٧) المصدر نفسه، ص٢١٦.

وفي موضوع الصّبر، وفي رواية المرزباني، قال أبو عمرو بن العلاء: أحسن ما قيل في موضوع الصبر:

تَقـول: أراهُ بعـد عُـرْوَةَ لاهِيـاً ... وذلـك رُزْءٌ مـا عَلِمْـتِ جليـلُ
فـلا تَحـسِبي أني تناسَـيْتُ عَهْـدَهُ ... ولكـنَّ صـبري يـا أُمَـيْمُ جَميـلُ

وفي الرواية نفسها، يقول الأصمعي، أحسن ما قيل في الصبر قول أبي ذؤيب:

وتَجلُّـدي للـشامتِين أُريهـمُ ... أنّي لرَيـب الـدَّهرِ لا أتَضَعْـضَعُ(١)

صفة شخصية (الجبن): في رواية المرزباني، قال التوزي: «من أجود الأبيات في الجبن قول نهشل بن حَرِّي:

فلـو أنّ لي نفـسَين كنْـتُ مُقـاتِلاً ... بإحـداهما حتّـى تمـوتَ وأسْـلَمَا(٢)

صفة الكذب في الشعر: في رواية المرزباني، وفي سند يرجع إلى أبي بردة الثقفي اليمامي أنّه قال: «أدركت الناس وهم يزعمون أن أكذب بيت قالته العرب في الجاهلية قول أعشى بني قيس بن ثعلبة:

لـو أسـندَتْ مَيْتـاً إلى نَحْرِهـا ... عـاش ولم يُنْقَـلْ إلى قـابرِ(٣)

ولم يَقْصُرْ النقاد الموازنة على ما قدمنا، بل تعدوا ذلك لينظروا في نتاج الشاعر نفسه، فيقدموا قصيدة على أنها أشعر شعر الشاعر، قال المرزباني: قال الصولي: «إن من أشعر شعر العتابي لقصيدته التي يمدح فيها الرشيد وأولها:

يـا ليلـة بحُـوَّارين سـاهرةً ... حتى تكلّم في الصّبح العـصافير(٤)(٥)

---

(١) المصدر نفسه، ص٢٩.
(٢) المرزباني، نور القبس، ص٢١٦.
(٣) المرزباني، الموشح، ص٦٧ و٧٦ و١١٤. والموشح، ص١٠٦. فقد أورد المرزباني خبراً عن دعبل بن علي يصف بيتاً لمهلهل بن ربيعة، وآخر لأبي الطحان القيني بأنهما من أكذب الأبيات.
(٤) حوارين: بلدة بالبحرين، معجم البلدان، مادة حور.
(٥) المرزباني، الموشح، ص٤٥٠.

والتفاوت يكون في القصيدة الواحدة، ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع للأصمعي أنه قال: «وصدق الفرزدق، بينما النابغة في كلام أسهل من الزلال، وأشد من الصخر إذ لان فذهب ثم أنشدنا له:

سما لك همٌّ ولم تَطْرَبِ ... وَبِتُّ بِبَثٍّ ولم تَنْصَبِ[1]
وقالت سُليمى أرى رأسَهُ ... كَناصيةِ الْفَرسِ الأشْهبِ
وذلك من وقَعَات المنون ... ففيئي[2] إليك ولا تَعجَبي
أتينَ عَلَى إخوتي سبعة ... وعُدْن على رَبْعِيَ الأقربِ

وبعده أبيات. ثم يقول:

فأدخلك الله بردَ الْجِنَا ... ن جَذْلانَ[3] في مَدْخَلٍ طَيِّب

فلان كلامه، حتى لو أن أبا الشَّمقْمق قال هذا البيت لكان رديئاً ضعيفاً.

- ويتابع الأصمعي الخبر قائلاً: «طريق الشعراء إذا أدخلته في باب الخير لان ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي رسول الله (ﷺ) وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيره، لان شعره»[4].

والتفاوت قد يكون في المعاني التي تطرّق إليهما الشاعر، ففي خبر أورده المرزباني عن أبي عمرو بن العلاء أن رؤبة، قال: «ما سمعت بأفخر من قول امرئ القيس»:

فلو أنَّ ما أسعى لأدنى معيشةٍ ... كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكنّما أسعى لمجدٍ موثَّلٍ[5] ... وقد يُدْرِكُ المجد الموثَّل أمثالي

---

(١) البثُّ: الحال، وأشد الحزن، نَصِبَ: أعيا، والنَّصْبُ: الداء والبلاء.
(٢) فيئي: كلمة تأسف.
(٣) جذلان: فرح.
(٤) المرزباني، الموشح، ص٨٩ و٩٠.
(٥) موثَّل: عظيم.

ولا أنذل ولا أبعد من قوله:

لنـــا غـــنمٌ نـــسوِّقها غِـــرارٌ   كـــأنَّ قُـــرونَ جِلَّتِهـــا[(١)] عِـــصِيُّ
فـــتملأُ بيتنـــا أَقِطـــاً وسَـــمناً   وحَسْبُكَ مـن غِنًـى شِـبَعٌ وَرِيُّ[(٢)] [(٣)]

ولم تخل الأحكام من تفاوت في الحكم على المعاني التي تطرق إليها الشاعر، ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى يحيى بن صالح بن بهيس أن أخاه محمد بن صالح «روى له من أشعار أبي نواس في الزهد:

/أخي ما بال قلبك ليس ينقى /

قلت: أحسن والله. قال أولا أنشدك أحسن من هذا؟ قلت: بلى: فأنشدني:

ســـــاءك الـــدَّهر بـــشيءٍ   ولَمـــــــا سَرَّك أكْثَـــــــرْ
يـــا كبـــيرَ الـــذنب عفـــو اللـــــ   ـــــه مِـــنْ ذنبـــك أكْـــبَرْ

قلت : أحسن والله وأجاد، وما ظننته إذا سلك غير طريقة يُحْسنُ هذا الإحسان فيه.

قال: أفما سمعت مرثيته للأمين؟ قلت: فأنشدني:

طـوى المُـوتُ مـا بينـي وبـين محمـدٍ   ولـيس لمـا تطـوي المنيـةُ نـاشرُ

فقلتُ: بحق ما غلب هذا على أهل الأدب، وقدموه على غيره من الشعراء[(٤)].

---

(١) الجلة: جمع جليل، وهو المسن من الغنم وغيرها.

(٢) الأَقَطُ: شيء يُتَخَذُ من المَخيضِ الغَنَمِيِّ.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص٣٣، والموشح، ص٢٦. الموشح، ص٤٤١، في تفاوت المعاني في شعر أبي نواس.

(٤) المرزباني، الموشح، ص٤٢٤ و٤٢٥.

وقد تفاوت شعر الشعراء في الجودة، ففي رواية المرزباني، قال: حدثني أبو الحسن بن هارون المنجم (ت ٣٥٢هـ)، قال[١]: «حضر (أحمد بن أبي طاهر) مجلس جدي أبي الحسن علي بن يحيى يوماً بعد أن أخلَّ به أياماً، فعاتبه أبو الحسن على انقطاعه عنه، فقال أحمد: كنت متشاغلاً باختيار شعر امرئ القيس: فأنكر عليه أبو الحسن قوله هذا وقال: أما تستحي من هذا القول؟ وأي مرذول في شعر امرئ القيس حتى تحتاجَ إلى اختياره! واتسع القولُ بينهما في ذلك إلى أن قال أبي - أبو عبد الله - هارون بن علي لأبيه أبي الحسن: قد صدقت يا سيدي في وصف شعر امرئ القيس، ولكن فيه ما يفضل بعضُه بعضاً. وإلاّ فقوله:

يـــا هنْـــدُ لا تَنْكِحـــي بوهَـــةً ... عليـــه عَقيقتُـــه أحـــسبَا[٢]

مُرسَّـــعةٌ بـــين أرْباقـــهِ ... بـــه عَـــسَمٌ يبتغـــي أرنبَـــا[٣]

ليجعـــلَ في ســـاقه كعْبهـــا ... حِـــذارَ المنيـــةِ أن يَعْطَبَـــا

ولـــستُ بِخزْرافـــةٍ في القُعـــودِ ... ولَـــستُ بطَيَّاخـــةٍ أخْـــدَبا[٤]

ولـــستُ بـــذي رَثْيـــةَ إمَّـــرٍ ... إذا قِيـــدَ مُـــسْتكرَهاً أصْـــحَبَا[٥]

أهو مما يختار ويوصف بهذه الأوصاف، مع ما في هذه الأبيات من حوشي الكلام، وجساء الألفاظ وخلوها من كثير من الفائدة؟[٦]».

---

(١) الخبر يجمع بين الحكم الانطباعي والتعليل الموضوعي.

(٢) البوهة: طائر يشبه البومة. عقيقته: شعره الذي ولد به. والأحسب: من الحسبة، وهي صهبة تضرب إلى الحمرة، وهي مذمومة عند العرب.

(٣) رَسَعُ الصبي: شدُّ في يديه أو رجله خرزاً لدفع العين. والعسم: يبس في الرسغ واعوجاج.

(٤) الخزرافة: الذي يضطرب في جلوسه. والطياخة: الذي لا يزال يقع في سوء حمقه. والأخدب: الذي يركب رأسه ولا يبالي.

(٥) رجل مرثوء: ضعيف العقل. والرثية: العلة. والإمذَر: الضعيف. وأصحب: انقاد.

(٦) المرزباني، الموشح، ص٤٣ و٤٤.

والتفاوت في شعر الشاعر جملة لم يخل من نظرات نقدية، فالمرزباني أورد عدّة روايات حول تفاوت شعر النابغة الجعدي، فالأصمعي قال: «الشعر الأول من قوله جيد والآخر كأنه مسروق وليس بجيد.

وابن سلام[١] (ت ٢٣١هـ وقيل ٢٣٢هـ) قال: كان الجعدي مختلف الشعر.. والفرزدق (ت١١٠هـ) وصفه - بصاحب الخُلْقان[٢] يرى عنده ثوبُ خَزٍّ وثوبُ عَصب وإلى جنبه سَمَل كساء[٣].

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع لأحمد بن خلاد، أنه قال: حدثني أبي قلت لعُمارة بن عقيل (ت٢٣٩هـ): «ما تقول في شعر أبيك جرير؟ قال: والله إني لأربأ عن بعضه ولكن فيه الكثير الذي لا يلحقه فيه أحد»[٤].

وأورد المرزباني عدّة روايات حول تفاوت شعر أبي تمام، فدعبل سئل عن أبي تمام، فقال: «ثلث شعره سرقة وثلثه غث - أو قال غثاء - وثلثه صالح»[٥]. ومثقال الشاعر - محمد بن يعقوب الواسطي - قال: «قلت لأبي تمام تقول البيت الجيد ثم تقول الرديء! فقال مثل هذا رجل له عشرة بنين منهم واحد أعمى فلا يحب أن يموت. ويعدُّ المرزباني دفاع أبي تمام حجة ضعيفة جداً»[٦].

وعبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ)، قال: «شعر أبي تمام بلغ غايات الإساءة والإحسان»[٧].

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم مولى عثمان بن مظعون الجمحي.
(٢) صاحب الخلقان: هو الذي يبيع قديم الثياب في السوق. العصب: من أجود برود اليمن. والخز: الحرير. والسمل: الخلق من الثياب.
(٣) المرزباني، الموشح، ص٩٠ و٩١. وهناك روايتان للفرزدق والأصمعي لا تخرجان عن وصف الفرزدق.
(٤) المرزباني، الموشح، ص١٨٩.
(٥) المرزباني، الموشح، ص٤٦٥ و٤٦٦.
(٦) المرزباني، الموشح، ص٤٩٣.
(٧) المرزباني، الموشح، ص٤٧٠.

خاتمة

كان الهدف من هذا الفصل إبراز ظاهرة النقد الانطباعي، التي رافقت حركة النقد حتى نهاية الفترة التي عاش فيها المرزباني ومن خلال آثاره.

ويتضح أنَّ هذا النوع من النقد تمحور في أساسيات: تقديمُ شاعر من الشعراء على سواه ويمكن أن يكون عاماً أو خاصاً، أو من خلال موازنة ثنائية، أو بتقديم بيت من الشعر على أنه أفضلُ ما قيل في غرضٍ من الأغراضِ الشعرية أو موضوعٍ من الموضوعات.

وقد استخدم النقاد صيغتين في إطلاق أحكامهم النقدية:

الأولى: استخدام صيغة التفضيل (أشعر، أمدح، أفخر، أهجى، أرثى، أغزل، أحكم، أحسن، أجود).

الثانية: التفضيل الضمني (يعجبني، لا يعجبني، نستشنع، لم يكن يحسن أن يتعشق، برّز، يسبق، يسجد، هذا لهذا، هلاّ قلت كما قال سيدك).

وإن إسهام المرزباني في إطلاق أحكام انطباعية، يوحي بأنه يقف موقفاً إيجابياً من هذا النوع من النقد.

وإن كان هذا النقد يرجع إلى الطبيعة كما أشار إسحاق الموصلي: «سألني محمد الأمين في شعرين متقاربين، قال اختر أحدهما فاخترت، فقال من أين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان؟ فقلت: لو تفاوتا لأمكنني التبين ولكنهما تقاربا وفضل هذا بشيء تشهد به الطبيعة ولا يعبر عنه اللسان»[1].

ولكنَّ هذا النقد الانطباعي ما لبث أن غدا موضوعياً كما سنرى في الفصل الثاني.

---

(١) الآمدي، الموازنة، ص٣٧٦.

الفصل الثاني
النقد التعليلي

لا شك في أن السؤال عن السبب الذي حدا الناقد على تقديم شاعر على آخر بصيغة انطباعية، وإجابةِ الناقد على التساؤل، يشكل خطوة متطورة في مجال النقد.

ففي خبر أورده المرزباني، أن أبا حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ)، قال: «قلت للأصمعي أبشَّارُ (بن برد) أشعر أو مروان (بن أبي حفصة)؟ قال: فقال: بشار أشعرهما. قلت وكيف ذاك؟ قال: لأن مروان سلك طريقاً كَثُرَ سُلاّكه فلم يلحق بمن تقدمه، وأنّ بشاراً سلك طريقاً لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر، وأقوى على التصرف، وأغزر بديعاً، ومروان آخذ بمسالك الأوائل»[1].

فالأصمعي يُقَدِّم بشاراً على مروان لأسباب موضوعية: الابتكار، كثرة الفنون الشعرية، وغزارة البديع بالقياس إلى ما في شعر مروان منه، بينما مروان يحاكي القدماء في مسالك الشعر، دون أن يرقى إلى مرتبتهم.

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى أبي الغوث يحيى بن البحتري عن أبيه، أنه قال: «لا أرى أن أُكلِّم من يُفَضِّل جريراً على الفرزدق، ولا أُعُدُّه من العلماء بالشعر. فقيل له: وكيف وكلامك أشدُّ انتساباً إلى كلام جرير منه إلى الفرزدق؟

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٣٩١ و٣٩٢.

فقال: كذا يقول من لا يعرف الشعر، لعمري إن طبعي بطبع جرير أشبه، ولكن من أين لجرير معاني الفرزدق وحسنُ اختراعه؟ جريرٌ يُجيدُ النسيبَ، ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء، بالقين[1] وقتل الزُّبَير[2]، وبأخته جِعْثِن[3]، وامرأته النوار، والفرزدق يهجوه في كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها ويبدع فيها»[4].

فالبحتري يُقَدِّم الفرزدق على جرير لتفوقه عليه في المعاني الشعرية وحسن الاختراع ولاسيما في فن الهجاء.

وفي خبر أورده المرزباني، أن أبا أحمد يحيى بن المنجم (ت٣٠٠هـ) بعث برسالة إلى علي بن عيسى، وقد ورد فيها: «أن (كلثوم بن عمرو) العتابي متكلِّف والعباس (بن الأحنف) يتدفق طبعاً، وكلام هذا سهل عذب، وكلام ذاك متعقد كَز ولشعر هذا ماء ورقّة وحلاوة، وفي شعر ذاك غِلَظ وجساوة، وشعر هذا في فنٍّ واحد - الغزل - فأكثر فيه وأحسن، وقد افتَنَّ العتَّابي فلم يخرج في شيء عمّا وصفناه به»[5].

---

(١) قال الفرزدق: إن عمَّتي كان لها قين، فلما هجاني جرير جعلني قيناً بذلك السبب، المرزباني، الموشح، ص١٩٤.

(٢) أما الزُّبير فإنَّه وقف على مسجد بني مجاشع، فيسأل عن عياض بن حمار بن أبي حمار، فقال النَعر بن زهَّام المجاشعي: هو بوادي السباع، فمضى الزبير يريده، وخرج النَّعر بن زهَّام مع الزبير حتى بلغ النحيث ثم رجع. الموشح، ص١٩٤.

(٣) جعثن: أخت الفرزدق، كانت من خير نساء زمانها، احتال بنو مِنْقَر فأقعدوا إنساناً في طريقها، وقد خرجت لبعض أمرها، فرمى بها ومضى يعد وليزيلوا عن أنفسهم شيئاً زعموا أنَّ الفرزدق فعله بهم. الموشح، ص١٩٣. نقائض جرير والفرزدق، ص٦٨٢. طبعة ليدن ـ مطبعة بريل - سنة ١٩٠٧.

(٤) الموشح، ص١٩٧ و١٩٨. وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى أبي عبيدة، قال: سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول ـ وكان أعلم الناس بالشعر وأنقدهم له، وأحسن الرواة ديناً وثقةً - لم يهج جرير الفرزدق إلا بثلاثة أشياء يكررها في شعره، كلها كذب منها: جعثن والزبير والقين. الموشح، ص١٩٣ - ١٩٤.

(٥) المرزباني، الموشح، ص٥٤٠.

فيحيى بن علي المنجم يقدِّم العباس بن الأحنف على العتّابي كلثوم بن عمرو، لأنه مطبوع ينثالُ الشعرُ على لسانه دونَ عناءٍ فأتى كلامه سهلاً عذباً ينبض رونقا ورقة وحلاوة جرس، وقد وقف شعرَه على فن الغزل فأكثر وأجاد، بينما العتّابي متكلّف يجد عناءً في قول الشعر، على الرغم من كثرة فنونه، وكلامُهُ معقدٌ يَرْكَبُ بعضُه بعضاً فلا يفصح عمّا يريد.

وهذا النقد التعليلي يتبدى في حديث النقاد عن الأغراض الشعرية المنوَّعة.

المدح:

في خبر أورده المرزباني أنَّ الحجاج (ت٩٥هـ)، قال للفرزدق وجرير - وبين يديه جارية -: «أيُّكما مدحني ببيت فُضِّل فيه فهذه الجاريةُ له، فقال الفرزدق:

فمن يأمنِ الحجّاجَ والطيرُ تتّقي ... عقوبتَه إلا ضعيفُ العزائمِ

وقال جرير:

فمن يأمن الحجّاجَ أمّا عقابُه ... فمرٌّ وأمّا عهدُهُ، فوثيقُ

فقال الحجاج: «والطير تَتَّقي عقوبته» كلام لا خير فيه لأنّ الطير تَتَّقي كلَّ شيء: «الثوب، والصبي، وغير ذلك، خذها يا جرير»[1].

والحجاج إنَّما قدم جريراً على الفرزدق لعلَّة معنوية. فانتفاء الطير للعقوبة ليس من قبيل المديح في رأيه، وإذاً فليس ثمّة ائتلاف بين المعنى والغرض المُعالج.

وأورد المرزباني خبراً يعود إلى محمد بن سلاَّم، أنه قال: قال يونس: «أنشد كُثَيِّر عبد الملك بن مروان مِدْحَتَه التي يقول فيها:

---

(١) المرزباني، الموشح، ص١٧٨ و١٧٩.

على ابنِ أبي العاصِي دِلاَصٌ حصينةٌ   أجَاد المُسَدِّي سَرْدَها وأَذَالَهَا[1]
يَؤُودُ ضعيفَ القومِ حملُ قتيرِها   ويستضْلِعُ القومُ الأشمُّ احتمالَهَا[2]

فقال عبد الملك: قول الأعشى لقيس بن معدي كرب أحبُّ إِلَيَّ من قولك إذ تقول: وقال ابن أبي خيثمه في حديثه: ألا قُلْتَ كما قال الأعشى:

وإذَا تجيءُ كتيبةٌ ملمومةٌ   خرساءُ يخشى الذائدون نِهالَهَا[3]
كنت المُقَدَّمَ غيرَ لابسِ جُنَّةٍ[4]   بالسيف تَضْرِبُ مُعلِماً أبطالَهَا

فقال يا أمير المؤمنين، وصَفَ الأعشى صاحبه بالطيش والخُرْقِ والتغرير، ووصفتك بالحزم والعزم، فأرضاه. وقال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: رأيت أهل العلم[5] بالشعر يفضِّلون قول الأعشى في هذا المعنى على قول كُثَيِّر؛ لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الوسط، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة، على أنه وإن كان لِبْسُ الجنَّة أولى بالحزم وأحَقَّ بالصواب، ففي وصف الأعشى دليلٌ قويٌّ على شِدَّة شجاعة صاحبه؛ لأَنَّ الصواب له، ولا لغيره إلا لِبسُ الجُنَّة.

وقول كُثَيِّر يقصر عن الوصف[6].

وفي هذا الخبر يندمج النقد الانطباعي والنقد الموضوعي، فقول عبد الملك: أحبُّ إِليَّ من قولك) تِلقائي يقوم على الذوق لا التعليل، وقول المرزباني نقلاً عن قدامة تعليلي يقوم على المفاضلة بين المعاني ويُفضّل المبالغة.

---

(١) الدلاص من الدروع اللينة الملساء. سَرَدَها: نَسَجَها وتداخلَ الحلق بعضها في بعض. وأذالَها: أطَال ذيلها.

(٢) القتير: رؤوس المسامير في الدروع. ويستضلع: يستثقل.

(٣) ملمومة: مجتمعة. يذود: يدافع. نهالها: يريد رماحها وسيوفها.

(٤) الجُنَّة: كل ما وقاك.

(٥) القول لقدامة بن جعفر. قدامة، نقد الشعر، ص٩٩ و١٠٠.

(٦) المرزباني، الموشح، ص٢٣٠ و٢٣١ و٢٣٢.

وأورد المرزباني خبراً. أنشد كثيِّر عزَّة عبد الملك بن مروان قوله:

فـما رَجَّعوهـا عُنـوةً عـن مـودَّةٍ ... ولكـنْ بحـدِّ المَـشْرَ فيِّ اسـتقالَهَا

فقال للأخطل: كيف تسمع؟ قال: هجاك يا أمير المؤمنين. قال: بل حسدته، فقال الأخطل: ما قلت لك يا أمير المؤمنين أحسنُ من هذا حيث أقول:

مَلَوُّا مـن الشـَّهْرِ الحـرامِ فأصبَحوا ... مـواليَ مُلْـكٍ لا طريـف ولا غـصب

فجعلتُه لك حقّاً وجعلك اغتصبتَه[1].

والمعيار النقدي الذي اتكأ عليه الأخطل في تفضيل نفسه إنما هو ائتلاف المعنى والغرض. والمرزباني قال: أخبرني الصولي، قال: «عاب قوم على أبي تمام قوله»:

كـأنَّ بنـي نبْهـان يـوم وفاتـه ... نجـومُ سـماءٍ خـرَّ مِـنْ بينهـا البـدرُ

فقالوا: أراد أن يمدحه فهجاه، لأن أهله كانوا خاملين فلما مات أضاؤوا بموته. وقالوا: كان يجب أن يقول كما قال الخُرَيْمِيُّ[2]:

إذا قمـرٌ مـنهم تغـوَّر أو خبـا ... بـدا قمـرٌ في جانـب الأُفـق يلمـعُ[3]

فالمعنى في قول أبي تمام لا يأتلف مع الغرض وهو المديح، بل يخرج إلى نقيضه (الهجاء) خلافاً لما جاء في قول الخُريمي، فهو يحقق هذا الائتلاف.

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٢٣٦.

(٢) هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهى المعروف بالخريمي من شعراء الدولة العباسية.

(٣) المرزباني، الموشح، ص٤٩٥، الموشح، ص٤٦٩ و٤٧٠. ثمَّة للخبر رواية ثانية ليس فيها جديد على الصعيد النقدي.

الفخر:

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني - رحمه الله - في بيت حسان بن ثابت:

وَلَدْنا بني العنقاء وابْنَي مُحَرِّق[1] فأكرِم بنا خالاً وأكرم بنا ابنما

فأما قوله: «فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك[2]، فلا عذر عندي لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر.

وقد احترس من مثل هذا الزلل رجلٌ من كَلْب؛ فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره مِمَّن ولده نساؤهم:

وعبدَ العزيزِ قَدْ وَلَدْنَا ومُصْعَبا وكلبٌ أبٌ للصالحين ولودُ

فإنه لما فخر بمن ولده نساؤهم فضَّل رجالهم، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين، وجمع ذلك في بيت واحد، فأحسن وأجاد[3].

فخرُ حسان بالأبناء لا بالآباء يخالف خصلة يتصف بها العرب: تمجيد الأجداد. وإذا كان ذلك كذلك فإن هذا الفخرَ لا يحقق الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج وهو الفخر، خلافاً لما جاء في قول الشاعر الآخر، فهو يحقق هذا الائتلاف.

الهجاء:

قال الشيخ أبو عبد الله المرزباني رحمه الله: «وكثير من أهل الأدب ينكر خبث لسان علي بن العباس الرومي، ويطعن عليه بكثرة هجائه، حتى جعلوه في ذلك أوحد لا نظير له، ويضربون عن إضافة البحتري وإلحاقه به، مع

---

(١) العنقاء: هو ثعلبة بن عمر مزيقياء بن عامر ماء السماء. ومُحَرِّق هو الحارث بن عمرو مزيقياء.

(٢) القول النقدي للنابغة الذبياني. الموشح، ص٨٢ و٨٣.

(٣) المرزباني، الموشح، ص٨٤.

إحسان ابن الرومي في إساءته، وقصور البحتري مداه فيه، وأنه لم يبلغ في دِقَّة معانيه وجودة ألفاظه وبدائع اختراعه، أعني الهجاء خاصة؛ لأن البحتري قد هجا نحواً من أربعين رئيساً ممن مدحه منهم خليفتان، وهما المنتصر والمستعين، وساق بعدهما الوزراء ورؤساء القوَّاد ومن جرى مجراهم من جِلّة الكتّاب والعمال ووجوه القضاة والكبراء بعد أن مدحهم وأخذ جوائزهم؛ وحاله في ذلك تنبي عن سوء العهد، وخبث الطريقة... ولم أذكر حاله في ذلك على طريق التحامل مع اعتقادي فضله وتقديمه، ولكني أحببت أن أُبَيِّن أمره لمن لعله انستر عنه»(١).

المرزباني يقدّم البحتري في قول الشعر، ولعل ذلك لما عرف به من استعداد فطري لقول الشعر، ولما في شعره من سلاسة موسيقية ووضوح... ولكنه يحكم معيار الصدق الخلقي في تقييم هجائه فيأخذ عليه الخِنْثَ بالعهد والخُبْثَ في المنهج الهجائي.

الغزل:

وللغزل - سواء أكان عذرياً أم حسيّاً - مواصفات إذا خرج أحد الشعراء عنها تأخر وتقدّم عليه غيره:

ففي خبر أورده المرزباني وفي سند يرجع إلى محمد بن يزيد المبرّد، قال: «عيب على الفرزدق قوله:

يـا أخـتَ ناجيَـةَ بْـنَ سَـامةَ إنني   أخـشى عليـك بَنـيَّ إنْ طلبـوا دمـي

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٥١٤ و٥١٥. المرزباني، معجم الشعراء، ص١٤٥. فقد وازن المرزباني بين ابن الرومي والبحتري ولا يخرج النص في معناه العام عمّا أخذناه عن الموشّح.

قالوا: ما للمتغزِّل وذكر الأولاد والاحتجاج بطلب الثارات؟ هلَّا قال كما قال جرير[1]:

قتلننـــــا ثـــــم لم يحيـــــين قتلانـــــا[2]

فما نقله المبرّد يشتمل ضمناً على معيار نقدي: التفاوت بين المعنى والغرض المعالج، فالفرزدق خرج عن الغزل إلى الفخر بذكره الأولاد وطلبهم للثأر خلافاً لجرير الذي تحدث عن العيون الحوراء وتأثيرِها في العاشق بأسلوب رقيق جاء فيه المعنى مبالغاً فيه، ولكنه يأتلف مع الغرض المطلوب وهو الغزل.

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، قال: "قالت امرأة لكثيِّر: أنت القائل:

فــما رَوضــةٌ بــالحَزْن طيّبــةُ الثــرى ... يَمُــجُّ النَّــدَى جَثجاثُهــا[3] وعرارُهــا

بأطيــب مــن أردان عَــزَّة مَوهِنــا ... إذا أوقدت بالمنـدل الرطـب نارُهـا[4]

قال: نعم. قالت: فضّ الله فاك، أرأيت لو أن ميمونة الزنجية بُخِّرَتَ بمندل رطب أما كانت تطيب؟ ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

ألم تـــر أني كلـــما جئـــت طارقـــاً ... وجدت بهـا طيبـاً وإن لم تطيَّـبِ[5][6]

---

(١) صدر البيت / إنّ العيون التي في طرفها حور / ديوان جرير (بشرح محمد بن حبيب). د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٢) المرزباني، الموشح، ص١٨٢.

(٣) في الصناعتين: حوذانها، والحوذان: نبت. ص٩٧.

(٤) قال المبرد: الجثجاث: ريحانة طيبة الريح برية، والعرار: البهار البري، وهو حسن الصفرة طيب الريح، والمندل: العود، وقوله: موهنا، يقول بعد هدء من الليل.

(٥) في الديوان: ألم ترياني. ديوان امرئ القيس، ص٤١، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/٣/ دار المعارف بمصر.

(٦) المرزباني، الموشح، ص٢٣٩. وأورد المرزباني روايتين أخريين لا يقدمان جديداً على الصعيد النقدي. والعسكري، الصناعتين، ص٩٧.

فالشاعران يعالجان موضوعاً واحداً في الغزل /طيب عرق المرأة/ ولكنّ كُثيِّراً ذهب إلى أن صاحبته تتطيب بالبخور فأوحى بذلك بأن طيب الرائحة ليس طبيعة في جسدها، خلافاً لامرئ القيس الذي وصف صاحبته بأنها طيبة الرائحة وإن لم تستخدم الطيب. فقوله تناسب مع فن الغزل في حين أن رائحة الهجاء تُشمُّ من قول كُثيِّر، فقول امرئ القيس أكثر ملاءمة للغزل من قول كثيِّرٍ.

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى محمد بن يزيد النحوي، قال: «أنشد بشار بيت كُثيِّر»:

ألا إنَّما ليلى عَصا خيزرانةٍ ذا غمزُوها بالأكفِّ تلين

قال: فضحك وقال: لله أبو صخْر جعلها عصا ثم يعتذر لها، والله لو جعلها عصا مُخّ أو عصا زُبْد لكان قد أساء. ألا قال كما قلت:

إذا قامت لسُبحتها تثنَّت كأنَّ عظامها من خيزُران

قال: والخيزرانة كلُّ غصن ليِّن يتثنى[1]

والخبر هنا يعرض لموضوع غزلي واحد «لين قوام المرأة» ولكنّ كيفيةَ التعبير عنه جاءت مختلفة عند الشاعرين، فكثيرٌ لم يوفق في التعبير عن الموضوع وذلك لأنه عقد مماثلة بين صاحبته والعصا التي توحي بالصلابة فأفسد الصورة، بينما وفق بشار لإقامته مشابهة بين عظام صاحبته والخيزرانة، فهي كل غصن ليّن يتثنى إذا اعتمد عليه[2].

---

(١) المرزباني، الموشح ص٢٤٧ و٢٤٨. ويوجد رواية ثانية لا تقدم شيئاً جديداً. الموشح، ص٢٤٨.

(٢) لقد علق الدكتور عبد الجبار المطلبي على هذا الخبر، بقوله: «فليست لفظة «عصا» موفقة لأنها توحي بالصلابة وتفسد الصورة التي يهدف الشاعر إلى رسمها، فهي، هنا، ليست شعرية أو في الأدق ليست مناسبة». المطلبي (عبد الجبار) الشعراء نقاداً، ص١٩٥. ط أولى بغداد. تاريخ ١٩٨٦.

وفي خبر أورده المرزباني يرجع إلى الأصمعي: «أنه سمع قول الأعشى:

ـأن مَّـِشْ يتَها مـن بيـت جارَتهـا   مَـرُّ الـسحابةِ لا ريـثٌ ولا عَجَـلُ

فقال: لقد جعلها خرَّاجةً ولّاجة، هلَّا قال كما قال الآخر:

ويُكْرِمُهـا جاراتُهـا فَيُزرنهـا   وتعتـل عـن إتيـانهن فتُعـذَرُ[١]

جاء نقد الأصمعي مصبوغاً بصبغة اجتماعية، فهو يقدم قول الآخر على قول الأعشى، لأن صاحبة الأخير تقوم بزيارة جارتها وتعود من بيتها متمهلة لا مبطئة ولا مسرعة، وفي ذلك ما يوحي عند الأصمعي بأنها تكثر من زيارة الجارات فهي (خراجة ولّاجة) كما يقول، بينما صاحبة الآخر تتمنع عن زيارة الجارات وتتعلل فيقبلُ عذرَها، ويتوافد الجاراتُ إليها زائراتٍ إكراماً لها. ولا نخطئ في هذا التقويم النزعة الطبقية في تفكير الأصمعي، لأن قول الأعشى يومي باتزان صاحبته وحسن معاشرتها ولولا تفكيره الطبقي لرأى في تمنع صاحبة الآخر عن زيارة الجارات وما يوحي به هذا التمنع من تعالٍ على الناس مَثْلَبةٌ منكرة.

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى المبرّد، قال: «قال الأعشى:

وتـبرُدُ بـردَ رداءِ العـرو   س بالـصّيف رَقْرَقْـتَ فيـه العبـيرا[٢]

وتـسْخنُ ليلـة لا يـستطيعُ   نُباحـاً بهـا الكلـبُ إلا هريـرا[٣]

فتُقبِّل هذا الكلام واستُحسن؛ ثم قيل في عيبه: إنه أتى به في بيتين وطوَّل به الخطاب.

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٦٦.

(٢) رداء العروس: وشاحها. والعبير: أخلاط من الطيب، أي: إن جسمها بارد في الصيف.

(٣) الهرير: صوت دون النباح.

وأجود منه قول طرفه:

تَطْـــرُدُ الْـــبَرْدَ بِحَـــرٍّ ســـاخنٍ وعكيـــكَ الْقَـــيظِ إنْ جـــاءَ بِقُـــرْ[1]

وقيل: هذا أجمع وأخصر»[2].

والمعيار الذي يستنبط من هذا الخبر إنما هو (الإيجاز) وبسببه قدّم قول طرفة في الجودة على قول الأعشى في تصوير موضوع واحد «وصف حرارة الجسم».

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى عروة بن عبيد الله بن عروة بن الزبير، قال: «كان عروة بن أذينة نازلاً مع أبي قصر عروة بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه الأبيات التي أولها:

إنَّ الّتـــي زعمـــتْ فـــؤادُكَ مَلَّهـــا جُعلتْ هواك كما جُعِلْـتَ هـوًى لهـا

قال عروة: فجاءني أبو السائب المخزومي يوماً بالعقيق فألفاني في مجلس بئر عروة، فسلّم وجلس إليَّ، فقلت له بعد الترحيب به: ألك حاجة يا أبا السائب؟ قال: وكما تكون الحاجة، أبيات لعروة بن أذينة بلغني أنك سمعتها منه: قلت أي أبياته؟ قال: وهل يخفى القمر؟ قوله: /إنَّ التي زعمت فؤادك ملَّها/ فأنشدته إياها، فقال: ما يروي هذه إلا أهل المعرفة والعقل، هذا والله الصادق الود، الدائم العهد، / لا الهذلي[3] الذي يقول:

إنْ كـــان أهلُـــكِ يمنعونـــك رغْبَـــةً عَنِّـــي فـــأَهْلِي بي أَضَـــنُّ وأرغَـــبُ

لقد عدا الأعرابي طَوْرَه، وإني لأرجو أن يغفر الله لصاحب الأبيات في حسن الظن بها وطلب العذر لها»[4].

---

(١) حرعكيك: شديد. والقرُّ: البرد.
(٢) المرزباني، الموشح، ص٧٣-٧٤
(٣) هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي. شاعر إسلامي.
(٤) المرزباني، الموشح، ص٣٥٩

فالمعيار النقدي في هذا الخبر: «صادق العاطفة» واتكاءً عليه قدّم السائب المخزومي عروة بن أذينة على الهذلي فذهب إلى أن عروة صادق الود دائم العهد بينما وضع الهذلي نفسه في مقام حبيبته تمنعاً.

الوصف:

في خبر أورده المرزباني في سند يرجع الأول منهما إلى محمد بن سلاَّم، والثاني إلى يوسف بن الماجئون، قالا: ذكر شعر عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة والحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي عند ابن أبي عتيق وفي المجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة. فقال: «صاحبنا الحارث أشعرهما... وفي الخبر يقول الخالدي: صاحبنا الذي يقول:

إني وما نحروا غداةَ مِنًى ... عنْدَ الجِمار تَؤودها العقْلُ[1]

لو بُدِّلتْ أعْلَى منازِلها ... سِفلاً وأصبح سِفلُها يَعلو

فيكادُ يعرفُها الخبيرُ بها ... فيردُّه الإقواءُ والمَحْلُ[2]

عَرَفت مُعناها بما ضَمِنتْ ... منِّي الضلُوعُ لأهْلِها قَبْلُ

فقال له ابن أبي عتيق: يا بن أخي؛ استر على صاحبك، ولا تشاهد المحاضر بمثل هذا، أما تطيَّر الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله - وقال ابن سلاَّم: فجعل سفله علواً - ما بقي إلا أن يسأل لها حجارة من سجيل، ابن أبي ربيعة كان أحسن صحبة من صاحبك وأجمل مخاطبة حين يقول:

سائلا الرّبْعَ بالْبُلَيِّ وقولاً ... هِجْتَ شوقاً لي الغداةَ طويلا[3]

أينَ حَيٌّ حلّوك إذْ أنتَ محفوفٌ ... بهم آهِلٌ أراكَ جميلا

---

(١) يؤدُّها: من أدّه الأمر يؤدُّه إذا دهاه، والعقل: الحبسى.

(٢) أقوت الدار: أقفرت وخلت من أهلها. والمحل: الجدب.

(٣) البلى: اسم موضع. وهجت: أُثِرْتُ.

ويروي:

قال: ساروا فأمْعَنُوا واستقلُّوا ... وبكُرهي لو استطعتُ سبيلا

سَئِمونا وما سئمنا مُقاماً ... واستحبُّوا دماثةً[1] وسهولا[2]

فابن أبي عتيق[3] يقدّم عمر على الحارث لأنّ الأخير تطير عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله فما بقي إلا أن يسأل لها حجارة من جهنم كما يقول ابن سلام. ويقوّم عبد العزيز عتيق قائلاً: "فهذا النقد الذي يغلب عليه روح الفكاهة والتهكّم يدل على فطنة ابن عتيق إلى الإيحاءات الشعرية عنصراً من عناصر النقد، فمما يحسب للشعر في ميزان النقد أن يوحي بالمعاني السارة لا المعاني المؤلمة أو التي تدعو إلى التطير كما هو الشأن بالنسبة لأبيات الحارث بن خالد»[4].

وأورد المرزباني خبراً آخر في سند يرجع إلى الأصمعي، أنه قال: لو أدركت ذا الرُّمة لأشرت عليه أن يدع كثيراً من شعره؛ فكان ذلك خيراً له. وقد أنكر قول ذي الرُّمة:

ألا يا اسلمِي يا دارَ مَيَّ على الْبِلَى ... ولا زال منهلاً بجَرْعَائك القطْر[5]

واحتج من عاب هذا البيت بأن في قوله هذا إفساداً للدار التي دعا لها، وهو أن تغرق بكثرة المطر؛ وقالوا: الجيد في هذا المعنى قول طرفة:

---

(١) دمث المكان: سهل ولان.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٣٢٨ و٣٢٩.

(٣) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق. أديب ناسك وراوية ثقة، وشاع نقده في بيئة الحجاز.

(٤) عتيق (عبد العزيز)، تاريخ النقد الأدبي عند العرب. دار النهضة العربية، بيروت، ط٤، تاريخ ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٥) النهل: الذي يجري صبا. والجرعاء: الأرض ذات الحزونة. والحزن: ما غلظ من الأرض.

فسقَى ديارَك - غيرَ مُفْسِدِها صَوْبُ الربيع وديمةٌ[1] تَهْمِي[2]

وفي هذا الخبر كسابقه مفارقة معنوية بين الموضوع المطروق والغرض المعالج، فدعاء ذي الرمة للأطلال بأن تظل تحت وطأة أمطار تنتهي بها إلى الغرق إنما هو إفساد للديار لا يلائم وصف الديار خلافاً لطرفة الذي دعا لها بالسقيا محترساً من أن تؤدي هذه السقيا إلى إفسادها.

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى عمر بن شبَّه (ت٢٦٣هـ) - ومضمون الخبر أن امرأ القيس وعلقمة بن عبدة حكَّما زوجة امرئ القيس في شعر لهما - فقالت أم جُنْدُب لهما: «قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد. فقال امرؤ القيس:

خليليَّ مُرَّا بي على أُمِّ جنْدَبِ نُقَضِّ لُباناتِ[3] الفؤاد المعَذَّبِ

وقال علقمة:

ذَهبْتِ من الهِجْران في غير مذْهَبِ ولم يَكُ حقّاً طولُ[4] هذا التجنُّبِ

فأنشداها جميعاً القصيدتين، فقالت لامرئ القيس: علقمةُ أشعر منكَ. قال: وكيف؟ قالت: لأنك قلت:

---

(١) الصوب: الانصباب، والتُّصوُّب: مجيء السماء بالمطر. الديّمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق، أو يدوم خمسة أيام، أو ستة، أو سبعة، أو يوماً وليلة، أو أقله ثلث النهار أو الليل. تهمي: تصب.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٢٩١ و٢٩٢.

(٣) اللبانات: جمع لبانة، وهي الحاجة.

(٤) في الديوان: (كل). ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري، ص٧٩. تح: لطفي الصقال، درية الخطيب، مراجعة: د. فخر الدين قباوة، نشر دار الكتاب العربي بحلب ط١/١٩٦٩.

فللسَّوطِ أُلْهُوبٌ وللساقِ دِرَّة   وللزَّجرِ منه وقْعُ أخرجَ مُهْذِبِ[1]

فَجَهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومَريتَه فأتعبته بساقك[2]. وقال علقمة:

فأدركهنَّ ثانياً من عِنانه   يَمرُّ كمرِّ الرائع المتحَلّبِ[3]

فأدرك فرسه[4] ثانياً من عِنانه، لم يضربه ولم يُتْعبه.

وفي سند آخر يرجع إلى أبي عمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ) أنَّ امرأة امرئ القيس، قالت: «فرس ابن عبدة أجود من فرسك. قال لها: وكيف؟ قالت: إنك زجرت، وحركت ساقيك، وضربت بسوطك، تعني قوله في قصيدته حيث وصف فرسه:

فللزَّجْرِ ألهوبٌ وللساقِ دِرَّةٌ   وللسوط منه وقعُ أخرَج مُهْذِبِ

قالت: وإن علقمة جاهر الصيد، فقال:

---

(١) ألهوب: يعني جريه. وللساق دِرَّة: أي إذا غمز دَرَّ بالجري. الأخرج: ذكر النعام، والخرجُ: بياض في سواد وبه سمي. ومهذب: أي مسرع في عدوه.

(٢) ورد في الشعر والشعراء: «ومريته بساقك». ابن قتيبة، الشعر والشعراء، الجزء الأول، ص١٤٦.

(٣)

فاتبع آثار الشياه بصادق   حثيث كغيث الرائح المتحلب

ديوان علقمة الفحل بشرح الأعلم الشنتمري، ص٩٤. تح: لطفي الصقال، درية الخطيب، مراجعة د. فخر الدين قباوة، نشر دار الكتاب العربي بحلب ط١/١٩٦٩. الرائح: السحاب، المتحلب: المتساقط المتتابع.

(٤) في الشعر والشعراء: «فأدرك طريدته وهو ثان من عنان فرسه، لم يضربه بسوط ولا مراه بساق، ولا زجره». ص١٤٦.

إذا مــا اقتنــصْنا لم نقُــده بجُنَّــةٍ   ولكن نَنادي من بعيد أَلا اركبِ[1][2]

الموضوع المعالج «وصف الفرس» والمعيار النقدي الذي يستشف من نقد أم جُنْدَبْ ملاءمة المعنى (الموضوع) للغرض ومخالفته له «فقول علقمة في رأيها يحقق هذه الملاءمة خلافاً لقول امرئ القيس. والخبر يقوم على فكرة المعارضة، وقد حرضت عليها أم جندب قائلة حسب الخبر الأول: «قولا شعراً تصفان فيه فرسيكما على قافية واحدة وروي واحد». وفي تقديرنا أن شرط الوصف هنا بأن تكون المعارضة (على قافية واحدة وروي واحد) إنما نُحّلته أم جُندب نحلاً، فلا يمكن أن تظهر في بيئة جاهلية لم تعرف بعد علم العروض، هذا العلم الذي كان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٦٠هـ) أول من قعده ووضع مصطلحاته.

وأبو هلال العسكري رأى في الصورة التي قدمها امرؤ القيس لفرسه مخالفةَ المعنى للغرض، حيث قال: «فلو وصف أخسَّ حمار وأضعفه ما زاد على ذلك»[3].

ولا نوافق ما ذهب إليه بدوي طبانه في دفاعه عن امرئ القيس في هذه الصورة الشعرية، إذ قال: «قد يكون ما ذهبت إليه أم جندب مقبولاً لو أن امرأ القيس كان يعني حصانه لا يسير إلا بتحريك الساقين والزجر والضرب بالسوط. ولكن الحقيقة أن تحريك الساقين واستعمال السوط لازمتان من لوازم كل فارس

---

(١) في الديوان ورد (لم نخاتل). ديوان علقمة الفحل، ص٩٢، شرح الأعلم الشنتمري، ص٩٢. تح: لطفي الصقال، درية الخطيب، مراجعة د. فخر الدين قباوة، نشر دار الكتاب العربي بحلب ط١ / ١٩٦٩.

(٢) الموشح، ص٢٩. حسبن (طه)، في الأدب الجاهلي، ص٢٠٨. وكان أبو عبيدة والأصمعي يتنافسان في العلم بالخيل، ووصف العرب إياها. أيهما أقدر عليه وأحذق به. وما نظن هاتين القصيدتين وأمثالهما أثراً من آثار هذا النحو من التنافس بين العلماء من أهل الأمصار الإسلامية المختلفة.

(٣) العسكري، الصناعتين، ص٧٤.

مهما يكن فرسه كليلاً بليداً، أو جواداً حديداً. وليس في بيت امرئ القيس ما يدل على بلادة جواده، فإن معنى بيته أنه إذا مسّه بساقه ألهبه الجري، أي جرى جرياً شديداً كالتهاب النار، وإذا مسّه بسوطه درَّ بالجري كما يدر السيل والمطر، وإذا زجره بلسانه وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له»[1].

الموازنة في العيوب:

قال المرزباني: قال ميمون (بن هارون الكاتب) وقال لي غيره[2]: «اجتمع أبو نواس ومسلم يوماً، فقال له مسلم: ما أعلم لك بيتاً إلا مدخولاً معيباً ساقطاً، فأنشد أيَّ بيت أحببت. فأنشد أبو نواس إنشاد المُدِلّ:

ذكـر الـصَّبُوحَ بـسُحْرةٍ فارْتَاحَـا   وأملَّـه ديـكُ الـصباح صِـيَاحا

فقال له مسلم: قف عند حُجَّتِك، لم أملَّه صياحا وهو يبشره بالصبوح الذي ارتاح له؟ فانقطع أبو نواس انقطاعاً بيِّناً، فجعل الجواب له معارضة، فقال له: أنشد أنت ما أحببت من شعرك: فأنشد مسلم:

ـاصىَ الشّبابَ فـراحَ غـير مُفَنَّـدِ   وأقـام بـين عزيمـةٍ وتجلُّـدِ

فقال له أبو نواس: حسبك حيث بلغت! ذكرت أنه راح، والرواح لا يكون إلا بانتقالٍ من مكان إلى مكان، ثم قلت:

/ وأقام بين عزيمة وتجلُّدِ /

فجعلته متنقلاً مقيماً. فانقطع مسلم. وتشاغبا وافترقا[3].

---

(١) طبانة (بدوي أحمد)، دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث، ص ٦٣، مكتبة الأنجلوالمصرية، الطبعة السابعة، ١٩٧٥.

(٢) يقصد الصولي. وذلك في رواية ثانية لا تقدّم جديداً. الموشح، ص٤١٩ و٤٢٠.

(٣) المرزباني، الموشح، ص٤٣٦ و٤٣٧.

لقد قامت المفاضلة بين أبي نواس ومسلم على عيب من عيوب المعاني، وهو التناقض. فمسلم يرى تناقضاً في بيت أبي نواس، ويتساءل: لم أملَّه صياحاً وهو يبشر بالصبوح. وأبو نواس يوجه العيب نفسه إلى مسلم، ويتساءل: لماذا جعلته متنقلاً مقيماً؟.

قال المرزباني: «رأيت أهل العلم بالشعر يستحسنون قولَ عنترةَ العبسي فيما أخبر به عن شكيّه فرسه إليه التعب لدوام الحرب، فقال:

فـازْوَرَّ مِـنْ وقْـع القَنَـا بلَبانــهِ وشــكا إليَّ بعَــبْرَةٍ وتحَمْحُــمِ[1]

فلم يخرج الفرس عن التحمحم إلى الكلام، ثم قال:

لو كان يَـدْري مـا المُحـاورةُ اشـتكَى ولكـان لـو عَـرفَ الجـوابَ مُكلّمـي

فوضع عنترة ما أراده في موضعه، لا كما قال ابن هَرْمَة[2]:

تـراه إذا مـا أبـصر الـضيف كلبـه يكلّمــه مــن حبِّــه وهــو أعجــم

فإنه أقنى الكلب في قوله: إنه يكلمه، ثم أعدمه إياه عند قوله: إنه أعجم من غير أن يزيد في القول ما يدل على أن ما ذكره إنما أجراه على طريق الاستعارة[3].

فأهل العلم بالشعر يستحسنون قول عنترة لأنه لم يقع في تناقض مستحيل في حديثه عن شكاة فرسه، بينما وقع ابن هرمة في هذا التناقض المستحيل حين نسب الكلام إلى الكلب ثم جرّده منه حين وصفه بأنه أعجم.

---

(١) ازور: اعوج. الحمحمة: صوت الفرس إذا رأى صاحبه فاستأنس إليه.

(٢) ابن هرمة (٧٠ -١٥٠هـ) هو إبراهيم بن هرمة، وهو آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم.

(٣) المرزباني، الموشح، ص٣٤٩. وقدامة بن جعفر، نقد الشعر ص١٩٩ و٢٠٠.

وأخبر المرزباني، قال حدثني علي بن هارون (المنجم)، قال: التضمين أحد عيوب القوافي الخمسة، وليس يكون فيه أقبحُ من قولِ النابغة الذبياني:

وهـمْ ورَدوا الجِفـارَ[1] عـلى تمـيمٍ وهُـمْ أصـحابُ يـومِ عُكـاظ إني

شـهدتُ لهـم مَـواطنَ صـالحاتٍ أتيـتَهمُ[2] بحـسنِ الـودِّ منـي

فأما قول امرئ القيس:

وتعـرفُ فيـه مـن أبيـهِ شَـمائلاً ومِـنْ خاله ومِـنْ يَزيـد ومِـن حُجُـرْ

سـماحةَ ذا وبِـرَّ ذا ووَفـاءَ ذا ونائـلَ ذا إذا صـحا وإذا سَـكِرْ

فليس ذا بمعيب عندهم، وإن كان مضمناً، لأن التضمين لم يحلل قافية البيت الأول، مثل قوله: «إني شهدت لهم». وقد يجوز أن يوقف على البيت الأول من بيتي امرئ القيس، وهذا عند نقاد الشعر يسمى الاقتضاء: أن يكون في الأول اقتضاء للثاني وفي الثاني افتقار إلى الأول»[3].

وفي هذا الخبر ينظر علي بن هارون إلى (التضمين) على أنه عيب من عيوب القوافي، ويقدّم صنيع امرئ القيس على صنيع النابغة وكلاهما مضمنان معتمداً على مفهوم «وحدة البيت» الذي كان النقاد يتخذونه معياراً، ومن هنا اتخذ (الاقتضاء) عند علي بن هارون أساساً في تقديم امرئ القيس فمن الجائز كما يقول: الوقوف على نهاية البيت الأول من بيتي امرئ القيس: خلافاً لما عليه الحال في قول النابغة. وعندنا أن موقف النقاد من قضية التضمين يقبل المناقشة ذلك أنَّ هذه الظاهرة في حقيقتها صراع بين الوزن وتركيب الكلام وغلبة الوزن على تركيب الكلام - كما هو الحال مع التضمين - تحقق الشعرية للنص.

---

(١) الجفار: ماء لبني تميم بنجد.

(٢) رأيتهم بودِّ الصدر مني: ديوان النابغة الذبياني، ص١٢٨، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف بمصر، ط٢/ ١٩٨٥.

(٣) الموشح، ص٤٩.

ويبدو أن المبدعين المحدثين قد أدركوا أهمية ما ذهبنا إليه في التعليق السابق، ولذا نجد بعضهم يبالغ في الاتكاء على التضمين رافضين لفكرة وحدة البيت ومن هذا القبيل ما ينجلي في هذه الرواية:

قال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى، قال: قول أبي العتاهية:

يـا ذا الـذي في الحـبِّ يَلْحَـى أمَـا   والله لــو كُلِّفْـتَ منـه كـما

كُلِّفْـتُ مـن حُـبِّ رخـيمٍ لَمَـا   لُمْـتَ عـلى الحـب فَـذَرْني ومـا

أَلْقَـى فـإنّي لـستُ أدري بـما   بُلِيـتُ إلاّ أنَّنـي بيـنما

أنـا ببـابِ القـصرِ في بعـضِ مـا   أطـوفُ في قَـصْرِهِم إذْ رَمَـى

الأبيات.

مضمَّن، والمضمن عيب شديد في الشعر، وخير الشعر ما قام بنفسه، وخير الأبيات عندهم ما كفى بعضُه دونَ بعضٍ، مثل قول النابغة:

ولـستَ بمـستبْقٍ أخـاً لا تَلُمُّـه   عـلى شَـعثٍ أيُّ الرجـال المهـذَّبِ[1]

فلو تمثل إنسان ببعضه لكفاه، إن قال: «أي الرجال المهذب» كفاه، وإن قال: ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث، لكفاه»[2].

في الموضوعات الجزئية: في بؤس الدنيا الممازح لنعيمها -

قال المرزباني: قال أحمد بن عمار: استحسن قوم قول أبي العتاهية:

حـلاوةُ عَيْـشِكَ ممزوجـةٌ   فـما تأكـل الـشُّهْدَ إلاَّ بِـسم

فالمعنى صحيح، لأنه جعل مثلاً لبؤس الدنيا الممازح لنعيمها، والعبارة غير مرضية، لأنا لم نرَ أحداً أكل شهداً بسم. وأجود من قوله لفظاً، وأصح معنًى قول ابن الرومي:

---

(١) الشعث، انتشار الأمر. والمهذب: مطهر الأخلاق.

(٢) الموشح، ص٤٠٤ و٤٠٥.

وهل خُلةٌ[١] معسولةُ الطَّعْمِ تُجْتنى   مِن البيضِ إلا حيثُ واش يَكيدُها
مع الواصل الواشي وهل تجتني يدٌ   جنَى النَّحلِ إلا حيث نحلٌ يذودها[٢]

والمعيار النقدي الذي يخفى وراء هذه المقولة: ائتلاف اللفظ والمعنى أو عدم ائتلافهما فابن عمار لا يستحسن قول أبي العتاهية، لأنه يتحدث عن بؤس الدنيا الممازح لنعيمها، وهذا معنى صحيح في رأيه أي يحقق الصدق الواقعي، ولكنَّ التعبيرَ عنه غير صحيح معللاً ذلك «بأنّا لم نر أحداً أكل شهداً بسم» أي بسبب مخالفته للصدق الواقعي. وهو يقدم قول ابن الرومي عليه باسم الائتلاف بين اللفظ والمعنى قوله كما يقول أجود من قول أبي العتاهية لفظاً وأصحّ معنًى.

في صفة الشجاعة:

قال المرزباني: قال أبو الحسن محمد بن أحمد طباطبا العلوي (ت٣٢٧هـ): "من الأبيات التي قصر فيها أصحابها عن الغايات التي جُروا إليها ولم يسدوا الخلل الواقع فيها معنًى ولا لفظاً قول النابغة الذبياني:

ماضي الجُنانِ[٣] أخي صَبْرٍ إذا نزلتْ   حربٌ يُوائلُ فيها كلُّ تِنْبَالِ

التنبال: القصير. فإن كان أراد ذلك فكيف صار القصير أولى بطلب الموئل من الطويل؟ وإن جعل التنبال الجبان فهو أعيب، لأن الجبان خائف وجل[٤]، اشتدت الحرب أم سكنت، وأين كان عن قول[٥] الهمداني:

(١) خلة: ما فيه حلاوة مع النبت.
(٢) المرزباني، الموشح، ص٤٠٤.
(٣) الجنان: الليل أو ادْلِهْمامُهُ، وجوف ما لم تر. والجَنَنُ: القبر، والميِّت، والكفن.
(٤) الوَجَلْ: الخوف.
(٥) «والجيد قول الهمداني». انظر: العسكري، الصناعتين، ص٩٤.

يَكُــرُّ عــلى المــصافِ إذا تَعــادَى   مــن الأهــوال شُــجعانُ الرِّجــالِ[1]

المعيار النقدي التقصير لفظاً ومعنًى، مما أدى إلى التقصير في وصف الشجاعة وهو موضوع جزئي يدخل في باب المديح.

وفي رواية المرزباني، قال: قال أحمد بن محمد الحلواني: ذكر أحمد بن عبيد بن ناصح أنه قال لأبي تمام - وكان يجيء إلى المسجد ينشد أشعاره - فأنشد وهو يقول:

لو خرَّ سَيفٌ مــن العَيُّوق[2] مُنْصَلِتاً   مــا كــان إلاّ عــلى هامــاتهم يقَــعُ

فقلنا: ما في الدنيا أحد أذل من هؤلاء، لا يرفع أحد سيفه إلا قتلهم من غير أن يضرب به إنسان! فقال: أبو تمام: قال زهير:

وإن يُقتَلــوا فيــشتَفى بــدمائهم   وكــانوا قــديماً مــن مَنَايــاهم القَتْــلُ

فقلت: إنما وصف أنهم لا يموتون إلا تحت السيوف، وأنت قلت: لو خرَّ سيف لم يقع إلا على هاماتهم[3].

فالمعيار النقدي الذي اتكأ عليه ابن ناصح: إخفاق أبي تمام في التعبير عن صفة جزئية هي الشجاعة، فقوله في زعمه، يعبر عن ذلة مرثييه وعندنا أنّ قول أبي تمام يعبر كقول زهير عن موت مرثييه تحت السيوف.

وفي الخبر نفسه، قال أحمد بن ناصح: قلت لأبي تمام: أخبرني عن قولك:

كــأنَّ بنــي نَبْهــان يــومَ وفاتــه   نجومُ سماءٍ خَــرَّ[4] مــن بينهــا البَــدْرُ

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٥٣. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص١٣٧.

(٢) العيوق: كوكب مضيء بحيال الثريا ناحية الشمال ويطلع قبل الجوزاء. ومنصلت: ماض نافذ ضريبته.

(٣) المرزباني، الموشح، ص٤٦٨ و٤٦٩.

(٤) خرَّ: سقط من عُلوٍ إلى سُفْلٍ.

أردت أن تصف حسن حالهم بعده أو سوء حالهم؟ قال: لا والله إلا سوء حالهم؛ لأنَّ قمرهم قد ذهب[1]. فقلت: والله ما تكون الكواكب أحسن ما تكون إلا إذا لم يكن معها قمر، ألا قلت كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريمي:

بقيَّة أقمارٍ من العِزِّ لو خَبَتْ ظلَّت مَعَدٌ في الدُّجَى تتسكَّع

إذا قمرٌ تغَوَّرَ[2] أو خَبَا بدا قمرٌ من جانب الأفْقِ يَلْمَعُ

قال: فوجم وسكت[3].

والمعيار النقدي هنا: إخفاق أبي تمام في التعبير عن صفة جزئية سوء حال قوم محمد بن حميد الطوسي بعد مقتله وحجته في ذلك أن النجوم تكون أحسن ما تكون إذا لم يكن معها قمر، ولا نخطئ في هذه الحجة معيار الصدق الواقعي، في رأي الناقد ابن ناصح، وأبو تمام كثيراً ما خرج عن هذا المعيار إلى الصدق الفني.

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى التَّوزى، قال: «اختصم رجلان أحدهما من بني قيس بن ثعلبة، والآخر من بني تغلب إلى رجل من النمر بن قاسط في قول الأعشى:

من خَمْر عانةَ قد أتى لختامها حَوْل تفُضُّ غمامةَ المزكوم

وقول الأخطل:

إذا تعاورَتِ الأكفُّ زجاجهَا نفحتْ فنال رِياحَها المزكومُ

---

(١) «عابوا هذا البيت فقالوا: أراد أن يمدحه فهجاه، كأن أهله كانوا خاملين بحياته فلما مات أضاؤوا بموته». أخبار أبي تمام، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، ص١٣٦.

(٢) تَغَوَّر: انحدر.

(٣) المرزباني: الموشح، ص٤٦٨ و٤٦٩.

فقال الفهري: والله ما سوى بينهما، إنما جعل الأخطل ينال المزكوم رياحها وجعلها الآخر تستل زكامه[1].

الموضوع المعالج هنا «تأثير الخمرة في المزكوم» فالأخطل في رأي الناقد قد قصر لأنه جعل الخمرة تنيل المزكوم رياحها وتقدم عليه الأعشى لأنه جعلها تستل زكامه، فقوله أكثر ملاءمة من الأخطل للغرض المعالج وصف الخمرة.

الموازنات الجماعية:

قال المرزباني، قال قدامة بن جعفر (ت٣٢٧هـ): «افضل مديح الرجال ما قُصد به الفضائل النفسية الخاصية لا بما هو عرضيّ فيه؛ وما أتي من المدح على خلاف ذلك كان معيباً. ومن الأمثلة الجياد في هذا الموضع ما قاله ابن مروان لعبيد الله بن قيس الرّقيَّات - حيث عتب عليه في مَدْحه إياه: إنك قلت في مصعب بن الزبير:

إنّما مُصعَبٌ شهابٌ منَ اللـ ... ـه تجلَّت عن نوره الظَّلْماءُ

وقلت في:

يأتَلِق التَّاجُ فوقَ مَفْرقه ... على جَبِينٍ كأنَّه الذَّهَبُ

فوَجْه عيب عبد الملك إنما هو من أجل أنَّ هذا المادح عدل به عن الفضائل النفيسة التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك، ودخل في جملته إلى ما يليق بأوصاف الجسم في البهاء والزينة، وذلك غلط وعيب[2].

---

(١) المرزباني: الموشح، ص٢٢٢.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٣٤٦ و٣٤٧. وقدامة، نقد الشعر، ص١٨٤ و١٨٥. والعسكري، الصناعتين، ص٩٨ و٩٩.

المعيار النقدي: العدول عن الفضائل النفسية الخاصية في مديح الرجال وهو من عيوب المعاني، فعبد الملك يعتب على عبد الله بن قيس الرقيات أنه قال في مدح مصعب قولاً يمدح فيه بالهداية مما يجانس الفضائل النفسية بينما مدحه بما يليق بأوصاف الجسد في البهاء والزينة.

ومنه قول أيمن بن خريم في بشر بن مروان:

ا ابْنَ الذَّوائب والذُّرى والأرَؤُس ... ع مَنْ مضرُ العَفَرْنَي الأقعسِ[١]

وابنَ الأكارم من قريشٍ كلِّها ... وابنَ الخلائف وابن كلّ قلمَّسِ[٢]

مِنْ فرعِ آدم كابراً عن كَابرِ ... حتَّى انتهيت إلى أبيك العَنْبَسِ[٣]

مَروانَ إنَّ قَنَاته خَطِّيَّةٌ[٤] ... غُرِسَت أرُومتها أعزّ المغرسِ

وبَنَيْتَ عند مَقامِ ربِّكَ قُبّةً ... خضراءَ كُلِّل تاجُها بالفِسْفِسِ

فسماؤها ذهبٌ وأسفل أرْضِها ... وَرقٌ تلألأَ في البهيم الحِندسِ[٥]

فما في هذه الأبيات شيء يتعلق بالمدح الخفي، وذلك أن كثيراً من الناس لا يكونون كآبائهم في الفضل، ولم يذكر هذا الشاعر شيئاً غير الآباء، ولم يصف الممدوح بفضيلةٍ في نفسه أصلاً.

وذكر بعد ذلك بناءه قُبَّةً، ثم وصف القبة أنها من الذهب والفضة، وهذا أيضاً ليس من المدح؛ لأنَّ بالمال والثروة مع الضَّعة والفهَّة ما يمكن بناء القباب

---

(١) العفرنَي: الأسد الشديد القوة. والأقعس: الثابت.

(٢) يقال: عَزّ قلمّس إذا كان قديماً.

(٣) العنبس: الأسد. والعنابس من قريش: أولاد أمية بن عبد شمس السِّتَّة: حرُب، وأبو حرب وسفيان، وأبو سفيان، وعَمْروٌ، وأبو عَمْرٍو.

(٤) القناة: الرمح. والخَطّ: موقع باليمامة وإليه نسبت الرماح.

(٥) الحِنْدِس: الليل المظلم.

الحسنة وغيرهما، واتخاذ كل آلةٍ فائقة، ولكن ليس ذلك مدحاً يُعتدّ به ولا نَعْتاً جارياً على حقّه[1].

المعيار النقدي هنا: المعدول عن الفضائل النفسية الخاصية في مديح الرجال وذلك بانصراف الشاعر إلى مديح آباء الممدوح دون أن يصفه بفضيلة في نفسه، وإلى مديحه ببناء قبّة من الذهب والفضة وهذا ليس من المدح الذي يعتدّ به لأن الثروة قد تجتمع مع الضعة واللكنة والغفلة.

مما نذكره في هذا الموضع ليصحَّ به شدّة قبح هذا المدح قول أشجع بن عمرو بما يخالف اليسار:

يريدُ الملوكُ مَدَى جعفر ... ولا يصنعون كما يَصْنَعُ
وليس بأوسعِهِم في الغنى ... ولكنَّ معروفَهُ أوسَعُ[2]

المعيار النقدي: مدح الرجال بفضائل نفسية والفضيلة التي مدح بها الممدوح هذا هي الكرم على ضآلة غناه بالقياس إلى الملوك.

وقال ابن خُرَيم في بشر بن مَروان.

لوَ أعْطاكَ بِشرٌ لْفَ ألفٍ ... رأَى حقّاً عليه أنْ يَزِيدَا
وأعْقَبَ مِدحتي سَرْجاً خلَنْجاً[3] ... يض جوْزَ جانِياً عَقُودَا
فإنا قد وجدنا أمَّ بشْرٍ ... كأمّ الأُسْدِ مِذْكاراً وَلُودَا

فجميع هذا المدح على غير الصواب، وذلك أنه أومأ إلى المدح بالتناهي في الجودِ أولاً، ثم أفسده في البيت الثاني بذكر السرج وغيره، ثم ذكر في

---

(١) المرزباني: الموشح، ص٣٤٧ و٣٤٨. وقدامة، نقد الشعر، ص١٨٥، والعسكري، الصناعتين، ص٩٨ و٩٩.

(٢) المرزباني: الموشح، ص٣٤٨. وقدامة، نقد الشعر، ص١٨٥. والصناعتين، ص١٠٠.

(٣) الخلنج: كل مخطوط بأشكال وألوان.

البيت الثالث ما هو إلى أن يكون ذَمّاً أقرب، وذلك أنه جعل أمه ولوداً والناس مجمعون على أن نتاج الحيوانات الكريمة يكون أعسر[١] ومنه قول الشاعر:

بُغـــاثُ الطَـــير أكثرُهـــا فِراخَـــا   وأمُّ الـــصقرِ مِقْـــلاتٌ نَـــزورُ[٢]

المعيار النقدي: العدول عن الفضائل النفسية الخاصة، وهو عيب: فقد امتدح أيمن بشراً بالتناهي في الجود أولاً ثم أفسد قوله بذكر عطاء قليل: السرج الخلنج ثم وصفه بما هو أقرب إلى الذم إذ جعل أمه ولوداً.

الهجاء:

في رواية المرزباني في سند يرجع إلى عمر بن شبة، قال: «يقال إنه اجتمع على باب الوليد بن عبد الملك الفرزدق وجرير والأخطل والبعيث والأشهب بن رميلة، فدخل عليه داخل فقال: يا أمير المؤمنين، لقد اجتمع على بابك شعراء ما اجتمع مثلهم على باب ملك قطُّ. ثم سمَّاهم فأمر الفرزدق فأدخل أولهم، فاستنشده وحادثه. ثم أمر بالباقين فأدخلوا، وأخَّر البعيث[٣]، فقيل له في البعيث، فقال إنه ليس كهؤلاء. فقيل له: ما هو بدونهم. فأمر به فأدخل ثم استنشده، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ من حضرك ظنوا أنك إنما قدمتهم عليَّ لفضل وجدته عندهم لم تجده عندي. قال: أولست تعلم أنهم أشعر منك؟ قال: كلا، والله ولأنشدنك من أشعارهم ما لو هجاهم أعدى الناس ما بلغ منهم ما بلغوا من أنفسهم، أما هذا الشيخ الأحمق - وأشار إلى الفرزدق فإنه قال لعبيد بني كليب هذا - وأشار إلى جرير:

---

(١) في نقد الشعر (أنزر) ص١٨٦.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٢٤٨ و٢٤٩. ونقد الشعر، ص١٨٦. والصناعتين ١٠٠.

(٣) واسمه خداش بن زهير.

ـأي رِّشـاء يـا جريـر ومـاتحٍ[1]   تـدلَّيْتَ في حَومـات تلـك القماقـم

فجعله تدلّى عليه وعلى قومه.

وأما عبيد بني كليب - وأشار إلى جرير ـ فقال لهذا الشيخ:

قَـومي أحمَـى للحقيقـة مـنكُمُ   وأضربُ للجبـار والنقـعُ سـاطع[2]

وأوثـق عنـد المردفـات عـشية   لحاقـاً إذا مـا جـرَّد الـسيف لامـعُ

فجعل نساءه سبايا بالغداة قد نُكحن ووثقْن في عشيتهن باللحاق.

وأما هذا ابن النصرانية - يعني الأخطل - فإنه قال:

لقـد أوقَـعَ الجحَّـاف بالْبِـشْرِ وَقْعَـةً   لى الله منهـا المُـشْتكى والمعـوَّلُ

فأقر بها أقر به وهناً وجبناً وضعفاً.

وأمّا ابن رميلة الضعيف فإنه قال:

ولّمـا رأيـتُ الْقـومَ ضـمَّت حبـالُهُمْ   وَنـى وَنْيـةً شَرِّي ومـا كـان وانيـا

فأقرّ أن شره ونى عنه وقت الحاجة إليه.

فقال له الوليد: لعمري، لقد عبت معيباً.

قال الشيخ: أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وذكر الفرزدق في هذا الحديث غلط، لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الملك[3].

فالمعيار النقدي: «عدم الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج»، فأقوال الفرزدق وجرير والأخطل وابن رميلة لا تأتلف مع الغرض.

---

(١) الرِّشاء: الحبل. ومتح: قطع.

(٢) النقع ساطع: النقع: الغبار، ويريد اشتداد الحرب.

(٣) الموشح، ص٢٦١ و٢٦٢ و٢٦٣.

الغزل:

أورد المرزباني خبراً، يرجع إلى عمر شبّة، قال: يروى أن الأقيشر (الأسدي) دخل على عبد الملك بن مروان فذكر بيت نُصيب (الأسود):

أهـيم بدعـدٍ مـا حييـتُ وإن أمُـتْ ... فواحزنـاً مـن ذا يهـيم بهـا بَعْـدِي[1]

فقال: والله لقد أساء قائل هذا البيت. فقال له عبد الملك: فما كنت أنت قائلاً لو كنت مكانه؟ قال: كنت أقول:

تُحِـبُّكم نَفْـسِي حيـاتي فـإنْ أمـت ... أوكّـل بدعـد مَـنْ يَهـيمُ بهـا بَعْـدِي

فقال عبد الملك: فأنت والله أسوأ قولاً وأقل بصراً حين توكل بها بعدك؟ قيل: فما كنت أنت قائلاً يا أمير المؤمنين؟ قال كنت أقول:

تُحِـبُّكم نفـسي حيـاتي فـإن أمُـتْ ... فلا صَلَحَتْ دَعْـدٌ لـذي خُلّـة بعـدي

فقال من حضر: والله لأنت أجود الثلاثة قولاً، وأحسنهم بالشعر علماً يا أمير المؤمنين»[2].

المعيار النقدي الائتلاف بين الغرض والمعنى في قول عبد الملك وعدم الائتلاف بينهما في قول الشاعرين الآخرين الأقيشر ونصيب فأما الأقيشر فلأنه يوكل بصاحبته من يهيم بها بعده، وأما نصيب فلأنه ذهب إلى أن صاحبته لن تجد بعده من يهيم بها.

وفي خبر أورده المرزباني في سندين الأول يرجع إلى مصعب بن عبد الله الزبيري، والثاني يرجع إلى عمر بن شبّة، قالا: يروى أنه اجتمع بالمدينة راوية

---

(١) اختلف في نسبة البيت: في الأغاني، ج١٩، ص١٦٠: «والناس يرون البيت لنصيب وهو خطأ». وفي الشعر والشعراء نسبه مرة للنمر بن تولب. وقال: «والناس يروون البيت لنصيب» ص٢٢٧. ومرة ثانية لنصيب ص٣٢٤. وفي الصناعتين نسب البيت لنصيب ص١١٣.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٢٩٨ و٢٩٩. والصناعتين ص١١٢ و١١٤.

جرير وراوية نصيب وراوية كثيّر وراوية جميل وراوية الأحوص، فادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعر، ثم تراضوا بسُكينة بنت الحسين، فأتوها فأخبروها، فقالت لصاحب جرير: أليس صاحبك الذي يقول:

طَرقتْكَ[1] صائِدةُ القلوب وليس ذا … حَين الزيارة فارجعي بسلام

وأي ساعة أحْلَى للزيارة من الطروق، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره.

ثم قالت لصاحب كثيّر: أليس صاحبك الذي يقول:

يَقَرُّ بعيني ما يقرُّ بعَيْنِها … وأَحْسَنُ شيءٍ ما به العينُ قرَّت

الأبيات.

فليس شيء أحبَّ إليهن ولا أقرَّ لأعينهن من النكاح، أفيحب صاحبك أن ينكح؟ قبّحه الله وقبَّح شعره!.

ثم قالت لصاحب جميل: أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تَرَكَتْ عقْلي معي ما طلبتُها … ولكنْ طِلابِيها لما فات مِنْ عقلي

الأبيات.

ما أرى لصاحبك هوى، إنما يطلب عقله، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره.

ثم قالت لصاحب نُصيب: أليس صاحبك الذي يقول:

أهيمُ بدعدٍ ما حَييتُ فإن أمُتْ … فوا حَزَني مَن ذا يهيمُ بها بعدي

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده، قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ألا قال:

أهيمُ بدعدٍ ما حَييتُ فإن أمُتْ … فلا صَلَحت دعدٌ لذي خُلَّة بعدي

---

(١) طرق القوم: أتاهم ليلاً.

ثم قالت لصاحب الأحوص: أليس صاحبك الذي يقول:

مِــنْ عاشــقَين تواصَــلا وتواعــدا ... لــيلاً إذا نجْـــمُ الثريـــا حلَّقـــا

باتـــا بـــأنعم عيـــشةٍ وألـــذِّها ... حتـــى إذا وَضـــح النهـــار تفرَّقـــا

قبّح الله صاحبك وقبّح شعره، ألا قال تعانقا.

قال الشيخ أبو عبيد المرزباني رحمه الله تعالى: «في هذا الخبر خطأ عند ذكر كثيّر لأن البيت الذي أوله: يقر بعيني ما يقرّ بعينها للأحوص[١] بن محمد»[٢].

المعيار النقدي: عدم الائتلاف بين المعنى والغرض (الغزل) فجرير في رأي سُكينة ينكر أن تكون ساعة الطروق أحلى ساعات الزيارة، ولا شيء أحلى في عين المرأة من هذه الساعة، وكثيّر في قوله يعبّر عن الرغبة في النكاح مع أنه عفيف، وجميل يطلب عقله فليس هو إذاً بعاشق، والأحوص يتحدث عن تفرق العاشقين حين ظهور النهار لا العناق. وهذه المعاني كلّها تخرج في رأي سُكينة عما يقتضيه فن الغزل. وإذا كان زكي مبارك يصف معللاً موازنات سُكينة بأنها «تتسم بسمة الغيرة على الجنس والدفاع عن النوع»[٣]، فإننا لا نقرّ هذا التعليل ونرى أن انتقادات سكينة تعبر عن معرفة بطبائع النساء وما يلائم هذه الطبائع من صدق عاطفي في المعاني الغزلية.

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى أحمد بن يحيى النحوي عن بعض رجاله، وفي سند آخر يرجع إلى أبي عبيد الله الزبيري ومضمون الرواية: أنه اجتمع

---

(١) وكذلك نسب البيت في الأغاني للأحوص، ج١، ص٣٦٠.

(٢) الموشح، ص٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤. وأورد صاحب الموشح موازنات عقدتها عقيلة بنت عقيل بن أبي طالب للشعراء: جميل وكثيّر والأحوص. والغريب أن أبيات جميل والأحوص تتكرر والرؤية النقدية لسكينة تكررها عقيلة، ص٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦. وكذلك فقد أورد صاحب الموشح نقداً لسكينة في أقوال غزلية للفرزدق وجرير وكثيّر، ص٢٦٦ و٢٦٧.

(٣) مبارك (زكي)، الموازنة بين الشعراء، ص٩.

عمر بن أبي ربيعة والأحوص ونُصيب في منزل كثيّر، فقال كثيّر (ت١٠٥هـ): يا عمر - وقال بعضهم يا أخا قريش - والله والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكنك تخطئ الطريق، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك أخبرني عن قولك:

قالـــت لـــتِرْبٍ لهـــا تحـــدِّثُها ... لتُفْـــسِدنَّ الطـــوافَ في عمـــر

ويروى:

قالـــت لأخـــت لهـــا تعاتبهـــا ... لتفدســـــــــــــــنَّ..........

قـــومي تَـــصدَّي لـــه ليُبـــصِرَنا ... ثـــم اغمزِيـــه يـــا أخْـــتُ في خَفَـــرِ

ويروى:

قالـــت تـــصدَّي لـــه ليعرفنـــا ... .

قالـــت لهـــا غمزتُـــه فـــأبى ... ثـــم اسْـــبَطَرَّتْ تـــشتدُّ في أثـــري[1]

أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك، والله لو وصفت بهذا هرة أهلك - أو قال منزلك - كنت قد أسأت صفتها. أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممنَّعة، هلاّ قلت كما قال هذا - وضرب بيده على كتف الأحوص:

لقـــد منعـــتْ معروفَهـــا أمُّ جعفـــرِ ... وإني إلى معروفهـــــا لفَقِـــــيرُ

وقـــد أنكـــروا عنـــد اعـــتراف زيـــارتي ... وقـــد وَغِـــرتْ فيهـــا عـــليَّ صـــدورُ

أزُورُ ولـــــولا أن أرى أمَّ جعفـــــرِ ... بأبيـــاتكم مـــا زرتُ حيـــث أزور

قال ثعلب: «أدور»، وهي الرواية، وهكذا رواه المبرّد. وقال في آخره: ما درت حيث أدور.

أزُورُ عـــلى أنْ لـــيس ينفـــكُّ كلّـــما ... أتيـــت عـــدوٌّ بالبَنـــان يـــشير

ومـــا كنـــت زَوّاراً ولكـــن ذَا الهَـــوى ... إذا لم يُـــزَرْ لا بـــدَّ أن ســـيزور

---

(١) اسبطرت: أسرعت. تشتد: تعدو.

هكذا والله يكون الشعر وصفة النساء. فارتاح الأحوص وامتلأ مسروراً وانكسر عمر.

ثم أقبل على الأحوص، فقال: وأنت يا أحوص، أخبرني عن قولك.

فــإن تَــصِلي أصِــلْكِ وإن تَبينــي بــصرْمِك[1] قبـلَ وصـلك لا أبـالي
وإني للْمَـــــــودَّةِ ذو حفـــــاظٍ أواصـــلُ مـــن يهـــش إلى وصـــالي
وأقطـع حبـل ذي ملَــق كــذوب سريـــعٍ في الخُطـــوب إلى انتقـــال

ويلك أهكذا يقول الفحول؟ أما والله لو كنت فحلاً ما قلت هذا لها - وقال بعضهم: أما والله لو كنت من فحول الشعراء لباليت، هلاّ قلت كما قال هذا الأسود - وضرب بيده على جنب نصيب:

بزينـب أَلْمِـمْ قبـلَ أنْ يَرْحَـلَ الركـبُ وقُــلْ إن تملّينــا فــما ملَّــكِ القلــبُ
وقـل إنَّ قُـرْبَ الـدار يطلبـه العِـدى قـديماً ونـأْيُ الـدار يطلبـه القُـربُ
وقــل إنْ أنــلْ بالحـب منـك مـودَّةً فما فوق ما لاقيـتُ مـن حـبكم حُـب
وقــل في تجنّيهــا لــكَ الــذنب، إنّــما عتابُـك مَـن عاتبـتَ فـيما لـه ذنـب

قال: فانتفخ نصيب، وانكسر الأحوص.

قال: ثم أقبل على نُصيب فقال: ولكن أخبرني عن قولك يا بْنَ السوداء:

أهـيمُ بدَعـدٍ مـا حييـتُ فـإنْ أمُـت فـوا حَـزَنَي مـن ذا يَهـيمُ بهـا بَعـدي

كأنك اغتممت ألا يُفعل بها بعدك وقال بعضهم في روايته: «أيهمك من ينكحها بعدك والرجال أكثر مما تظن؟»[2].

---

(١) الصرم: القطع والهجران.

(٢) المرزباني، الموشح، ص٢٥٧ و٢٥٨ و٢٥٩ و٢٦٠.

المعيار النقدي في هذه الموازنات: ائتلاف المعنى والغرض (الغزل) وعدم ائتلافها فكثيّر يعيب على عمر بن أبي ربيعة أنه نسي من ينسب بها ونسب بنفسه. ويقول عبد العزيز عتيق في شأن هذا النقد: «عاب الناس على عمر هذا اللون من الغزل الذي يصوّر فيه نفسه على أنه المعشوق لا العاشق والمطلوب لا الطالب ورأوا فيه نوعاً من الانحراف ينافي الطبيعة التي تحكم العلاقة العاطفية بين الرجل والمرأة»[1].

ونحن أميل إلى الاعتقاد بأن هذا النمط من الغزل لا يتنافى مع طبيعة الإنسان النرجسي المولع بذاته، وقد كان عمر كذلك. وكثيّر يقدم أبياتاً للأحوص لأنه خلافاً لعمر وصف المرأة بأنها مطلوبة ممنعة فحقق الائتلاف بين المعنى والغرض خلافاً لعمر. ثم ينكر عليه إقامته علاقة متكافئة مع حبيبته فإذا وصلته يصلها وإذا جفته لا يبالي ففي ذلك خروج عن معيار الائتلاف. وكثيّر يقدم أبياتاً لنصيب يصوّر فيها عدم مللـه حبيبته حتى ولو ملّـه، محققاً بذلك معيار الائتلاف ولكنه ينكر عليه أبياتاً قالها في دعد، وعيبه فيها أنه يغتم إذا لم تجده بعده من ينكحها، وفي ذلك خروج عن معيار ا لائتلاف.

المصطلحات النقدية:

إنَّ الاحتفال بالمصطلح - كما يقول رجاء عيد - «وثيق الصلة بنزعة المفاضلة والموازنة»[2]، والنصوص التي أوردها المرزباني لا يخلو بعضها من إطلاق مصطلحات نقدية على بعض الشعراء. فمصطلح فحل يأخذ معنًى

---

(١) عتيق، عبد العزيز، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص١٤٧. دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط٤، تا ١٩٨٦م.

(٢) عيد، رجاء، مجلة فصول، ص١١٤. المجلد السادس، العدد الثاني، ١٩٨٦، عنوان المقال: بواكير المصطلحات النقدية قراءة في كتاب «طبقات فحول الشعراء» لابن سلام الجمحي.

جنسياً يدلّ على ذكورة الرجل، فامرأة امرئ القيس غلبت علقمة على زوجها، فطلقها وسمي بذلك علقمة الفحل[1].

وفي موضع آخر يعرف الأصمعي الفحل بأنه «له مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق»[2].

وهناك نصوص، تؤكد أن مقياس الفحولة أساسه قدرة الشاعر على تناول الأغراض الشعرية من هجاء ومديح وفخر ووصف وغزل، قال الأصمعي: «طريق الشعر هو طريق شعر الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحل، والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والحروب والافتخار»[3].

وبسبب ذلك حرم كعب بن سعد الغنوي من الفحولة، فالأصمعي لا يعدّه فحلاً «إلا في المرثية فإنه ليس في الدنيا مثلها»[4]، وللسَّبب نفسه حُرِمَ ذو الرّمة من الفحولة، فقد سأل ذو الرمة الفرزدق، لماذا لا أعد من الفحول؟ فيجيبه: «يمنعك من ذلك صفة الصحارى وأبعار الظباء»[5]. وفي رواية ثانية: «لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار»[6]. وفي رواية ثالثة: «نعتك الأعطان والدِّمن[7] وأبوال الإبل»[8].

---

(١) الموشح، ص٢٩.
(٢) الموشح، ص٦٣.
(٣) الموشح، ص٨٥، ص٩٠.
(٤) الموشح، ص١٢٠.
(٥) الموشح، ص٢٧٣.
(٦) الموشح، ص ٢٧٤.
(٧) أعطان الإبل: مبركها حول الحوض. والدِّمن: البعر.
(٨) الموشح، ص٢٧٤.

والكم الشعري ضروري للشاعر كي يسمو إلى مرتبة الفحول، قال الأصمعي في أوس بن مغراء الهجيمي: «لو كان قال عشرين قصيدة لحقّ بالفحول ـ وعن مُعَقّر بن حمار البارقي - قال: لو أتمّ خمساً أو ستاً لكان فحلاً - وعن سلامة بن جندل -، قال: لو كان زاد شيئاً لكان فحلاً»[1].

وقد تطلب الكثرة بنوع قصيدة معينة، فالأصمعي قال عن الحويدرة[2]: «لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته - يعني العينية[3] - كان فحلاً - وقال: لو قال ثعلبة بن صُعَير المازني مثل قصيدته خمساً كان فحلاً - وعن مهلهل بن ربيعة، قال: ليس بفحل. ولو قال مثل قوله:

/ أليلَتنا بذي حُسَمٍ أَنِيري /[4]

خمس قصائد لكان أفحلهم[5].

والمقياس اللغوي يحد من ارتقاء الشاعر إلى مرتبة الفحول، قال الأصمعي عن الأغلب العجلي: «ليس هو بفحل ولا مفلح، وأعياني شعره»[6].

---

(١) الموشح، ص١١٩ و١٢٠.

(٢) الجمحي (ابن سلاَّم)، طبقات فحول الشعراء، ص١٨٦، ووصفه ابن سلاّم في الطبقة التاسعة من فحول الجاهلية.

(٣) أولها:

بكرت سُميّةُ غُدْوةً فَتَمتّعِ وغدت غُدوَّ مُفارقٍ لم يَرْبَعِ

- طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ص١٨٦.

(٤) تمامه: إذا أنت انقضيتِ فلا تحوري. حاشية الموشح، ص١٠٦.

(٥) الموشح، ص١٠٦.

(٦) الموشح، ص٣٣٣.

والمرزباني يطلق صفة الفحولة على القطامي ومن خلال سياق النص يعده، فحلاً لأنّه «رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره[1]. ويطلق الصفة على قيس بن الخطيم بسبب بعض قصائده الحسنة، قال: «من الناس من يفضله على حسان شعراً، وقال حسان: إنا إذا نافرتنا العرب فأرادونا أن نخرج الحَبرات[2] من شعرنا أتينا بشعر قيس بن الخطيم»[3]. ويطلق الصفة على عمرو ابن معدي كرب بن ربيعة[4]، وكعب بن زهير بن أبي سلمى[5]، ومالك بن حريم الهمداني[6]. وإن لم نجد في سياق ترجماتهم في معجم الشعراء ما يدل على صفة الفحولة.

وفحول الشعراء - في اللسان - هم الذين غلبوا بالهجاء من هاجاهم مثل جرير والفرزدق وأشباههما، وكذلك كل من عارض شاعراً فَغلّب عليه مثل علقمة بن عبدة، وكان يسمى فحلاً لأنّه عارض امرأ القيس في قصيدته[7]. - وفي اللسان أيضاً ـ الفحول هم الرواة، والواحد فحل[8].

---

(١) معجم الشعراء، ص٧٣. وعده ابن سلام في الطبقة الثانية من فحول الإسلام. طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص٥٣٥. والسياق يدل على أنه: رقيق الحواشي حلو الشعر.

(٢) الحبرات: القصائد الحسنة.

(٣) معجم الشعراء، ص١٩٦. وصفه ابن سلام في طبقة شعراء المدينة. طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص٢٢٨.

(٤) معجم الشعراء، ص١٦.

(٥) معجم الشعراء، ص٢٣٠. عدّة ابن سلاَّم في الطبقة الثانية من فحول الجاهلية، طبقات فحول الشعراء. السفر الأول، ص٩٩.

(٦) معجم الشعراء، ص٢٥٥.

(٧) الموشح، ص٢٨ و٢٩، الرواية كاملة.

(٨) البيان والتبيين، الجزء الثاني، ص٩.

المُفْلِق:

المصطلح له علاقة بالمصطلح السابق. فالجاحظ يقول: «والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم: الفحل الخنذيذ. والخنذيذ التام. ودون الفحل الخنذيذ الشاعر المفلق، ودون ذلك الشاعر فقط، والرابع الشعرور»(١).

ولقد أطلق المرزباني مصطلح مفلق على مجموعة من الشعراء، ومن خلال سياق النصوص نرى تفرد الشاعر بميزة تميزه من غيره من الشعراء. فالنابغة الجعدي، أحد نعّات الخيل(٢). ومسلم بن الوليد مستخرج للطيف المعاني بحلو الألفاظ، وهو أول من طلب البديع وأكثر منه وتبعه الشعراء فيه(٣). وهديّة بن الخشرم بن كرز بن أبي حيَّة كثير الأمثال في شعره(٤). وعمران بن حطان له قول سائر(٥):

أيها المادحُ العَبادَ لِيُعطى ... إن لله ما بأيدي العِبادِ

فأسألِ الله ما طَلَبْتَ إليهم ... وارْجُ فَضْلَ المُهيمنِ العوّادِ

- وكذلك - فقد أطلق المصطلح دون الظفر بسياق على الشعراء: عوف بن عطية بن الخزرع التميمي تيم الرباب(٦)، وكعب بن جُعيل بن عُجرة بن قمير بن تعلبة بن عوف بن مالك(٧). ومروان بن أبي حفصة(٨).

والمفلق هو الذي يأتي بشيء عجيب، ويتضح ذلك من خلال رواية المرزباني المسندة إلى يحيى بن البحتري قال: سألت أبي عن دعبل، فقال: يُدخل

(١) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٩.
(٢) المزرباني، معجم الشعراء، ص١٩٥.
(٣) المصدر نفسه، ص٢٧٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦٠.
(٥) المزرباني الضائع من معجم الشعراء، ص ١٠٢.
(٦) المزرباني، معجم الشعراء، ص ١٢٥.
(٧) المزرباني، معجم الشعراء، ص٢٣٣.
(٨) المصدر نفسه، ص٣١٧.

يدَه في الجراب ولا يخرج شيئاً. قال قلت فأبو تمام؟ قال: مفلق، إلاَّ أنه ما مات حتى أصفى من الشعر[١].

- وفي اللسان - شاعر مفلق مجيد يجيء بالعجائب في شعره.

السابق والمُصَلِّي والسُّكّيت:

يفصح لنا النص الذي أورد المرزباني والمسند إلى محمد بن سلام ما تعنيه هذه المصطلحات، حيث قال: قال العلاء بن جرير: «كان يقال للأخطل إذا لم يَجىء سابقاً فهو سكَّيت. والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سُكَّيتاً، فهو بمنزلة المُصَلِّي. وجرير يجيء سابقاً وسُكَّيتاً ومصلياً.

قال ابن سلاّم: وتأويل قوله أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً روائع غُرَّا جياداً، هو بهن سابق، وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السُّكَّيت. والسُّكَّيت: آخر الخيل في الرهان.

ويقال: إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو مُصَلّ والمُصَلِّي: الذي يجيء بعد السابق، وقبل السّكيت.

وجرير له روائع هو بهنّ سابق، وأوساط هو بهنّ مُصَلّ، وسَفْسَفات هو بهنّ سُكَّيت[٢].

المغلَّب:

إنَّ المصطلح وثيق الصلة بالهجاء. فالنابغة الجعدي «كان مغلَّباً»[٣]. والمصطلح يفسره النص الذي أورده المرزباني والمسند إلى محمد بن سلاَّم،

---

(١) الموشح، ص٤٩٣.

(٢)الموشح، ص ١٨٣.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٠.

أنه قال: «إذا قالت العرب: مغلَّب فهو مغلوب. وإذا قالوا غُلِّب، فهو غالب»[1].

المخلى:

المصطلح يعني عدم إتيان الشاعر ببيت رائع في قصيدته. ففي النص الذي أورده المرزباني قال علي بن الجهم للبحتري إن أشجع السلمي: «يُخلي - وفي النص قال البحتري -: نظرت في شعر أشجع فإذا هو ربما مرَّت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيتٌ رائعٌ، وإذا هو يريد هذا بعينه أنه يعمل الأبيات ولا تصيب فيها بيتاً نادراً. كما أنّ الرامي إذا رمى برشقة فلم يصب فيه بشيء قيل أَخْلَى[2].

الهُزْرُوف:

إنَّ المصطلح يعني عدم اكتمال التجربة الشعرية. ففي النص الذي أورده المرزباني والمسند إلى هشام بن عُروة، قال: «سمع عروة بن الزبير من ابْنٍ له شعراً، وكان ابنه ذلك يقول الشعر، فقال له: يا بني، أنشدني فأنشده حتى بلغ ما يريد من ذلك، فقال له: يا بني، إنّه كان شيء في الجاهلية يقال له الهُزْرُوف بين الشعر والكلام، وهو شِعْرُك هذا»[3].

وفي رواية ثالثة: «بلغ عروة بن الزبير أن ابنه عبد الله يقول الشعر، فدعاه يوماً، فقال: أنشدني. فأنشده، فقال له: إن العرب تسمي الناقص القائمة من الدواب التي تمشي على ثلاث قوائم: الهُزْروف، فشعرك هذا من الهُزْروف»[4].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٩١.
(٢) المرزباني، الموشح، ص٤٥٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٥٤٨.
(٤) المرزباني، الموشح، ص٥٤٨، ٥٤٩.

المقلّدات:

يرد المصطلح في النص الذي أورده المرزباني والمسند إلى محمد بن سلاّم، أنه قال:... قلنا لبعضهم: «اذهب فأخرج مقلّدات الفرزدق، وقلنا لآخر: اذهب فأخرج مقلدات جرير، فجاء صاحب الفرزدق فأخرج معايب شعر الفرزدق، وجاء هذا فأخرج المقلّدات، فكانت مقلّدات جرير أكثر من معايب الفرزدق - وفي رواية ثانية مسندة إلى أحمد بن يحيى أنه قال: - كان محمد بن سلاَّم يفضل الفرزدق، قال فأخرج بيوتهما المقلدة، فلم يجد للفرزدق ما وجد لجرير»(١).

أما في طبقات فحول الشعراء، قال ابن سلاَّم: «وكان الفرزدق أكثرهم بيتاً مقلَّداً، والمقلّد: «البيت المستغني بنفسه، المشهور الذي يضرب به المثل»(٢).

والجاحظ يطلق المصطلح على القصائد، حيث قال: «ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كريتاً(٣)..... وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليّات، والمقلّدات، والمنقّحات والمحكمات...»(٤).

نَثُول:

مصطلح له علاقة بالسرقة الشعرية، ويتضح ذلك من خلال النص الذي أورده المرزباني:

«مرّ رجل من بني ربيع بن الحارث على الفرزدق وهو ينشد قصيدة له، وقد اجتمع الناس عليه، فمرَّ في أبيات كما هي للمخبَّل قد سرقها، قال:

---

(١) المصدر نفسه، ص١٨٥، ١٨٦.

(٢) ابن سلاَّم، طبقات فحول الشعراء، ج٢، ص٣٦.

(٣) كاملاً تاماً.

(٤) الجاحظ، البيان والتبيين، ج٢، ص٩.

فقلت: والله لئن ذهبت قبل أن أعلمه إنّ هذا لشديد، ولئن قلت قُدَّام الناس ليفعلنَّ بي. فقلت: أكلمه بشيء يفهمه هو، ولا يدري الناس ما هو، فقلت يا أبا فراس، قصديتك هذه نَثُولٌ. فقال: اذهب عليك لعنة الله، وفطن، ولم يفطن الناس.

ومعنى نثول: «أن البئر إذا حُفرت، ثم كُسبت ثم حُفِرت ثانية قيل لها نَثُول. فيقول: قصيدتك حَيِيت بعد ما ماتَتْ»(١).

اليتيمة:

مصطلح يطلق على القصيدة التي تحتوي أمثالاً كثيرة. فالمرزباني في ترجمته لسويد بن أبي كاهل - سويد بن عُطَيف، قال: «عاش في الجاهلية دهراً، وكان العرب تُسَمِّي قصيدته العينية «اليتيمة» لما اشتملت عليه من الأمثال.

ومن أبياته المذكور:

رُبَّ مَنْ أنْضَجْت غيظاً صدرهُ قد تمَنَّى لِيَ مَوْتاً لَمْ يُطَعْ
فإذا أسْمَعْتَهُ صَوْتِي انقَطَعْ مُزْبَدٌ يَخْطِرُ ما لم يَرَنِي(٢)

وهكذا نرى أنّ الموازنات التعليلية التي قدمناها - في هذا الفصل - قد ارتكزت على معايير نقدية قدّم النقاد من خلالها شاعراً على آخرَ، كملائمة المعنى (الموضوع) للغرض المعالج ومخالفته له، أو في تحكيم معيار الصدق الخلقي، أو من خلال النزعة الطبقية، أو صدق العاطفة، أو من خلال الموازنة في العيوب كعيبي التناقض والتضمين، أو في ائتلاف اللفظ والمعنى ، أو عدم ائتلافهما ، أو في التقصير لفظاً ومعنى ، أو في الإخفاق

(١) المرزباني، الموشح، ص١٧٦.

(٢) المرزباني، الضائع من معجم الشعراء، ص٧٣.

في التعبير عن صورة جزئية، أو في عدول بعضهم عن الفضائل الخاصة بمديح الرجال.

أما المصطلحات النقدية فهي وثيقة الصلة بنزعة الموازنة كما قدّمنا، وإنَّ ما قدَّمه المرزباني من روايات أو فيما أطلقه من أحكام سواء أتى بسياق يدل على المصطلح أم أتى المصطلحُ كوصفٍ مجردٍ، فإنه يشارك في هذه النقطة من البحث كبار النقاد، كالأصمعي وابن سلاّم الجحمي الذي اختار الشعراء في كتابه طبقات فحول الشعراء على هذا الأساس. هذا بالإضافة إلى ما قدّمه في مجال الموازنة بين البحتري وابن الرومي، وبين حسان وشاعر من كلب فرأيناه في الموازنة الأولى يدين بمعيار الصدقي الخلقي، وفي الثانية يدين بمعيار الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج وهو يشارك - في رأينا - في المعيار الثاني كثيراً من النقاد الذي أوردنا لهم ممن يؤمنون بهذين المعيارين.

ولا بدَّ من القول: إنَّ ما قدمناه من جهود النقاد في هذا المجال. كان نقداً داخلياً، وسوف نجدهم يُعْنَون بالنقد الخارجي كما سنرى في الفصل الذي يليه.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثالث

النقد التاريخي

«هو النقد الذي لا يكون إلا خارجياً، نظراً إلى أنه يهتم بأصل النص أكثر من اهتمامه بطبيعته ومعناه وهو يبحث عن حقيقة تحاول بالتحليل أن تبين إن كانت الوقائع المنطوقة مطابقة للواقع التاريخي»[١].

والانطلاقة في هذا النوع من النقد هي البحث في صحة الشعر وتمييز صحيحه من منحوله. مما دفع النقاد إلى متابعة الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم وأساليبهم جادين في معرفة ما قد نسب إلى شاعر متقدم من شعر نظم في وقت متأخر أو ما أدخله الشاعر من نتاج غيره في أشعاره.

وقد حرص النقاد القدماء على الأخذ من الرواة الثقاة ونبّهوا على الذين يشكون في رواياتهم. فقد أورد المرزباني نصاً على لسان ابن سلام، أنه قال: «أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها حماد الراوية، وكان غير موثوق به»[٢]. والمرزباني في ترجمته للواقدي قال: «ويختلف في ثقته»[٣]. وأبو الحسن علي بن سليمان بن الفضل الأخفش في رأيه: «لم يكن متسعاً في الرواية للأخبار والعلم»[٤].

---

(١) عكام د. (فهد)، مخطوط.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ١٨٥.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ٣١١.

(٤) المرزباني، نور القبس ص ٣٤١.

أما الراوية «فهو من يحمل الشعر وينقله ويذيعه»[(١)]. ففي خبر أورده المرزباني أن الرشيد سأل الأصمعي: أشاعر أم راوية؟ فأجاب: راوية لكل ذي جِدٍّ وهَزْلٍ بعد أن يكون محسناً»[(٢)]. والرشيد يسأل الأصمعي: «أتروي كلمة - قصيدة - عدي بن الرّقاع:

عـــــرف الــــدِّيار تَوَهـمُّــــا فاعتادهـــــا

فقال الأصمعي: أنشدته حتى بلغت إلى قوله:

تزجـــــى أغَـــــنَّ كـــأن إبْـــرة رَوْقِـــهِ[(٣)] [(٤)]

ولم يقتصر عمل الراوي على نقل الأشعار وإنما كان يقوم بتنقيحها، والتنقيح لم يأت عبثاً وإنما جاء نتيجة تنبه النقاد على أهمية اللفظ في السياق الشعري، ونستدل على ذلك من خلال رواية المرزباني المسندة إلى الأصمعي، يقول: «قرأت على خلف شعر جرير، فلما بلغت قوله:

فيالـــك يومـــاً خـــيرُه قبـــلَ شرِّه تغيَّـــبَ واشـــيهِ وأقـــصرَ عاذلـــه

فقال: ويله! وما ينفعه خير يؤول إلى شر؟ قلت له: هكذا قرأته على أبي عمرو. فقال لي: صدقت وكذا قاله جرير، وكان قليل التنقيح مشرَّد الألفاظ، وما كان أبو عمرو ليقرئك إلا كما سمع فقلت: فكيف كان يجب أن يقول؟ قال: الأجود له لو قال: /فيالك يوماً خيره دون شرِّه / فاروه هكذا، فقد كانت الرواية قديماً تصلح من أشعار القدماء. فقلت: والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا[(٥)].

---

(١) الأسد (ناصر الدين)، مصادر الشعر الجاهلي ص١٨٨.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص ١٢٩.

(٣) ظبي أغن: يخرج صوته من خياشيمه. والروق الحسن الخلق.

(٤) نور القبس، ص ١٣٠ و ١٣١. وفي الخبر نفسه سأل الرشيد الأصمعي: أتروى لرؤبة والعجاج؟.

(٥) المرزباني، الموشح، ص ١٩٨ و ١٩٩.

والتنقيح قد يقوم به الشاعر نفسه. ففي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى أحمد ابن يحيى، أنه قال: وقال بعض رواة ذي الرّمة له: «أفسدت علي شعرك، وذلك أن ذا الرّمة كان إذا استضعف الحرف أبدل مكانه»[1].

وتنقيح الشعر كان مثار خلاف وخصومة بين مدرستي البصرة والكوفة. فالأصمعي وصفهم بأنهم «رواة غير منقحين»[2].

وقد أشار المرزباني إلى بعض طرق الرواة في الحصول على الأشعار بالنقل مشافهة عن أفواه الأعراب معتمدين على قوة الذاكرة، ففي خبر أورده أن الأصمعي، قال: «دخلت البادية فإذا أنا بأعرابية على قبر وهي تنشد:

هـــل أخـــبر القـــبرُ ســـائليه   أو قرَّعَينـــــاً بزائريـــــهِ

- وفي الرواية يطلب الأصمعي أن تعيد المرأة الأبيات ولكنها رفضت - فقال لها: قد حفظتها أنشدك قالت: نعم فأنشدتها. قالت لعلك الأصمعي الذي يبلغنا خبره؟ فقلت نعم: ثم انصرفت[3].

والرواية تكون بالإملاء، قال المرزباني: قال إبراهيم بن المنذر الخرامي: «أملى عليَّ محمد بن المناذر»[4]. وتكون بالكتابة ففي خبر أورده المرزباني أن حماد الراوية جاء إلى الكميت فقال: اكتبني شعرك. قال: «أنت لحان ولا أكتبك شعري»[5].

(١) المصدر نفسه، ص ٢٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ص ٣٩٢.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص ١٦٢.
(٤) المصدر نفسه، ص ٣١١.
(٥) المصدر نفسه، ص ٣٠٨ والموشح ص ٢٠٨ فقد روى ذو الرمة أشعاره من كتاب

والاختلاف في نسبة الأثر الشعري إلى قائله من القضايا التي أخذت حيزاً بارزاً في اهتمامات المرزباني ونراه يقطع برأيه أحياناً، أو يقف موقفاً لا يقر فيه برأي أحياناً أخرى.

ففي ترجمته لعمرو بن الحارث أبي شرحبيل الكندي. قال محمد بن داود: قال يرثي شرحبيل بن الحارث المقتول بالكلاب وقتلته تغلب:

إنَّ جَنبـي عـن الفِـراش لنـابي كتجـافي الأَسَرِّ فـوق الظِّـراب[1]

وهي أبيات تروى لأخيه معدي كرب بن الحارث وهو الصحيح[2]

وقد أشار قاطعاً برأيه في مواقع متعددة[3].

ومما لم يقطع به برأي ترجمته لعمرو بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة، وهو الأحمر. «يقول في رواية محمد بن داود عن رجاله:

وإذا تكـون كريهـة أدعـى لهـا وإذا يُحاس الحَيْس يُـدْعى جُنْـدُبُ[4]

قال: وذكر المفضل الضبي أن هذا القول لبعض ولد طيء. وقال المرزباني وقد رويت هذه الأبيات لهني بن أحمر الكناني»[5].

وفي ترجمته لعمرو بن الحارث أبي شرحبيل الكندي. قال: ويروى له وقيل لجده سعد بن مالك:

---

(١) استجفى الفراش وغيره: عده جافياً، الظرب: ما نتأ من الحجارة وحده طرفه. ونبا عن الفراش: لم يطمئن إليه.
(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٩٥، ١٩٦، ٢٩٦، ٢٣٨، ٣٧٩، ٥٦. والموشح ٢٥٤، ٣٤٥.
(٤) كريهة: حرب شديدة، يحاسى الحيس: تختلط الأمور، وحارس يحيسه: الأمر الرديء والغير محكم.
(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٦.

يـــا بـــؤس للحـــرب التـــي وضـــعت أراهـــطَ فاســـتراحوا[1]

وهنالك مواضع كثيرة لم يقطع فيها برأي[2].

ويرجح المرزباني رواية على أخرى «ففي قول الأحوص:

ضـنّت سـعاد غـداة البـين بـالزّاد وآثرت حاجة الشاوي عـلى الغـادي

قال الشيخ أبو عبيد الله لمزرباني: هكذا قال أبو الحسن [علي بن هارون] والرواية المشهورة الصحيحة في بيت الأحوص:

ضـنَّتْ عَقيلـة لمـا جئـت بـالزّاد[3]

على الرغم من الدقة والجهود التي بذلها المرزباني في هذا المجال، نجده ينسب أبياتاً لمحمد بن أبي عمران:

سـأترك هـذا البـاب مـا دام إذنـه عـلى مـا أرى حـين يلـين قليـل

إذا لم أجـد يومـاً إلى الأذن سـلما وجـدت إلى تـرك المـزار سـبيلاً[4]

وقد روى هذين البيتين للسدري أبي نبقة (محمد بن هشام بن أبي خميصة)[5]

وكان يشير إلى الغلط الذي يقع الراوي به. ففي روايته وفي سند يرجع إلى عمر بن شبة أن الفرزدق دخل على الوليد بن عبد الملك. وأنشده شعراً. قال

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٤.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٥٤، ٧١، ٧٢، ٧٥، ٨٢، ٩٠، ٩٨، ٣٦، ١٧٧، ١٩٣، ١٨٧، ١٨٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٥، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٤، ٣٧١، ٤٣٦، ٤٥٣، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٨. والموشح، ص ٩٧، ١٢١.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٤٦١.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٠٢. وفي البيت اقواء.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٧٥، ٣٧٦.

المرزباني: «وذكر الفرزدق في هذا الحديث غلط لأنه ما ورد على خليفة قبل سليمان بن عبد الملك»[١].

وتصحيح الاسم والنسبة من القضايا التي اهتم بها المرزباني ففي ترجمته للقطامي، قال: «عمير بن شيم بن عمرو بن عباد بن بكر بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. وقيل اسمه عمرو، والأول أثبت»[٢].

وقد قطع برأيه سواء في الاسم أو النسبة في مواقع متعددة[٣].

ونجده أحياناً كثيرة لا يقطع برأي ففي ترجمته لعمرو بن عبد مناة الخزاعي، قال: «ويقال هو ابن عبد مناف»[٤]. وفي ترجمته للممزق العبدي، قال: «اسمه شأس بن نهار بن الأسود. وقيل اسمه (يزيد) بن نهار بن الأسود، وقيل (يزيد) بن خذاق»[٥].

وإن صحة الشعر وتمييز المنحول منه، من القضايا التي اهتم بها النقاد. فالمرزباني في ترجمته لعلي بن عبد الله وأخيه أحمد، قال: «تروى لهما أشعار أنا أشك في روايتها»[٦]. وفي ترجمته للعنبر بن تميم، قال: قال محمد بن سلام، من قديم الشعر الصحيح قوله:

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٤٦٣.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩، ٤٧، ٦٨، ٢٥٨، ٢٨٦، ٣٣١، ٣٦٩، ٤٩٠، ٤٩٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٨١، وأمثلة أخرى على ذلك في المصدر نفسه، ص ٦٧، ٥٦، ٥٧، ٧٥، ١٠، ٧٩، ٨٧، ٣١٢، ٤٥١، ٤٨١، ١١٨، ١١٩.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٥٣.

قــد رابنــي مــن دَلْــوِيَ اضــطرابُها   والنـــأيُ في بَهـــراءَ واغترَابُهَـــا

إلاَّ تَجِـــىء مَـــلأَى تَجِـــىء قُرَابُهَـــا[1][2]

وإن قضية الانتحال وثيقة الصلة بموضوع الرواية. فالمرزباني في ترجمته لعلي بن محمد الورزنيني، قال: «تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك. وسمعت ابن دريد يذكر أنها أو أكثرها له لأنه كان يقولها وينحلها غيره، وقرئت عليه بحضرتي فاعترف بها»[3]

وقال المرزباني: قال أحمد بن أبي طاهر: «كان الفرزدق يصلت على الشعراء وينتحل أشعارهم»[4].

---

(١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، الجزء الأول، هامش ٢٧، فقد علق محقق الطبقات على الأبيات قائلاً: تدل الأبيات على أن العنبر لقي عنتاً في بهراء، وأنهم كادوا له عند السقي في البئر حتى تركوا دلوه فارغة تضطرب برشائها بين الدلاء الملأى. وقوله: «والنأي» يعني نأي دلوه في بهراء واغترابها، أسند الاغتراب والنأي إليها. وقراب الشيء وقرابه وقرابته: ما قارب قدر تمامه أو امتلائه، وهذا البيت الأخير من الرجز منقطع عما قبله، وأحسب أن في الشعر سقطاً قديماً لم تعرفه الرماة وكأنه يريد أن يقول: لو كنت في بني عمرو بن تميم، لجاءت دلوي بمائها.

(٢) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٧٤. وابن سلام، طبقات فحول الشعراء، الجزء الأول، ص ٢٦ و ٢٧ حسين (طه)، في الأدب الجاهلي، ص ٥٦ فهو يعتقد أن هذا البيت منحول، وسبب الاستشهاد به لأنه كان يجري مجرى المثل فيما يظهر.

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٨.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ١٦٨، والموشح ص ١٦٩ و ١٧٠ فقد انتحل الفرزدق أربعة أبيات للشاعر ذي الرمة. والموشح ص ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ فقد انتحل الفرزدق شعراً لكل من الشعراء: الشمرول اليربوعي وابن ميادة والراعي وجميل.

ومصطلح الانتحال وإن لم يتناوله المرزباني بالتفسير فقد فسره نقاد آخرون وهو يعني أن يأخذ الشاعر أبياتاً لشاعر آخر[١] ويدعيها له جملة شريطة أن يقول الشعر[٢].

وفي خبر أورده المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي، أنه قال: حدثنا عبد الله بن سالم، قال: «كان أبو نخيلة ينتحل شعر رؤبة بن العجاج»[٣].

والنحل يسهم في بناء قصيدة هجائية، فقد أورد المرزباني خبراً يرجع إلى عمر بن شبة وأبي يحيى علي بن يحيى المنجم أن جريراً قال عن الأخطل: «إنه ليهجوني ومعه خمسون شاعراً كلهم غرير ليس بدون الأخطل، وذلك أنه إذا أراد هجائي جمعهم على شراب فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً حتى يتموا القصيدة وينتحلها الأخطل»[٤].

وأورد المرزباني خبراً عن الرياشي، قال: ويقال: «إن كثيراً من شعر امرئ القيس ليس له، وإنما هو لفتيان كانوا يكونون معه مثل عمرو بن قميئة وغيره»[٥].

والعامل الاقتصادي سبب من الأسباب التي أدت إلى النحل. فقد أورد المرزباني خبراً يرجع إلى محمد بن سليمان النوفلي، قال: سمعت أبي يذكر، قال: «كل رجل من باهلة اليمامة امتدح مروان بن محمد بشعر، يقول فيه:

مروانُ يا ابنَ محمد أنت الذي ... زِيدتْ به شرفاً بنو مروان

---

(١) هدارة (محمد مصطفى)، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص ١٠٩، والقول مأخوذ عن حلية المحاضرة، للحاتمي (محمد بن الحسن)، عن مخطوط بمكتبة القزويني بفاس (برقم) ٤٣٣٤ الورقة: ٨ - ٩٩.

(٢) هدارة (محمد مصطفى) ص ١١٦، والقيرواني (ابن رشيق) العمدة جزء: ٢، ص ٢٨٢.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٣٤٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٤، ٢٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧ و ٤٣.

فوقع مروان في حروبه، فلم يخرج، إليه الرجل حتى قتل مروان، ولقي مروان ابن أبي حفصة هذا الباهلي فاشتراها بثلاثمائة درهم، وقلب الاسم، فقال:

معن بن زائدةَ الذي زِيدَتْ به ... شرفاً على شرفٍ بنو شَيْبَان

وتممها، وجعلها مديحاً لمعن»[1].

وتزيد المتأخرين في شعر المتقدمين سبب آخر للنحل، فالأصمعي قال عن مهلهل بن ربيعة: «أكثر شعره محمول عليه - ويصف البيت الذي يروى لمهلهل - مصنوع محدث، وهو قوله:

أنبَضوا مَعجِس القِسيِّ وأبرقْـ ... ـنا[2] كما توعِدُ الفحول الفحولا[3]

وقوة الشاعر وشهرته سبب من الأسباب، قال المرزباني: حدثني يوسف بن يحيى بن علي المنجم، عن أبيه، قال: إنما فعل الفرزدق بجميل وذي الرمة وغيرهما هذا - نحلهم أشعارهم - لأنه كلما مر به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه في الشعر، ولأنه من جنس جيده، لا رديء قائله»[4].

وقد لا يصرح النقاد بلفظ النحل ويكون مفهوماً من خلال السياق، قال المرزباني، أخبرني محمد بن يحيى، قال: «يروى أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء جارية ابن طرخان، فقال: أجيزي هذا البيت:

أهدى له أحبابُهُ أُترجَّة ... فبكى وأشفق من عِيافةِ زاجر[5]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٣٩٣.

(٢) الإنباض: أن يجذب الوتر ثم يرسل فيصيب كبد القوس ومعجس القوس: مقبضها. وأبرقنا: لمعانا بالسيوف.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٣٠٨ و ٣١٠، والموشح ص ٣٣٣، فقد قال الأصمعي في شعر الأغلب العجلي: «كان ولده يزيدون في شعره حتى أفسدوه».

(٤) المرزباني، الموشح، ص ١٧٥.

(٥) تَرَجَ: أشكل عليه شيء من علم وغيره. العيافة: الكره والزجر.

قالت:

خــاف التلــوُّنَ إذ أتتــه لأنَّهــا لونــان باطنهــا خــلافُ الظــاهر

فقال: لئن ظهر هذا البيت لا دخلت لكم منزلاً أبداً. ثم ضمه إلى بيته»[١].

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى أحمد بن حمدون، قال: «أنشدت غصين بن برَّاق الأسدي بيتي العباس بن الأحنف:

نـزف البكـاء دمـوعَ عينـك فاسـتعر عينــاً لغــيرك دَمْعُهــا مِــدْرارُ

مَــنْ ذا يُعــيرك عَيْنَــه تَبْكــي بهــا أرأيــت عيْنــاً للبُكـــاءِ تُعــارُ

فحلف أن البيت الأول لرجل عندهم، وأنه لا يعرف الثاني»[٢].

وبعد، فإن قضية الشعر الصحيح والمنحول ولدت موضوعات نقدية جديدة كالسرقة الشعرية، وأصالة الكاتب.

وقد أورد المرزباني روايات متعددة يعالج النقاد فيها قضية السرقة، منها ما كانت أحكاماً عامةً، ومنها ما تناولت المعاني أو الألفاظ، ومنها ما تناولتهما معاً، ومنها ما عالجت سرقة البيت أو القصيدة.

فالسعيدي - خالد بن سعيد من ولد سعيد بن العاص، قال: كان الأخطل يقول: «نحن معاشر الشعراء أسرق من الصناعة»[٣].

وأحمد بن أبي طاهر، قال: قال الفرزدق: «خير السرقة ما لم تقطع فيه اليد»[٤]. والأصمعي قال: «تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة. وأما جرير فما

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٤٨.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٤٤٨.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٢٥ و ٥٧٥.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ١٦٨.

علمته سرق إلا نصف بيت»[١]. وقال أيضاً في شعر النابغة الجعدي: «الشعر الأول من قوله جيد، والآخر كأنه مسروق»[٢].

وأورد المرزباني خبراً آخر، قال الزبير: وحدثني محمد بن حسن، قال: ذكر كثيّر جميلاً، فقال: «أَمَتُّ له ألف قافية - يقول سرقتها فغلبت عليها»[٣]. ودعبل يقول عن أبي تمام: «ثلث شعره سرقة»[٤].

وقد تتبع النقاد سرقات الشعراء في ألفاظهم ومعانيهم، قال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى، قال المجنون:

تداويتُ مِنْ لَيْلَى بليلى وَحُبِّها ... كما يتَداوى شارِبُ الخَمْرِ بالخَمْرِ

فكان هذا من أحسن المعاني بأحسن الألفاظ، وإن كان الأصل فيه قول الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذَّةٍ ... وأُخْرَى تداويْتُ منها بها

فأخذه أبو نواس فوا الله ما بلغه، وظهر في لفظه تكلف، فقال:

دَعْ عنك لَوْمِي فإنَّ اللَّومَ إغراءُ ... ودَاوِني بالتي كانت هي الداءُ

والكلفة في قوله: «بالتي كانت هي الداء»، فقال البحتري - سارقاً للفظ ومقصراً عن الطبع والمعنى:

تداويتُ من ليلى بليلى فما اشْتَفَى ... بماءِ الزُّبى[٥] مَنْ باتَ بالماءِ يَشْرَقِ[٦]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٦٧.
(٢) المرزباني، الموشح، ص ٩١.
(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٣٥.
(٤) المرزباني، الموشح، ص ٤٦٦.
(٥) الزبية: الرابية لا يعلوها ماء، وجمعها الزبى.
(٦) المرزباني، الموشح ص ٥١٨ و ٥١٩.

وقد أورد المرزباني روايات متعددة في سرقات المعاني، قال ابن المعتز: قال أبو تمام:

رقَّت جـواهِرُ أجنـاس الغَـزَال فلـو ... مُلّكتُشْربت الْخـشِـْ فـَ في الكـأسِ[1]

سرق المعنى من قول أبي العتاهية، وقد غنى:

رقـقــتَ حتــى كــدتُ أن أحــسوك[2][3]

والسرقة لم تقتصر على سرقة قول موزون من قول موزون، وإنما تعدتها للسرقة من قول منثور، قال ابن المعتز: قال أبو تمام:

إذا الـثلجُ في حـرِّ الهجـيرة لم يـذب ... من الصنِّ والـصنَّبر ذابـت فوائـده[4]

وسرق هذا المعنى من قول الآخر: ما أجمد في حق، ولا أذوب في باطل، فأساء السرقة وشوه المعنى»[5].

ولعل الاهتمام بهذا الجانب النقدي قد ولد مصطلحات نقدية جديدة:

النقل:

وهو تحويل المعنى من غرض إلى غرض[6]، مع أخذ اللفظ والمعنى. قال الصولي: «فأما الذي أخذه البحتري نقلا، فأخذ اللفظ والمعنى، فقول أبي تمام يصف شعره:

---

(١) الخشف: ولد الظبي أول ما يولد، أو أول مشيه، أو التي نفرت من أولادها وتشردت.

(٢) الحسو: الشرب شيئاً بعد شيء.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٤٨٢، وفي سرقة المعاني ينظر الموشح، ص ٤٧٥، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٩٠، ٤٨٢، ٤٨٤٠، ٥٠٥، ٢٢١، ٦١ و ٦٢. ونور القبس ص: ٣٠٥، ١٦٦، ١٦٧.

(٤) الصن أول أيام العجوز، والصنبر الثاني. وأيام العجوز سبعة تكون في آخر الشتاء.

(٥) المرزباني، الموشح، ص ٤٨٠.

(٦) هدارة (محمد مصطفى)، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص ١١٧. وابن رشيق يعد الاختلاس والنقل مصطلحاً واحداً. العمدة، ص ٢٨٢.

منزَّهـــةٌ عـــن الـــسَّرَق المَـــوَّرى   مكرَّمـــةٌ عـــن المعنـــى المُعـــادِ

فقال البحتري يصف بلاغة:

لا يعمــــل المعنــــى المكــــرَّ   رفيـــه واللفـــظَ المُـــرَدَّد[١]

وقال الصولي: «قال أبو تمام:

ولقـــد أردتـــم مجـــده وجَهَـــدْتُم   فـــإذا أبـــانٌ قـــد رســـا ومُتـــالِعُ[٢]

فنقله البحتري لفظاً ومعنى، فقال:

ولـــن ينقـــل الحـــساد مجـــدك بعـــدما   تمكـــن رضـــوى واطمـــأن متـــالع[٣][٤]

الاحتذاء: ويقصد به أخذ المعنى، قال الصولي: ومما احتذى فيه البحتري أبا تمام، وقدر مثل كلامه، فعمل معناه عليه ما أخذه من قوله:

هِمَّـــة تـــنطح النجـــوم وَجـــدٌّ   ءٌ للحـــضَيض فهـــو حـــضيض ُ

فقال البحتري:

مُتَحَـــيِّرٌ يَغْـــدو بِعَـــزْم قـــائم   في كـــلِّ نازلـــةٍ وَجـــدٍّ قاعِـــد[٥]

الأخذ:

وهو يرد دون سمة أحياناً، ويعادل السرقة أحياناً أخرى. قال المرزباني في ترجمته لعاصم بن محمد الكاتب:

«يقـول:

(١) المرزباني، الموشح، ص ٥٠٨ و ٥٠٩.
(٢) أبان ومتالع: جبلان.
(٣) رضوى: اسم جبل.
(٤) المرزباني، الموشح، ص ٥٠٩.
(٥) المرزباني، الموشح، ص ٥٠٩ و ٥١٠.

وصن رُقعتي عن مبتغى العَيبِ إنَّ من   نَسمَّه هم أُخلَّ به الشِّعْرُ

أخذ هذا البيت من قول ابن الرومي:

وإنْ سقطاتٌ من كتابي تتابعت   فلا تَلْحَني فيما جنيتُ على ذهني

ظَلمتَ فإن أُلحق بظلمك خلَّتي   جنى زلّتي والظلمُ شرٌّ من اللحْنِ(١)

وفي قول قيس بن الخطيم:

كأنها عود بُانةٍ قَصِفُ(٢)

ويعاب - القول - لأن المرأة إنما تشبه بالعود المتثني لا بالمتقصف.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: فأخذه [أحمد] بن أبي فنن فقال في وصف الخادم الصغير:

أيها الظبيُ المليح الـ   ـقدِّ مجدولٌ مهُفهَفْ

لا تميلنَّ فإني   خائف أن تتقصَّفْ(٣)

ونلاحظ أن المرزباني أورد مصطلح (الأخذ) دون صفة. بينما نجده عند نقاد آخر يحمل سمة تحقيرية تعادل السرقة: قال المرزباني: قال أبو ضياء بشر بن يحيى، «قال أبو تمام:

يستنزل الأمل البعيدَ ببِشْرِه   بُشرى المخْيلةِ بالربيع المُغْدِقِ

وكذا السحائبُ قلَّ ما تدعو إلى   معروفِها الرُّوادَ ما لم تبْرُقِ

فأخذه البحتري أخذاً قبيحاً، وأتى بمحال واضطراب شديد، فقال:

ضحكاتٌ في إثْرِهنَّ العطايا   وبُروقُ السَحابِ قبل رُعودهْ

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٢٠.

(٢) البانة: شجرة لها ثمرة تربب بأفاويه الطيب ثم يعتصر دهنا طيباً، ولاستواء نباتها ونبات أفنانها وطولها ونعمتها ـ شبه الشعراء الجارية الناعمة بها. قصف: خوار ناعم يتثنى.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٥٣١.

فحبيب إنما شبه البِشر بالبرق الذي هو دليل على الغيث، ثم أقام العطاء من بعد البشر مقام الغيث، فأما الرعود فليس لذكرها في هذا الموضع معنى، بل الرعود مكروهة لا يؤمن من الآفات فيها بالصواعق والبرد، وما علمنا أحداً وصفها فأقامها مقام المطر غيره»[1].

النسخ:

يجعله ابن رشيق مرادفاً للاهتدام والذي يعني السرقة دون البيت[2]. أما في رواية: المرزباني فإن المصطلح يعني أخذ اللفظ والمعنى معاً. قال المرزباني: قال أحمد بن أبي طاهر: قال النابغة الذبياني[3]:

وصهباء لا تُخْفِي القَـذى وهْـي دونـه ... تُـصَفّقُ في راووقهـا ثـمَّ تقْطَـبُ[4]

تمَزَّزْتهـا[5] والـدِّيكُ يَـدعو صـباحَه ... إذا مـا بنـو نعْـشٍ دنـوا فتَـصوَّبوا

فقال الفرزدق:

وإجَّانَــةٍ رَيَّـا الـشرُوبِ كأنهـا ... إذا صُـفّقتْ فيهـا الزجاجـةُ كوكـبُ

تمزَّزْتُهَـا والـدِّيكُ يـدعو صـباحَه ... إذا مـا بنـو نعْـشٍ دنـوا فتَـصوّبوا[6]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٥٢٤.

(٢) هدارة (محمد مصطفى)، مشكلة السرقات في النقد العربي، ص ١١٦، وابن رشيق، العمدة ص ٢٨٢.

(٣) في هامش المخطوط: قلت هذا للجعدي لا للذبياني.

(٤) الصهباء: الخمر، أو المعصورة من عنب أبيض، اسم لها كالعلم. القذى: ما يقع في العين أو الشراب التصفيق: التقليب، وتحويل الشراب من إناء إلى إناء ممزوجاً ليصفو. الراووق: المصفاة وناجوذ الشراب الذي يروق به، والكأس بعينها، تقطب: تمزح.

(٥) التمزر: الشرب القليل.

(٦) المرزباني، الموشح ص ١٧٨.

الإغارة:

أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً، فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتاً، فيروى له دون قائله[1]. فقد أورد المرزباني خبراً يرجع إلى أبي عبيدة، قال: «كان قراد بن حنش المري من شعراء غطفان... وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى، ادعى هذه الأبيات:

إن الرزيـــة لا رزيئـــة مِثلُهـــا ـــ مــا تبتغــي غطفــانُ يــومَ أضــلّتِ

وهي لقراد بن حنش»[2].

والمرزباني في ترجمته للقحيف العقيلي، قال وله من قصيدة ذكر فيها يوم الفلج:

ولــولا الــريحُ أســمع مــن بحجــر ـــ صــليل البـيض تُقـرَع بالــذُّكورِ[3]

أغار فيه على قول مهلهل بن ربيعة:

ولــولا الــريحُ أســمع مــن بحجــر ـــ صــليل البــيض تُقــرَع بالــذُّكورِ

المسخ:

وهو إحالة المعنى إلى ما دونه، ففي خبر أورده المرزباني وفي سند يرجع إلى أبي أحمد يحيى بن علي المنجم قال: قال العتابي:

ــآقي انقبَّــاض ٌ عــن جفــونها ـــ وفي الجفــونِ عــن الآمــاق تقــصير

---

(١) هدارة (محمد مصطفى)، مشكلة السرقات في النقد العربي. وابن رشيق، العمدة، ص ٢٨٤.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٥٩.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢١١.

وهذا البيت أخذة من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله:

جفَتْ عيني عن التّغميض حتّى ... كأنَّ جفونها عنها قِصَار

فمسخه العتابي - ومتابعة الخبر يوضح لنا موقف النقاد من السرقة الحسنة والمذمومة ـ على أن بشاراً قد أخذه من قول جميل:

كأَنَّ المحبَّ قصِيرُ الجفونِ ... لطولِ السُّهادِ ولم تقْصُرِ

إلا أن بشاراً قد أحسن في أخذه ولم يبلغ جميلاً وجاء هذا إلى المعنى قد تعاوره شاعران محسنان مقدمان وأحسنا فيه، فنازعمها إياه فأساء، وحق من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صنعة السابق إليه أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة مذموم في التقصير»[1].

ورؤية المرزباني النقدية في حسن الأخذ وقبحه لم تخرج عما قدمنا، فقد قال: «اشترك محمود [الوراق] وعلي بن الجهم في معنى قول علي وأحسن فيه:

كم مِنْ عليل قد تخطّاه الرَّدَى ... فنجا ومات طَبِيبُه والعُوَّد

وقول محمود:

وكم مِنْ مريضٍ نعاهُ الطبيبُ ... إلى نَفْسِه، وتولَّى كئيبا

ات الطبيب وعُاش المريض ... فأضحى إلى الناسِ ينعي الطبيبا

فأساء فيه، لأنه إن كان أخذه من علي وجاء به في بيتين، ومضّغة وصيرّه قصصاً بقوله: أضحى ينعاه إلى الناس - فقد أخطأ، وإن كان علي أخذه منه فقد

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٥٠ و ٤٥١.

جاء به في بيت واحد وأحسن، فصار أحق بالمعنى منه. وأخذاه جميعاً من قول عدي بن زيد:

صَحيحٍ نَـَ ْ ـحَى يَعودُ مَرِيضاً   وهو أدْنَى للموتِ ممَّنْ يعودُ[١]

والشاعر الذي يتتبع معنى شعرياً عند شاعر آخر ويجيد به يعده النقاد أولى به من صاحبه فقد روى المرزباني قول دعبل في أبي تمام: «كان يتتبع معاني فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه: ما من ذلك أعزك الله؟ قال: قلت:

إنَّ امرأً أَسْدَى إليَّ بشافع   إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه   يصونُك عن مكروهها وهو يُخْلَقُ

فقال له الرجل: فكيف قال أبو تمام؟ قال: قال:

فَلَقِيتُ بين يديكَ حُلْوَ عطائِه   ولقيتَ بين يديَّ مُرَّ سؤالِه

إذا امرؤٌ أسدى إليَّ صنيعةً   مِنْ جَاهِه فكأنها مِنْ مالِه

فقال الرجل: أحسن والله! قال: كذبت، قبحك الله! قال: والله لئن كان ابتدأ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، ولئن كان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك»[٢].

وإن ما طرحه المرزباني في روايته كرر على لسان نقاد آخرين فابن المعتز قال: ولا يعتذر الشاعر في سرقته حتى يزيد في إضاءة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول»[٣]. والصولي يقول: «إن الشاعر إذا أخذ معنى ولفظاً وزاد فيه ووشحه ببديعه، وتمم معناه، كان أحق به»[٤]. وكذلك مع ما أسماه أبو هلال

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٥٣٢.

(٢) الموشح، ص ٤٥٨ و ٤٥٩.

(٣) الموشح، ص ٤٥١.

(٤) هدارة (محمد مصطفى) ص ٩٩. والصولي، أخبار أبي تمام، ص ٥٣.

العسكري (حسن الأخذ): «ولكن عليهم - إذا أخذوها - أن يكسوها ألفاظاً من عندهم ويبرزوها في معارض تأليفهم، ويوردوها في غير حليتها الأولى، ويزيدوها في حسن تأليفها وجودة تركيبها وكما لحليتها ومعرضها، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها[1].

الاجتلاب:

من المصطلحات التي أطلقها النقاد أحياناً، ويراد بها - على ما يبدو في السياق - سرقة قصيدة أو معنى، قال أبو عبيدة: «كان الفرزدق يجتلب القصيدة والمعنى»[2]

ومما أثاره النقاد سرقة البيت الواحد، قال المرزباني في ترجمته لعمرو بن شأس بن الحارث ومن قول عمرو:

ـأطرْقُ إِطـْراقَ الـشـّجاع وَلَـو يَـرَى ... ـساغا لَنابيـه الـشُّجاع لقـدْ أَزَمْ [3]

سرقة عمرو من المتلمس»[4].

- وكذلك - سرقة عدة أبيات، ففي خبر أورده المرزباني وفي سند يرجع لكردين البصري أن عريفهم عون بن ثعلبة علق بالفرزدق، وقال: «يا عدو الله، سرقتنا قول صاحبنا الأعلم العبدى:

ذا اغــبرَّ آفــاقُ الــسماءِ وكــشّفَتْ ... سُتورَ بيُوتِ الحيِّ حمْراءُ حرْجَفُ [5]

وهي تسعة أبيات

(١) العسكري، الصناعتين، ص ١٩٦.

(٢) الموشح، ص ١٧٥.

(٣) أَزَمَ: عَضَّ بالفَمِ كُلِّه شديداً.

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٢٢، ٢٣.

(٥) الحرجف: الريح الشديدة الهبوب، أو الباردة.

قال: وهذه الأبيات للأعلم كلها، فأدخلها الفرزدق في قصيدته.

عَزفت بأَعْشاشٍ وما كِدْت تَعْزِفُ وأنكرت من حَوراء ما كنْتَ تعرفُ[1]

أو سرقة أكثر أبيات قصيدة فقد أورد المرزباني قصيدة لمكنف أبي سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى، وقد رثى ذُفافةَ العبسي:

أَبَعْدَ أبي العباس يُسْتَعْتَبُ الدّهْرُ وما بَعْدهُ لِلْدهْر عُتْبَى ولا عُذْرُ

وقال دعبل: سرق أبو تمام أكثر هذه القصيدة فأدخلها في شعره.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: يعني قصيدة أبي تمام التي على روى هذه الأبيات، ورثى فيها محمد بن حميد: وأولها:

كذَاَ فليجلّ الخَطْبُ وليفدْحِ الأمر[3]

وأصالة الكاتب من القضايا التي تتعلق بموضوع السرقات الشعرية وهي تعني كما يقول الدكتور أسعد علي: «أن يأتي الشاعر بمعان جديدة مبتكرة لم يسبق إليها، وقد يتناول معاني غيره فيكون مقلداً»[4].

فقد روى المرزباني أن حماداً الراوية سئل عن شعر امرئ القيس، فقال: «مبتدئ بإحسان والناس بعده له تبع لا يلحقونه»[5]. والنابغة هو «أول من

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٧٤ و ١٧٥.

(٢) عزفت: زهدت فيه، وانصرفت عنه، ويقولون تلمس أعشاشك: أي تلمس العلل والتجني في أهلك.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤.

(٤) علي (أسعد)، السبر الأدبي، ص ٨٦.

(٥) المرزباني، نور القبس، ص ٣٦٩، والموشح ص ٣٤: حيث قدم الصولي امرأ القيس على غيره من الشعراء في وصف تزايد الهموم على الشعراء في الليل (والمبتدئ بالإحسان فيه امرؤ القيس).

وصف أن الهموم متزايدة بالليل، وتبعه الناس»[1]. وأبو نواس «للمحدثين كامرئ القيس للأوائل»[2].

وفي رواية المرزباني، قال الأصمعي: «ما اعتذر أحد إلا احتاج إلى قول النابغة:

فإنـك كالليـلِ الـذي هَـوَ مُـدركي وإن خِلتَ أنَّ المنتـأى عنـك واسـع[3]

وخلاصة القول أنّ المرزباني أثار إضاءات نقدية تتعلق بالراوي وعمله، وهل هو موضع ثقة أو لا؟ ولابد من القول إن عمل الراوي لم يقتصر على نقل الشعر وإنما تعدى ذلك إلى تنقيح الشعر، وإن التنقيح كان مثار خصومة بين البصريين والكوفيين، ومما أشار إليه طرق الرواية من حفظ وكتابة، وفي اختلاف نسبة الأثر الشعري إلى قائله، فقد استفاض المرزباني في إشاراته إلى ذلك ونجده مرة يقطع برأيه ومرة لا يقر به برأي ومرة ثالثة يصرح بشكه، ونراه أحياناً يلجأ إلى تصحيح خطأ تاريخي وقع به الرواة فقد رفض دخول الفرزدق على عبد الملك بن مروان. وهو - في كل ذلك - يتوخى الصدق والأمانة.

كما أن المرزباني ميز في رواياته بين ثلاثة أنواع من السرقات: سرقة اللفظ، وسرقة المعنى، وسرقة اللفظ والمعنى.

وأنه شارك غيره من النقاد رؤيتهم في حسن الأخذ وقبحه فالذي يأخذ ويحسن يصير أحق بالمعنى من صاحبه.

ومما يسجل للمرزباني نزاهته وذلك عندما دافع عن الفرزدق في دحضه لقول الأصمعي: تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة. فقال المرزباني: «وهذا تحامل

---

(١) المرزباني، الموشح ص ٣٣ و ٣٤.

(٢) المرزباني، نور القبس، ص١١٩.

(٣) المرزباني، نور القبس، ص ١٤٩.

شديد من الأصمعي وتقول على الفرزدق لهجائه باهلة، ولسنا نشك أن الفرزدق قد أغار على بعض الشعراء في أبيات معروفة فأما أن نطلق أن تسعة أعشار شعره سرقة فهذا محال»[١].

ونحن نشارك المرزباني رؤيته فالفرزدق علم من أعلام الشعر العربي، ولا يمكن أن يكون تسعة أعشار شعره سرقة، ويبدو أن حكم الأصمعي جاء بسبب هجاء الفرزدق لباهلة.

وكما دافع المرزباني عن الفرزدق فقد دافع عن كثيِّر عزة لأسباب أيديولوجية - فيما يبدو - حيث قال: تحامل الزبير بن بكار على كثير - فيما جمعه من أخباره، وبين عليه في سرقاته ـ ظاهر وهو خصم لا يقبل قوله على كثير لهجاء كثير لولد عبد الله بن الزبير وانحراف الزبير عن أهل البيت عليهم السلام»[٢].

ولا بد من الإشارة في هذا المجال أن المرزباني اعتمد في رواياته على معايير:

المعيار الأول : الرجوع إلى الكتب والدواوين، وهذا يتجلى في كتابه معجم الشعراء أحياناً، وأحياناً أخرى على ذاكرته.

المعيار الثاني : الرواية المسندة، ويتضح ذلك في كتابه الموشح، ونور القبس.

المعيار الثالث: روايته لبعض الكتب كقواعد الشعر لثعلب[٣].

---

(١) المرزباني: الموشح، ص ١٦٨.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٢٤٥.

(٣) د. علي (أسعد) الإبداع والنقد، المجلد الأول، ص ٤٣٧، الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية، تا: ١٩٩١. وقال الدكتور أسعد: ورواية الكتاب ليست عن ثعلب مباشرة لأن ثعلباً كانت وفاته عام ٢٩١ قبل مولد المرزباني بخمس سنوات، والظاهر أنه رواه عن تلامذة ثعلب أو نسخه عنهم.

ونحن نرى - بذلك - أن المرزباني التزم شقيَّ الرواية، فقد اعتمد على الكتب والدواوين - من جهة - وعلى الحفظ - من جهة ثانية - وهذا ما يعبر عن التزامه بالتقاليد المرعية في زمانه.

وهذا ما عبر عنه مصطفى حسن قائلاً: «وبالرغم من تقدم وسائل التدوين للآثار الدينية والأدبية، وبزوغ فجر الأليف، ثم استفاضة الكتب، في أواخر القرن الثاني، وفي أثناء القرن الثالث إلى منتهاه ظل الحفظ تقليداً مؤكداً لم يضعف منه (حركة التدوين العلمي)... وانحدر إلى القرن الرابع ميراث السابقين ممثلاً في تقاليدهم وكان من هذه التقاليد تقليد الحفظ»[1].

وإن كان هذا الاتجاه قد حاز على اهتمامات النقاد، فإننا سوف نجد اهتمامات أخرى تتعلق بمعيار الاستخدام السليم كما سنرى في الفصل الذي يليه.

(١) د. حسين (مصطفى)، رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع، دار النهضة العربية القاهرة، تاريخ ١٩٧٨.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الرابع

معيار الاستخدام السليم

«هذا النقد ولد منذ العصر الجاهلي، وتبرعم بالتالي في مساجلات الشعراء أنفسهم والذين شجعتهم السلطة السياسية أحياناً، كما تبرعم في التفكير النقدي الذي خامر فقهاء اللغة في القرن الثاني للهجرة، الثامن للميلاد. وثمة اتجاهان كبيران يوجهان هذا التيار: النقد المتصل بآداب اللياقة والنقد التسلطي»[(١)].

النقد المتصل بآداب اللياقة:

وهو متعلق بالممدوح أو المتغزل به وفي مقولات المرزباني ما يتصل بهذا النقد، وقد نقلها عن ابن طباطبا، ومن ذلك قوله: «وينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره، ومفتتح أقواله، مما يتطير منه أو يستجفى من الكلام والمخاطبات، كذكر البكاء ووصف الخطوب الحادثة، فإن الكلام إذا كان مؤسساً على هذا المثال تطير منه سامعه وإن كان يعلم أن الشاعر إنما يخاطب نفسه دون الممدوح، فيجتنب مثل ابتداء الأعشى بقوله:

مـــا بكـــاءُ الكبـــير بـــالأطلال   وســـؤالي وهـــل تَـــرُدُّ ســـؤالي

---

(١) عكام (محمد فهد) مخطوط.

دمنـــةٌ قفـــرةٌ تعاوَرهـــا الـــصَّيـ ـــف بـرِيحَيْن مِـنْ صَـبا وشـمالِ[1]

ومثله قول ذي الرمة في عبد الملك بن مروان:

مـا بـالُ عَيْنـك منهـا المـاءُ ينسكب كأنّـــه مـــن كُـــلىً مَفرِيَّـــةٍ سَرِبُ

وكانت عينا عبد الملك تسيلان ماء، فغضب عليه.

وقول أبي نواس:

أربْـعَ الـبلى إنَّ الخـشوعَ لبـادي عليـــك وإني لم أَخنْـــك وِدَادي

ومثل إنشاد البحتري لأبي سعد الثّغْري:

لـكَ الويـلُ مـن ليـلٍ بِطـاءٍ أواخـرُه[2]

فقال له أبو سعيد: الويل لك والحرب[3]

فالأعشى يقدم لقصيدته بالبكاء على الأطلال، وذو الرمة يذكر صفة جسمية معيبة موجودة عند ممدوحه، وأبو نواس يصف الديار الدارسة، والبحتري يخاطب ممدوحه بكلام لا يليق به، وكل ذلك يخرج عن معيار اللياقة.

وأورد المرزباني خبراً يرجع إلى عمارة بن عقيل، أنه قال: لما بلغ الوليد قول جرير:

هـذا ابـن عمـي في دِمـشقَ خليفـةٌ لـو شـئت سـاقكم إليَّ قَطِينـا

---

(١) دمنة: موضع آثار الديال. الصبا: ريح مهيها من مطلع الثريا إلى بنات نعش.

(٢) عجز البيت: ووشك نوى حي تزم أبا عره، ديوان البحتري، ج:٢، ص ٨٧٦ تح: حسن كامل الصيرفي، ط٢، دار المعارف مصر ١٩٧٧.

(٣) الموشح، ص: ٣٧٢، ٧١، ٧٢، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٦٢.

قال الوليد: أما والله لو قال: لو شاء ساقكم لفعلت ذلك، ولكنه قال: لو شئت؟ فجعلني شرطياً له»[1]

ولم يتوقف النقد الناطق باسم السلطة عند تقييد الشاعر فيما يخص الممدوح نفسه من صفات جسمية أو معنوية، بل تعدت السلطة السلطوية ذلك إلى إسقاط ما قاله الشاعر على ما قام به الممدوح من أعمال لا توافق العرف العام. ففي رواية المرزباني ما موجزه أن إبراهيم بن متمم بن نويرة دخل على عبد الملك بن مروان فأنشد بعض مراثي أبيه في عمه: فلما انتهى إلى قوله:

أدعوتَه بالله ثم قتلته ... لو هوْ دعاك بمثلها لم يَغْدِرِ

فغضب عبد الملك ولم يأمر له بشيء.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وإنما كره عبد الملك استماع الشعر لقتله عمرو بن سعيد الأشدق بعد إعطائه الأمان، وقدر أن ابن متمم وضعه بنو عمرو بن سعيد على إنشاد البيت الأخير»[2].

ولولا هذا التعليق لظل الخبر مبهماً بحيث لا يعرف المتلقي لِمَ غضب عبد الملك.

ومما نقله المرزباني عن ابن طباطبا أنه: «يجب على الشاعر أن يتجنب التشبيب بامرأة يوافق اسمها بعض نساء الممدوح من أمة أو قرابة، أو غيرهما، وكذلك ما يتصل به سببه أو يتعلق به وهمه، فإن أرطأة بن سهية الشاعر لما أنشد:

---

(١) الموشح، ص ١٩١، ٢٠١، ١٨٩، ١٩٠، ٣٧٦. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٢٩. وأوردها ابن طباطبا تحت عنوان من الأبيات التي زادت قريحة قائلها على عقولهم.

(٢) الموشح، ص ٣٧٥ و ٣٧٦.

وما تَبغي المنيَّةُ حين تأْتي على نفس ابن آدمَ من مَزيدِ
وأحسبُ أنها ستكرُّ حتى تُوفِّي نذرَها بأبي الوليد

فقال له عبد الملك: ما تقول؟ ثكلتك أمك! قال: أنا أبو الوليد يا أمير المؤمنين، وكان عبد الملك يكنى أبا الوليد أيضاً، ولم يزل يعرف كراهة شعره في وجه عبد الملك إلى أن مات»[1].

وفي رواية المرزباني ما موجزه أن عبد الله بن كثير التميمي دخل على زياد فقال أنشدنا. فقلت من شعر من؟ قال: من شعر الأعشى. قال فأرتج علي إلا قوله:

رَحلتْ سُمية غُدْوَةً أجمالَها غضبىً عليكَ فما تقولُ بدا لها

قال فقطب زياد، وعرفت ما وقعت فيه. وقيل للناس: أجيزوا. فأجزت، فوالله ما عدت إليه.

وقال الشيخ أبو عبد الله المرزباني رحمه الله تعالى: واسم أم زياد سمية، فكره ذكر ذلك»[2].

وإضافة المرزباني فيها تعليل لتقطيب زياد وتوضح مرمى الخبر.

والمرزباني يورد روايات متعددة خرج فيها الشعراء عن معيار اللياقة من أمثال بشر بن أبي حازم[3]، والأخطل[4]، والنابغة الذبياني[5]، وكثير عزة[6]،

(١) الموشح، ص ٣٧٢ و ٣٧٣. وعيار الشعر، ص ١٦٣.
(٢) المرزباني، الموشح، ص ٣٧٣.
(٣) المصدر نفسه، ص ٨١.
(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٦.
(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٨.
(٦) المصدر نفسه، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ ، ٢٤٦.

والراعي[١]، والقطامي[٢]، وأبو النجم العجلي[٣]، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي[٤]، وأبو تمام[٥]، وعلي بن الجهم[٦].

وإذا تركنا غرض المديح وانتقلنا إلى غرض الغزل (الحب العذري)، فإننا نجد اللوم يوجه إلى بعض الشعراء لخروجهم على هذا المعيار، ففي قول كثير:

ألا ليتنا يا عَزَّ كنَّا لذي غنىً ... بعيرين نرعى في الخلاءِ ونعزُب
نكون لذي مالٍ كثير مغفَّلٍ ... فلا هو يَرْعانا ولا نحن نُطلب
إذا ما وردنا مَنهلاً هاج أهلهُ ... إلينا فلا ننفك نُرْمى ونُضرَبُ

فقالت عزة: أردت بي الشقاء الطويل، ومن المنية ما هو أوطأ من هذه الحال»[٧].

وإن ما قدمناه فيما وجهته سكينة بنت الحسين يدخل تحت هذا المعيار.

أما النقد التسلطي فهو نقد يلزم الشاعر الخضوع لقواعد النحو واللغة وكل خروج على ذلك يعني وقوع الشاعر في الخطأ. وقد بدأ هذا النقد منذ العصر الجاهلي، ففي روايات متعددة للمرزباني حكم فيها النابغة على بيت حسان بن ثابت:

لنا الجفنات الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُّحى ... وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دما

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٥٠.
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٥١.
(٣) المصدر نفسه، ص ٣٣٥، ٣٣٧.
(٤) المصدر نفسه، ص ٤٦١ و ٤٦٢.
(٥) المصدر نفسه، ص ٤٧٤ و ٤٧٥.
(٦) المصدر نفسه، ص ٥٢٧.
(٧) المصدر نفسه، ص ٢٤٦ و ٢٤٧.

فنقده بقولِهِ: أقللت جفانك وأسيافك.

وقال الصولي: فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدخل عليه نقاء كلام النابغة، قال له: أقللت أسيافك، لأنه قال: «وأسيافنا»، وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف. والجفنات [جمع] لأدنى العدد، والكثير جفان...

قال: ويروى أن النابغة قال له: أقللت أسيافك ولمعت جفانك. يريد قوله: لنا الجفنات الغُر، والغرة لمعة بياض في الجفنة، فكأن النابغة عاب هذه الجفان، وذهب إلى أنه لو قال: لنا الجفنات البيض، فجعلها بيضاً كان أحسن.

فلعمري إنه أحسن في الجفان إلا أن الغر أجل لفظاً من البيض.

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله: وقال قوم ممن أنكر هذا البيت في قوله:

يلمعن بالضحى، ولم يقل بالدجى، وفي قوله: وأسيافنا يقطرن، ولم يقل يجرين لأن الجري أكثر من القطر.

وقد رد هذا القول، واحتج فيه قوم لحسان بما لا وجه لذكره في هذا الموضع»(١).

والمراد بصيغة المجهول هنا قدامة بن جعفر وإن لم يسمه المرزباني، فهو يدافع عن حسان بقوله: «فإن النابغة على ما حكي عنه لم يرد من حسان إلا الإفراط والغلو، بتصيير مكان كل معنى وضعه ما هو زائد عليه، وعلى أن من أنعم النظر علم أن هذا الرد على حسان، من النابغة كان أو من غيره، خطأ وأن حسان مصيب إذ كانت مطابقة المعنى بالحق في يده، وكان الرد عليه معدولاً عن الصواب إلى غيره، فمن ذلك أن حسان لم يرد بقوله «الغر» أن يجعل الجفان بيضاً، فإذا قصر عن تصيير جميعها بيضاً نقص ما أراده لكنه أراد بقوله «الغر»

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٨٢ و ٨٣ و ٨٤.

المشهورات، وأما قول النابغة في «يلمعن بالضحى» وإنه لو قال «بالدجى» لكان أحسن من قوله «بالضحى» إذ كل شيء يلمع بالضحى، فهذا خلاف الحق وعكس الواجب، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء فأما الليل فأكثر الأشياء مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه... فأما قول النابغة إن قوله في السيوف «يجرين» خير من قوله «يقطرن» لأن الجري أكثر من القطر فلم يرد حسان الكثرة وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا سيفه يقطر دماً ولم يسمع سيفه يجري دماً. ولعله لو قال يجرين دماً يعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع إلى ما لم تجر عادة العرب بوصفه[١].

وفي رواية المرزباني، طعن عيسى بن عمر في قول النابغة:

فبتُّ كأنِّي ساورتني ضئيلةٌ ... من الرُّقش في أنيابها السمُّ ناقعُ[٢]

ويقول: موضعه ناقعاً[٣].

وعبد الله بن أبي اسحاق يخطئ الفرزدق لأنه خرج على قياس النحو في مدحه يزيد بن عبد الملك:

تقبلين شَمال الشام تضرَ ْ ِ بُهم ... بحاصبٍ كنَدِيفِ القُطْنِ مَنْشور

على عمائمنا تُلقْى وأرحُلِنا ... لى زواحفَ تزجْىَ مخُّها رِير[٤]

---

(١) قدامة، نقد الشعر، ص ٩٣ و ٩٤.

(٢) ساورته: واثبته. الضئيلة: الحية التي كبرت فدقت واشتد سمها. الرقشاء: ذات النقط السود.

(٣) الموشح، ص ٥٠ وانظر الأخطاء النحوية في الموشح، ص ٨٤ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٤٢٠ و ٤٥٦ و ٥٣٤.

(٤) في اللسان: مخ رار، ورير: ذائب فاسد من الهزال. وقال التوزي: رير ورار: وهو المخ الرقيق.

فقال له ابن أبي إسحاق: أسأت، إنما هو «ريرُ» وكذلك قياس النحو.

قال يونس: والذي قال جائز حسن. فلما ألحوا على الفرزدق قال:

على زواحف نُزْجِيها محاسيرِ[(١)]

وكان الأخفش يطعن على بشار في قوله لأنه خرج على القياس:

والآن أقصر عن سُميَّة باطلي ... وأشار بالوجلَى عليَّ مُشِيرُ[(٢)] [(٣)]

وفي قوله:

على الغَزَلَى مِنِّي السلامُ فربَّما ... لهوتُ بها في ظل مخضرَّة زهْرِ

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل «فعلى»، وإنما قاسمها بشار، وليس هذا مما يقاس، إنما يعمل فيه بالسماع»[(٤)]

وفي رواية المرزباني، قال بعضهم: «ومما وجد في شعر البحتري من اللحن قوله:

يا علياً[(٥)] **يا أبا الحسن الما ... لكَ رقَّ الظريفةِ الحسناءِ**

قال أبو عبيد الله المرزباني: أنشدنيه له أحمد بن محمد بن زياد، عن أبي الغوث، وعلي بن هارون عن أبيه وغيرهما.

---

(١) الموشح، ص ١٥٦ و ١٥٧.

(٢) في الديوان: عن شتيمة باطل.

(٣) الوجلى - مصدر صاغه على وزن الفعلى، وهو مشتق من الوجل، أراد به التقوى، أي نصحني ناصح بالخوف من الله وأراد أنه لما أقصر عن الشتيمة لمزه من يلمزه.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٣٨٤ و ٣٨٥.

(٥) في الديوان: (علي، بل). ديوان البحتري، ج: ١، ص ٢٥ تح: حسن كامل الصيرفي، ط/٣/ دار المعارف بمصر، ١٩٧٧.

وقوله:

يــا مــادحَ الفَــتْح ويــا آمِلَــه لست امرأً خـاب ولا مُئنٍ[1] كـذَب

وقالوا: لو تتبع اللحن في شعره لوجد أكثر من هذا[2]

وفي رواية المرزباني، قال الأخفش أخبرني المبرد، قال: أنشدني سليمان بن عبد الله بن طاهر لنفسه:

وقــد مــضتْ لي عــشرونان ثنتــان

فقلت له: أيها الأمير، هذا لحن، لأن إعراباً لا يدخل على إعراب[3]

وفي رواية المرزباني، قال محمد بن يزيد المبرد في قول عبد الصمد بن المعذل:

قال: ولحن في قوله:

إن أبــا رُهــمْ في تكرُّمــه بلّغــه الله مُنْتَهــى هِمَمــه

لأنه ترك صرف ما ينصرف، وهو رهم»[4].

وفي رواية المرزباني، قال الأصمعي: «لحن ابن قيس الرقيات في بيت للندبه حين قال:

تبكــيكم أســماءُ مُعولــةً وتقــول لــيلى وارَزيئَتِيَــهْ

قال: كان ينبغي أن قول وارزيئتاه، كما تقول: واعماه وأخياه»[5].

---

(١) المئنة: أي مخلقة ومجدرة أن يقال فيه إن كذا وكذا. والأصمعي قال: حقها أن تكون مبنية على فعيلة. وأبو زيد قال: هي مئتة بالمثناة فوق، مفعلة من أته، إذا غلبه بالحجة، وقيل وزنها فعلة، من مأن، إذا احتمل.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٥١٠ و ٥١١. وانظر في الصفحة نفسها، فقد لحن في بيت آخر.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٥٤٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٩٥.

وكذلك قوله:

ومــصعبُ حــين جــدّ الأمــــرُ أكثرهـــــا وأطيبهــــــا

فلم يصرف مصعباً»[1].

وكثير عزة عندما أنشد عبد العزيز بن مروان قوله:

لا أنـــزرُ النائـــلَ الخليـــلَ إذا مــا اعتــلَّ نــزرُ الظــؤر لم تــرَمِ[2]

وإنما هو ترأم»[3].

وإن خروج الشعراء على قواعد النحو واللغة دعا النقاد إلى التحدث عن الضرورات الشعرية:

فالمرزباني يقول: حدثني العروضي[4] قال: «اعلم أن مالا ينصرف يجوز صرفه في الشعر، لأنه يرد إلى أصله، نحو قوله:

لم تتلفَّـــع بفَـــضْل مِئزرهـــا دَعْـــدٌ ولم تُغْـــذَ دعْـــدُ بالعُلـــبِ

فصرف وترك الصرف في بيت واحد»[5].

وأما ترك صرف ما [لا][6] ينصرف فهو غير جائز، لأنه يخرج الشيء عن أصله، وقد أجازه الأخفش، وأنشد قول العباس بن مرداس السلمي.

فــما كـــان حِــصْنٌ ولا هـــابسٌ يفوقـــان مِـــرْداس في مَجْمَـــعِ

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٢٩٣.
(٢) نزره نزراً: ألح عليه في المسألة. وظؤر: ـ جمع ظئر ـ العاطفة على غير ولدها المرضعة له. ورئمت الناقة ولدها ترأمه رأما: عطفت عليه ولزمته.
(٣) المرزباني، الموشح، ص ٢٣٢.
(٤) هو: أحمد بن أحمد أبو الحسن العروضي، مات سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة.
(٥) المرزباني، الموشح، ص ١٤٤.
(٦) السياق يوحي بأن (لا) دخيلة على الأصل.

فترك صرف مرداس، وهو اسم منصرف، وهذا قبيح لا يجوز ولا يقاس عليه لأنه لحن»[1].

ومثله في المعنى قصر الممدود، يجوز في الشعر، ولا يجوز أن يمد المقصور، لأنه خروج عن الأصل، وقصر الممدود هو رد الشيء إلى أصله: قال الشاعر:

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ

فقصر البكاء ومدّه في بيت واحد»[2].

«وأمّا مّد المقصور فقد أنشدوا[3].

سيغنِيني الذي أغناكَ عني ... فلا فقرٌ يدوم ولا غِناءُ

والوجه الأجود في هذا أن يكون أوله مفتوحاً، لأن معنى الغنى والغناء واحد. والشاعر إذا اضطر إلى مدِّ المقصور غير أوله ووجهه إلى ما يجوز، قال:

والمرء يبليه بلاء السربال ... كرُّ الليالي وانتقالُ الأحوال[4]

فلما فتح الباء من البلى ساغ له المد. ومثل هذا كثير.

وقال الآخر[5] - ومد الزنا:

أبا حاضر من يَزنِ يظهر زناؤه ... ومن يشربِ الخُرطوم[6] يصبحْ مُسكَّرا[7]

(١ المرزباني، الموشح ص ١٤٤، والشعر والشعراء: ٤٨.

(٢ المرزباني، الموشح، ص ١٤٥.

(٣) الضرائر، ص ١٨٣، وقال: وليس هو من غانيته إذا فاخرته بالغنى ولا من الغناء - بالفتح - بمعنى النقع، لاقترانه بالفقر.

(٤) الضرائر، ص ١٨٢، تعاقب الأهلال بعد الأهلال، حاشية الموشح، ص ١٤٥.

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ج١: ص ٣٧٣، لعبد الله إسماعيل الصادي، مطبعة: الصاوي، ط١، ١٩٣٦ مصر.

(٦) الخرطوم: الخمر السريعة الاسكار.

(٧) المرزباني، الخمر السريعة الاسكار.

وممّا جاء في الشعر من الاجتزاء بالضمة من الواو - في مثل كأنه وله وبيناه - قول الشاعر[(١)]

لـــه زَجَـــلٌ كأنـــه[(٢)] صـــوتُ حـــادٍ إذا طلـــب الوَســـيقةَ أو زَمِـــيرُ

وقول الآخر[(٣)]

فبينـــاهُ يَـــشرى رَحْلَـــه قـــال قائـــلٌ لمـــنْ جَمَـــلٌ رِخْـــوُ المِـــلاط نجيـــبُ[(٤)]

وقوله:

فـــما لـــه مـــن مَجْـــدٍ تليـــدٍ ومالـــه من الريح فَضْل لا الجنـوبُ ولا الـصبا[(٥)]

قال: وممّا حذف منه بعض الكلمة في البيت قوله:

وطـــرتُ بمُنْـــصلى في يعْمـــلاتٍ دَوامـــي الأَيْـــدِ يخـــبطنَ الـــسّريحا

---

(١) ديوان الشماخ ص ٣٦، والضرائر ٨٢. حاشية الموشح، ص ١٤٥.

(٢) والزجل: صوت فيه حنين وترنيم. وتقول أصوت حاد: تظن أيها. والحادي: سائق الإبل الذي يغني لها لتطرب. والوسيقة: أتانه التي يضمها. والزمير: صوت المزمار. وفي ديوان الشماخ أن الحمار الذي يصفه يشبه صوته بأتانه إذا صوت بها صوت حادي الإبل أو صوت مزمار.

(٣) الضرائر: ٧٧، حاشية الموشح، ص ١٤٦.

(٤) وفي الضرائر ص ٧٧: قال سيبويه في باب ما يحتمل الشعر: قال أبو الحسن: سمعت من العرب: قال العجير السلولي: فبيناه يشرى رحل قال قائل... البيت. قال الأعلم: أراد بينا هو، فسكن الواو ثم حذفها ضرورة، فأدخل ضرورة على ضرورة تشبيها للواو الأصلية بواو الصلة في منه وعنه. وزعم ابن الأنباري في ترك صرف ما ينصرف من مسائل الخلاف أن الواو حذفت متحركة قال: إذا جاز حذف الواو المتحركة للضرورة من قوله: فبيناه يشرى، فلأن يجوز حذف التنوين للضرورة من باب الأولى، لأن الواو من هو متحركة والتنوين ساكن، ولا خلاف في أن حذف الساكن أسهل من حذف المتحرك. حاشية الموشح ص ١٤٦.

(٥) الموشح: ص ١٤٥ و ١٤٦.

فاسقط الياء من الأيدي، كقوله:

كنواحِ ريشِ حمامةٍ نجدية ... مَسَحَتْ باللثتين عَصْفَ الإثمد

فأسقط الياء من نواحي.

قال: وقد أسقط الشاعر ما هو ألزم وأثبت في بابه، من هذا نحو قول النجاشي[1]

فلست بآتيهِ ولا أسْتطيعُه ... ولكِ اسقني إن كان ماؤك ذا فَضْل[2]

فحذف النون من «لكن».

وقال الآخر[3]:

دارٌ لسُعْدى إذْ من هَوَاكا[4]

فحذف الياء من هي.

وقد جاء في الشعر تسكين الحروف التي عليها الضمات والكسرات، عَضُد وفَخِذ، فقيل عضْد وفخْذ، وفي عَلِم عَلْم، وفي كرُم كرْم، وفي رجُل رجْل، وفي ضُرِب ضُرْب، وفي عُصِر عُصْر.

قال الشاعر:

لو عُصْر منها البانُ والمسكُ انْعَصَرْ

---

(١) الضرائر ٦٦ و ٧٩. حاشية الموشح، ص ١٤٧.

(٢) في الضرائر: هو من أبيات النجاشي الحارثي يخاطب ذئباً، وحذف النون من «لكن» لا يجوز إلا لضرورة الشعر، حاشية الموشح، ص ١٤٧.

(٣) تمامه /هل تعرف الدار على قبراكا/ الضرائر، ص ٧٨، حاشية الموشح ص ١٤٧.

(٤) الموشح، ص ١٤٧.

وفي مثل انطلق ْ انطلقْ َ : تسكن اللام، وتحرك القاف بالفتح. قال الشاعر:

أَلاَ رُبَّ مولــودٍ ولــيس لــه أبٌ وذي ولـــدٍ لم يَلْـــدَه أبـــوَان

فحرك الدال بالفتح لما أسكن اللام.

وأما قول الشاعر:

قواطنـــاً مكـــة مـــن وُرْق الحمـــي

فإنه أراد «الحمام» فحذف الألف، فبقي «الحمم» فاجتمع حرفان من جنس واحد، فأبدل الميم الثانية ياء، كما قالوا «تظنيت»، فأبدلوا الياء من النون، ولا يجوز أن تقول - على هذا الحمى في الحمام، ولا ما أشبه هذا، لأن هذا شاذ لا يقاس عليه»[1]

وقد ضاعف الشاعر مالا يجوز أن يضاعف في الكلام. قال قعنب[2]

مهلاً أعاذلَ قـد جرَّبْتِ مـن خُلقـي ي أجـــود لأ قـــوام وإن ضـ َ ـــنِنُوا

وقال الآخر[3]:

الحمـــــد لله العـــــليِّ الأجلَـــــل

وإنما الكلام «ضنُّوا» و«العلي الأجل»، فضاعف الشاعر[4].

وقد يرد الشاعر الإعراب إلى أصله في مثل قاض، فيقول قاضي ٌ وقاضيٍ غير مهموز، وكذلك جواريُ وغوانيُ. فقال[5]:

لا بـــارك الله في الغـــواني هـــل يُـــصْبِحْنَ إلاَّ لهُـــنَّ مُطَّلَـــبُ

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٤٧ و ١٤٨.

(٢) هو قعنب بن أم صاحب، انظر: الصناعتين، ص ١٥٠.

(٣) هو أبو النجم العجلي، الضرائر، ص (١٣٧). وتمامة: /الواهب الفضل الوهوب المجزل/ حاشية الموشح، ص ١٤٨.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ١٤٨.

(٥) الصناعتين، ص ١٥٠، ونسبه إلى ابن قيس الرقيات.

وقول الآخر:

مــا إنْ رأيـــتُ ولا أرى في مُـــدَّتي   كجـــواريٍ يلعـــبن في الـــصحراءِ

وقال الفرزدق:

فلــو كــان عبـدُ الله مــولى هجوتــه   ولكـــنَّ عبــد الله مـــولى مواليـــا

وقد قال الشاعر - في مثل لم يغْزُ ولم يرمِ: لم يغزو ولم يرمي، كأنه أسكن الواو والياء بعد وجوب الحركة بهما، فقال[1]:

ألم يأتيـــك والأنبـــاءُ تَنْمِـــي   بــما لاقــت لَبــونُ بَنِـــي زيـــاد

كان أصله يأتيك فحذف الضمة[2].

وقد ألحق الشاعر نون الجميع مع الاسم المضمر في مثل الضاربونه، وكذلك الخائفونه والآمرونه، فقال:

هـــم القـــائلون الخـــير والآمِرُونَـــه   إذا ما خشَـُوا من مُحْـدَثِ الأمـر مُفْظِعـا[3]

وقد حذف الشاعر التنوين من الأسماء المنصرفة لالتقاء الساكنين، فقال:

وحـــــاتمُ الطـــــائيّ وهَّـــــابُ المِئـــــى

وقال أبو الأسود الدؤولي:

وألفيتـــــه غـــــيْرَ مَـــــسْتَعْتَبٍ   ولا ذاكـــــر الله إلا قلـــــيلا

فحذف التنوين في حاتم وذاكر، لأنه أراد أن يحرك لالتقاء الساكنين فحذف[4]

---

(١) الضرائر، ص ٣٢١. وقد نسبه إلى عفيف بن المنذر، حاشية الموشح، ص ١٤٩.

(٢) الموشح، ص ١٤٨ و ١٤٩.

(٣) الموشح، ص ١٤٩، والضرائر ص ٣١٢.

(٤) الموشح، ص ١٥٠، والضرائر ص ١١٢.

وقد حذف الشاعر الإعراب وليس بالحسن. أنشد سيبويه[١].

فـــاليوم أشرَبْ غـــير مـــستحقِبٍ إثـــماً مـــن الله ولا واغـــل

يريد أشرَبُ، فحذف الضمة، والرواية: فاليوم فاشربْ»[٢].

وقد قطع الشاعر ألف الوصل وليس بالحسن. قال جميل:

ألا لا أرى إثنـــين أحـــسن شـــيمةً على حـدثان الـدهر مني ومـن جُمْـل

فقطع ألف اثنين وهي ألف وصل»[٣].

وقد جاء في الشعر مكان مساجد مساجيد، ومكان دراهم دراهيم، قال الشاعر:

تنفـي يـداها الحـصا في كـلِّ هـاجرةٍ نَفْـيَ الـدراهم تناقـد الـصياريف[٤]

وقد جاء في مثل المفتاح المفتح، وفي مثل التأميل والتأمال، وفي مثل الكلكل الكلكال، قال الشاعر:

أقـــول إذ خـــرَّت عـــلى الكلْكـــال يـا نـاقتي مـا جلْـتِ مـن مجَـال[٥]

ومما جاء في القوافي من الحذف قوله[٦]:

---

(١) الشعر والشعراء، ص ٥٩، فقد نسب البيت إلى امرئ القيس، وديوان امرئ القيس ص ٢٥٨ تح: أبو الفضل إبراهيم ط٣ دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٢) الموشح، ص ١٥٠.

(٣) الموشح، ص ١٥٠.

(٤) الضرائر، ص ٢٨٥، قال الأعلم في شرح شواهد الكتاب: زاد الياء في الصياريف ضرورة تشبيهاً لها بما جمع في الكلام على غير واحد، نحو ذكر ومذاكير، وسمح ومساميح، والموشح: ص ١٥٠ و ١٥١.

(٥) الموشح، ص ١٥١.

(٦) الضرائر، ١٩٠، وطبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص ٤٤٨، والبيان والتبين الجزء الأول، ص ١ - ٢٦٦، فقد نسب البيت للبيد بن ربيعة.

وَقبيـــلٌ مـــــن لُكَيـــزٍ شَـــاهِدٌ   رَهْـطُ مَرْجـومٍ ورَهْـطُ ابـن المُعَـلْ

يريد ابن المعلى، فحذف»[1].

وقد وضع قومٌ الكلام في غير موضعه، فقدموا وأخروا، نحو قوله:

صـددْتِ فأَطْولْـتِ الـصدود وقلـما   وصـالٌ عـلى طـول الـصدود يـدوم

يريد: وقلما يدوم وصال.

وقال الآخر:

إنَّ الكـــريم وأبيـــكِ يَعتمِـــلْ   إن لم يجـد يومـاً عـلى مـن يتكـلْ

يريد من يتكل عليه، فقدّم وأخر.

وقال الفرزدق:

ومـا مثلـه في النـاس إلاَّ مملَّكـاً   أبـو أمـه حـي أبـوه يقاربـه

وإنما أراد: وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملك أبو أمه أبوه، فتعسف هذا التعسف الشديد، ووضع أشياء في غير مواضعها، وإنما مدح بهذا الشعر خال هشام، فقال: ما في الناس حي يقارب خال هشام إلا هشام الذي أبو أمه أبوه، يعني أن جد هشام لأمه هو أبو هذا الممدوح.

وإنما زدنا في شرحه ليفهم.

وهذا قبيح جداً، وإنما نصب مملكاً لأنه استثناء مقدم، كما قال: «مالي إلا أباك صديق إذا أردت مالي صديق إلا أبوك»[2].

---

(١) الموشح، ص ١٥١.
(٢) الموشح، ص ١٥٢.

وقد صَغّر الشاعر، فقال امرؤ القيس:

ضـليعٍ إذا اسـتدبرْتَهَ سـدَّ فَرْجَـه ... بـضافٍ فُوَيـق الأرضِ لـيس بـأَعْزَلِ

وقال زهير:

فأمـا فُوَيـقَ العِقْـدِ منهـا ... فمـن أدمـاءَ مَرْتعُهـا خَـلاءُ[١]

وقال الأعشى:

أبلـغ يزيـدَ بنـي شـيبانَ مألُكـةً ... أبـا ثُبَيْـتٍ أمـا تنفـكُّ تَأتكِـلُ[٢]

وقال أبو زبيد الطائي:

يـا بـن أمـي ويـا شـقيق نفـسي ... أنـتَ خلّيتنـي لأمْـرٍ شـديد[٣]

وقد جاء في غد غدو، نحو قول الشاعر:

ومـا النـاسُ إلاَّ كالـديار وأهلهـا ... بهـا يـومَ حَلُّوهـا وغَـدْواً بَـلاَقِـعُ

وجاء في موضع ليتني ليتي، قال الشاعر:

كمُنْيـةِ جـابر إذ قـال لَيْتـي ... ـُادفه وأُفقَـدِ بعُـض ـَ مـالي(٤)

وجاء في «نعم صباحا» عم صباحا، قال الشاعر[٥]:

---

(١) أدماء: بيضاء، شبه عنقها بعنق الظبية، والخلاء: موضع ليس فيه أحد.

(٢) مألكة: رسالة. أما تنفك تأتكل: أما تنفك تغلي ويجيش صدرك بالشر.

(٣) الموشح، ص ١٥٣.

(٤) الموشح، ص ١٥٤، والضرائر، ص ٧٠ ليت شابهت الفعل في المعنى والعمل مع عدم العارض وهو الجرو توالي الأمثال كما في لعل، فلذلك تلحقها نون الوقاية إذا اتصل بها ياء المتكلم كما في الفعل، ولا تحذف إلا في الضرورة كما في البيت.

(٥) في اللسان (من): نسبه إلى شعر بن الحارث الضبي.

أَتَـوْا نـاري فقلـتُ منُـونَ أنـتمْ فقالوا الجنُّ قلـت عِمُـوا ظلامـا[1][2]

وقد رخم الشاعر في النداء، فقال:

يـا مَـرْوَ إِنَّ مطيتـي محبوسـة ترجـو الحيـاء وربُّهـا لم ييـأس

يريد يا مروان

وقال آخر:

لـتم تعـال يـا يـزِي بـن مخُـرّم فقلـت لكـم: ني خليـفُ صُـداءِ

يريد: يا يزيد، فرخم.

وأما في غير النداء فقول امرئ القيس:

مَم الفتـى تعـشُو إلى ضَـوْءِ نـاره طريفُ بن مالِ ليلةَ الجوع والخَصر[3]

يريد مالك[4]، فرخم في غير موضع النداء[5].

وقد أبدل الشاعر مكان الحرف المتحرك حرفاً لا تجري فيه الحركة، نحو قوله[6]:

---

(١) في اللسان: منون قالوا، ومن تكون للاستفهام المحض، وتثنى وتجمع في الحكاية: لقولك منان، ومنون، ومنان، ومنات، فإذا وصلت فهو في جميع ذلك مفرد مذكر.

(٢) الموشح: ص ١٥٤.

(٣) الخصر: شدة البرد.

(٤) الضرائر: ص ٥٩، أراد ابن مالك حذف الكاف، وجعل ما بقي من الاسم بمنزلة اسم لم يحذف منه شيء.

(٥) الموشح، ص ١٥٥، والضرائر، ص ٥٩.

(٦) الشعر والشعراء، الجزء الأول، ص ٤٥، فقد نسب البيت لأبي كاهل النمر بن تولب اليشكري.

لهـــا أشـــاريرُ مـــن لحـــم تُتَمِّـــرُه   مـــن الثَّعـــالى ووَخْـــزٌ مـــن أرانيهـــا[(١)]

يريد الثعالب وأرانبها، فأبدل الياء من الباء.

ومثله قوله:

ومنهـــلٌ لـــيس بـــه حـــوازِق   ولـــضَفَادِي جَمِّـــهِ نقَـــانِق[(٢)]

يريد الضفادع»[(٣)].

وفي خاتمة القول: نرى أن معيار الاستخدام السليم يرتكز على قاعدة نقدية، تتفرع إلى فرعين: الأول: يتعلق بمعيار آداب اللياقة، ويعني قدرة الشاعر على الإيفاء بالمقصود في عمله الشعري الإبداعي، دون تحسس المتلقي منه سواء أكان المتلقي سلطة سياسية، أم سلطة من نوع آخر سلطة المحبوب على حبيبه، أو سلطة المرأة الناقدة التي تعي معايير التعامل المحبب إلى نفس المرأة والروايات متعددة - للمرزباني - في هذا المجال النقدي، بالإضافة لنقله عن ابن طباطبا، والذي تمحور في الحد من حرية الشاعر، فالخليفة الممدوح يرفض أي مدح قد يمسه سواء أكان معنوياً أم جسمياً كما لاحظنا في موقف عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وغيرهم.

وفي مخاطبة الأحبة اعتمد على ذوق نقدي لبعض النسوة مثل عزة وسكينة بنت الحسين والثاني: يعني تسلط النقاد اللغويين على الشعراء وإخضاع الإبداع

---

(١) الأشارير: جمع شرارة وهي قطعة من اللحم تقدد للادخار، متمرة: مجففة و«ثعالى» و«أرانيها» أصلها ثعالب وأرانب.

(٢) الحوازق: الجوانب، جمع حازق وحازقة، والحزق: الحبس.

(٣) الموشح، ص ١٥٥.

الشعري لمقاييس اللغة والنحو، وكل خروج على هذه المقاييس فهو خطأ يرتكبه الشاعر. وهذا النقد كان يزعج الشعراء لأنهم كانوا يرون أنفسهم - فيما يبدو - أعلى شأناً من النقاد النحويين، فما على هؤلاء إلا إيجاد التأويل لما قالوا. ونقدم مثالاً - لم نورده في المتن - ففي رواية المرزباني، قال أبو عمرو بن العلاء أنشد الفرزدق قصيدته:

فمر فيها:

وعَضُّ زمانٍ يا ابنَ مروانَ لم يَدَعْ ... من المال إلا مُسْحَتا أو مجلَّفُ

فقال: ابن أبي إسحاق: على أي شيء رفعت مجلفاً؟ قال على ما يسوؤك[1].

والدفاع عن المبدعين لم يقتصر على الشعراء وإنما نجده عند النقاد أمثال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني الذي هاجم اللغويين في أثناء دفاعه عن أبي الطيب المتنبي، ونفى عنهم علمهم بصناعة الشعر، وأحد المعترضين في رأيه على شعر المتنبي «نحوي لغوي لا بصر له بصناعة الشعر»[2].

وفي اعتقادنا أن هذه الأزمة الحادة بين الشعراء والمدافعين من جهة وفقهاء اللغة من جهة أخرى هي التي ولدت الضرورات الشعرية مما هو جائز وغير جائز وما هو حسن وغير حسن.

ولم يتوقف المرزباني في هذا الإطار على الروايات والنقل، وإنما تدخل الناقد المعلل الذي بين سبب غضب عبد الملك من إبراهيم بن متمم بن

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٦١.

(٢) الجرجاني، علي بن عبد العزيز، الوساطة بين المتنبي وخصومه ص ٤٣٤.

نويرة، وغضب زياد من عبد الله التميمي، ووضح تعقيد بيت الفرزدق، وقال: «إنما زدنا في شرحه ليفهم».

ولعل حرصه على أن يكون الخبر واضحاً كل الوضوح في ذهن المتلقي، أثر من آثار جنوحه التعليمي. ولم يتوقف النقاد في نقدهم على معيار الاستخدام السليم، وإنما عالجوا العيوب الشكلية للشعر كما سنتحدث في الفصل الذي يليه.



الفصل الخامس

عيوب الشكل

عيوب اللفظ:

قال قدامة بن جعفر: «من عيوب الشعر أن يركب الشاعر منه ما ليس بمستعمل إلا في الفرط، ولا يتكلم به إلا شاذاً، وذلك هو الوحشي الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته، وتنكبه إياه، قال: كان لا يتبع حوشي الكلام.

وهذا الباب مجوّز للقدماء، ليس من أجل أنه حس، لكن لأن من شعرائهم من كان أعرابياً قد غلبت عليه العجرفية، وللحاجة أيضاً إلى الاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأن من كان يأتي منهم بالوحشي لم يكن يأتي به على جهة التطلب له والتكلف لما يستعمله منه، لكن لعادته وعلى سجية لفظه.

فأما أصحاب التكلف لذلك فهم يأتون بها ينافر الطبع، وينبو عن السمع، مثل شعر أبي حزام غالب بن الحارث العُكلي، وكان في زمن المهدي، وله في أبي عبيد الله كاتب المهدي قصيدة أولها:

تـــذكَّرْتُ ســـلْمى وإهْلاســـها   لَـم أنـسَ والـشـَّوقُ ذو مَطْـرُؤه[1]

---

(١) الإهلاس: ضحك في فتور، وإسرار الحديث وإخفاؤه، مطرؤة: من طرأ عليه الأمر إذا جاءه من حيث لا يعلم.

وفيها يقول:

لأوحــى وزيــرُ إمــام الهُـــدَى ... لنــا وهــو بــالإرْبِ ذو مَحْجُــؤَه[1]

يَـــسوسُ الأمـــورَ فتـــأتي لـــه ... ومـــا في عزيمتـــه مَنْهُـــؤَهْ[2]

وَفِي بالأمانـــة صـــفوَ التُّقَـــى ... بِمــا الــصفوُ بــالرَّنْق المحمُــوؤَ هْ[3]

ومثل شعر أحمد بن جحدر الخراساني الغريبي، وله في مالك بن طوق قصيدة أولها ـ ويقال: إنها لمحمد بن عبد الرحمن الغريبي الكوفي في عيسى الأشعري:

هَيَــا منــزلَ الحــيّ جَنْــبَ الغَــضَا ... ســـلامك إنَّ النَّـــوى تَـــصْرِمُ

وفيها يقول:

حلَفْـــتُ بـــما أرْقلـــتْ نحـــوَه ... ...رْجَلَـــةٌ خَلْقُهـــا شـــيظمُ[4]

الأبيات[5]

قال [قدامة]: ومن الأعراب من شعره أيضاً فظيع التوحش، مثل ما أنشدناه أحمد بن يحيى عن الأعرابي لمحمد بن علقة التميمي يقولها لرجل من كلب يقال له ابن الفنشخ ورد عليه فلم يسقه:

فَــرخْ أخــا كلَــب وأفْــرخْ أفــرخِ ... أخْطَأتَ وجهَ الحق في التَّطَخطُخ[6]

---

(١) الإرب: الدهاء والبصر بالأمور، وهو من العقل، وحجئ بالشيء: جن به وتمسك ولزمه.

(٢) أنهأه: لم ينضجه، والأمر: لم يبرمه.

(٣) الرنق: تراب في الماء. وحمئ الماء خالطته الحمأة: الطين الأسود، فكدرته.

(٤) أرقل: أسرع. والهمرجلة، الناقة السريعة. الشظيم: الطويل الجسيم الفتي من الإبل والخيل والناس.

(٥) المرزباني، الموشح ص ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢.

(٦) أفرخ: سكن، الطخطخ: السواد والظلمة.

ـا وربَ الرَاقِــصاتِ الــزمُّخِ ـرجنْ مَـا بـين الجَبـال الِـشـ مخِ [1]

ـــزُرُن بَيـــتَ الله عنـــدَ المـــصرخِ ـــتمطْخَنُ بَرشـــاءٍ بمُطَّـــخِ [2]

الأبيات[3]

والمرزباني أورد روايات متعددة لشعراء قدماء ومحدثين وقعوا في العيب نفسه، قال عبد الله ابن المعتز: «حكي عن ابن سلام - أو غيره - أنه قال: «مما قدم به زهير على الشعراء أنه كان أبعدهم من سخف، وأشدهم اجتناباً لحوشي الكلام...

وأما حوشي الكلام فقوله[4]:

ـَـــست بُمثلـــوجٍ ولا بمعُلْهَـــجِ [5]

يريد الدعي.

وقوله[6]:

بنَهْكَـــهِ ذي قُرْبَـــى ولا بحَقَلَّـــد[7][8]

(١) الزمخ: المتكبرين، الشمخ: العالية.

(٢) المصرخ: الميت والمعين، مطخ الماء: أخرجه من البئر بالدلو.

(٣) المرزباني: الموشح، ص ٥٤٢ و ٥٤٣ وقدامة، نقد الشعر، ص ١٧٤.

(٤) صدر البيت /وإني لطلاب الرجال مطلبُ/ شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري ص ١٦٣، تح: د. فخر الدين قباوة، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٣ ، ١٩٨٠.

(٥) المثلوج: البليد، والمعلهج: الأحمق.

(٦) صدر البيت /تقيٌ نقيٌّ لم يكثر غنيمةً/ شعر زهير بن أبي سلمى، صنعة الأعلم الشنتمري، ص ٢٢١، تح: د. فخر الدين قباوة، نشر دار الآفاق الجديدة، بيروت ط٣ ، ١٩٨٠.

(٧) الحقلد: السيء الخلق، وقيل القصير الجبان.

(٨) المرزباني، الموشح، ص ٥٩ و ٦٠.

وممن روى لهم المرزباني، ووقعوا في عيب من عيوب اللفظ (حوشي الكلام)، محمد بن مناذر[1] وأبو تمام[2] والعجاج[3].

هنا تأكيد على وضوح معنى اللفظ لئلا يلتبس على القارئ فهمه، وهو حرص من النقاد على رفض ما جاء غامضاً (حوشيا) في الشعر.

ونلاحظ - أيضاً - أن المرزباني خرج على قدامة ليقدم شاهداً على وقوع زهير بن أبي سلمى في عيب حوشي الكلام.

أما عيب المعاظلة، وهو عيب من عيوب اللفظ كما أطلق عليه قدامة بن جعفر، فإن المرزباني أورده على لسان قوم، ولم يورده على لسان قدامة، حيث قال:

عاب قوم على أوس بن حجر قوله:

وذاتُ هِـــدْمٍ عـــارٍ نَوَاشرهـــا ... تُـصْمِتُ بالمـاءِ تَوْلبـاً جَــدِعا[4]

لأنه أفحش الاستعارة بأن سمى الصبي تولباً، وهو ولد الحمار. ومثله قول الآخر:

وَمَـا رَقَـدَ الولْـدانُ حتـى رأيتُـهُ ... عـلى البَكْـر يَمْريـه بـساقٍ وحـافرِ[5]

فسمى رجل الإنسان حافراً. وقالوا: وكل ما جرى هذا المجرى من الاستعارة قبيح لا عذر فيه»[6].

---

(١) المصدر نفسه، ص ٥٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧٥ و ٤٧٦.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٦٢.

(٤) الهدم: الثوب الخلق المرقع، التولب: الجحش، والنواشر: عصب الذراع من داخل وخارج.

(٥) يمريه: يستخرج ما عنده من الجري.

(٦) المرزباني، الموشح، ص ٨٨، وقدامة، نقد الشعر، ص ١٧٥.

والمرزباني لم ينقل تعريف المعاظلة كما نقل عيب حوشي الكلام، وأعتقد أنه يرى أن هذا العيب يتعلق بالصورة الشعرية، ومن أجل ذلك أهمل تعريف المعاظلة «وهي التي وصف عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته لها أيضاً حيث قال: وكان لا يعاظل بين الكلام، وسألت أحمد بن يحيى عن المعاظلة فقال: مداخلة الشيء في الشيء، يقال تعاظلت الجرادتان وعاظل الرجل المرأة إذا ركب أحدهما الآخر وإذا كان الأمر كذلك فمن المحال أن تنكر مداخلة بعض الكلام في ما يشبهه من وجه أو في ما كان من جنسه، وبقي النكير، إنما هو في أن يدخل بعضه في ما ليس من جنسه وما هو غير لائق به وما أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة»[1].

بادئ ذي بدء، لابد من تعريف القافية قبل عرض عيوبها، فقد اختلفوا فيها، فقال الخليل: «وهي آخر البيت إلى أول ساكن، وقال الأخفش: هي آخر كلمة في البيت أجمع، وإنما سميت قافية لأنها تقفوا الكلام، أي تجيء في آخره[2].

عيوب القافية:

عرض المرزباني «عيوب القافية» تحت عنوان البيان عن السناد والإقواء والإكفاء والإيطاء. فقد روى المرزباني في سند يرجع إلى أبي عمر الجرمي (ت ٢٢٥هـ)[3] يقول: عيوب الشعر الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد.

فأما الإقواء فرفع بيت وجر آخر[4] وقال: هو اختلاف المجرى، والمجرى، حركة حرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة[5].والسبب الذي

(١) قدامة، نقد الشعر، ص ١٧٤.
(٢) التبريزي، (الخطيب) الوافي في العروض والقوافي، ص ٢٢٠.
(٣) صالح بن إسحاق، وأخذ العلم عن الأخفش وأبي عبيدة وأبي زيد والأصمعي، توفي سنة خمس وعشرين ومائتين.
(٤) الموشح، ص ٤.
(٥) الموشح، ص ١١.

دعا الخليل إطلاق هذا الاسم على العيب قوله: «وإنما سميته إقواء لتخالفه، لأن العرب تقول: أقوى القاتل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى»[1].

وروى المرزباني: حدثني أحمد بن محمد العروضي ت ٢٤٢هـ) قال: الإقواء رفع قافية وخفض أخرى، وذلك معيب.

ومما استشهد به النقاد قول النابغة:

زعـــم البـــوارحُ أنَّ رحلتنـــا غـــداً وبـــذاك خبرنـــا الغـــرابُ الأســـودُ

لا مرحبـــاً بِغَـــدٍ ولا أهـــلاً بـــه إن كـــان تفريـــقُ الأحبَّـــةِ في غَـــدِ[2]

وقد أورد المرزباني روايات متعددة تدل على إقواء الشعراء: دريد بن الصمة، وحسان بن ثابت الأنصاري[3]، وبشر بن أبي خازم الأسدي[4]، وعمرو بن أحمر الباهلي[5]، والفرزدق[6]، وسحيم بن وثيل الرياحي، وجرير[7].

الإكفاء: في رواية المرزباني، قال أبو عمر الجرمي: «الإكفاء اختلاف حرف الروى، وهو غلط من العرب، ولا يجوز ذلك لغيرهم، لأنه غلط، والغلط لا يجعل أصلاً في العربية، وإنما يغلطون إذا تقاربت مخارج الحروف»[8].

---

(١) الموشح، ص ١٦.
(٢) الموشح، ص ١١ و ٤٥ و ٤٦ و٤٧ و ٤٨ و ٥٥.. فالروايات متعددة.
(٣) الموشح، ص ١١.
(٤) الموشح، ص ٨٠.
(٥) الموشح، ص ١١٨.
(٦) الموشح، ص ١٥٦ و ١٥٧.
(٧) الموشح، ص ٢١٠.
(٨) الموشح، ص ١٢ و ٤.

وفي رواية أخرى قال الخليل: «وسميت الإكفاء ما اضطراب حرف رويه، فجاء مرة نوناً ومرة ميماً ومرة لاماً، مأخوذ من قولهم: مكفأ إذا اختلفت شقاقه التي في مؤخره، والكفأة: الشقة في مؤخر البيت»[1].

فأنشد أبو عبيدة لابنة أبي مسافع - وقتل أبوها يوم بدر وهو يحمي جيفة أبي جهل

فـــما لَيـــثُ عَريـــفٍ ذو أظـــافيرَ وإقـــدامْ
كَحِبـــيٍّ إذ تلاقـــوا وَ وُجـــوهُ القـــوم أَقْـــرَانْ

الأبيات[2]

لقد أكفأت ابنة أبي مسافع فأتى حرف الروي مرة ميماً ومرة نوناً، وهو غلط وعيب من عيوب القافية.

الإيطاء: قال أبو عمر الجرمي: «وأما الإيطاء فأن يقفي بكلمة ثم يقفي بها في بيت آخر»[3]. والخليل يقول: الإيطاء: رد القافية مرتين[4]، وابن سلام يقول: أن تتفق القافيتان في قصيدة واحدة. وإن كان أكثر من قافيتين فهو أسمج له، وقد يكون ولا يجوز لمولد إذا كان عنده عيباً»[5]. وأحمد بن محمد العروضي يؤكد عيب الإيطاء، فقال: «الإيطاء إعادة القافية، ذلك عيب، وقد استعملته العرب»[6].

---

(١) الموشح، ص ١٦.
(٢) الموشح، ص ١٣ و ١٤ وقد اكفأت، امرأة من خَثْعم المصدر نفسه، والصفحة نفسها.
(٣) الموشح، ص ٥.
(٤) الموشح، ص ١٦.
(٥) الموشح، ص ١٨.
(٦) الموشح، ص ٢٣.

وقال أبو عمر الجرمي: وقد أوطأت الشعراء، أنشدني الأصمعي وأبو عبيدة جميعاً للنابغة الذبياني:

أواضِـع البيــت في خَرْسـاءَ مظلمـةٍ تُقَيِّدُ العيْرَ لا يَسْري بها السـاري[1]

ثم قال فيها أيضاً:

لا يَخْفِ الـرِّزَّ عـن أرضٍ ألمَّ بهـا ولا يضِلُّ على مصباحِهِ السَّاري[2][3]

السناد:

قال أبو عمرو الجرمي: «اختلاف كل حركة قبل الروي»[4]، وقال الخليل: «وسميت تغير ما قبل حرف الروي سناداً من مساندة بيت إلى بيت إذا كان كل واحد منهما ملقى على صاحبه ليس مستوياً، وابن سلام يقول: أن تختلف القوافي، نحو نقيب وعيب، وقريب وشيب، - ويستشهد بقول الفضل ابن العباس اللهبي - :

عبْـدُ شـمسٍ أبي فـإن كنـت غَـضْبَى فـامْلئي وجهَـكِ الجميـلَ خُموشـا

ثم قال[5]:

ـــا سـُـميت قـْــريشَ قرَيـــشا[6]

---

(١) الخرساء: الأرض التي لا صوت لها، أو السوداء. العير: الحمار، يعني أن الأرض حارة تقيد الحمار فلا يستطيع المشي بها.

(٢) الرز: الصوت الخفي.

(٣) الموشح، ص ٥، وفي الصفحة نفسها أوطأ ابن مقبل.

(٤) الموشح، ص ٥.

(٥) في نقد الشعر: ص ١٨٣، صدر البيت /نحن كنا سُكانها من قريشٍ/.

(٦) الموشح، ص ١٦ و ١٧.

إذن، فالسناد له علاقة بالحروف والحركات التي تحتاج إليها القافية، وهي:

- **التأسيس**: فهو ألف بينها وبين حرف الروي حرف متحرك، ولا يكون التأسيس إلا ألفا، نحو قول النابغة:

كليني لهَمّ يا أميمة ناصِب وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكب

فإذا أسست بيتاً ولم تؤسس آخر فهو سناد، وهو عيب قلما جاء، كقول العجاج:

يا دارَ سَلْمَى يا اسلمي ثمَّ اسْلمي

ثم قال:

بسَمْسَمٍ أو عَنْ يَمينِ سَمْسَم[1]

ثم قال:

فخِنْدِفٌ هامةُ هذا العالَمَ

قال [الجرمي]: وكان رؤية يعيب هذا على أبيه

قال: [الجرمي]: وذكروا أن قوماً همزوها، فإن همزوها فليست بتأسيس»[2].

الردف:

قال [الجرمي]: والردف يكون ياء أو واواً أو ألفاً قبل حرف الروي لاصقة به، فالياء: رقيب، والواو: طروب، والألف: أطلال. هذه الألف تلزم في هذا

(١) سمسم: موضع.
(٢) الموشح، ص ٦.

الموضع القصيدة جمعاء، ولا تجوز معها الياء ولا الواو، وتجوز الياء مع الواو، مثل مشيب وخطوب، والأمير ووعور. فإن أردفت بيتاً وتركت آخر فهو سناد عيب، نحو قول الشاعر:

إذا كنـــتَ في حاجـــةٍ مُرسِـــلاً ... فأرْسِـــلْ حكـــيماً ولا تُوصِـــهِ

وإنْ بـــابُ أمـــرٍ عليـــكَ التَـــوَى ... فـــشاور لبيبـــاً ولا تَعْـــصِهِ

فالواو التي في توصه ردف، والصاد حرف الروى، والبيت الثاني ليس بمردف، فهذا اسناد، وهو عيب، وقلما جاء.

الحذو:

قال [الجرمي]: والحذو حركة الحرف الذي قبل الردف، نحو «قُولا» مع «قِيلا»، لأن الكسرة قبل الياء والضمة قبل الواو، والحذو يتبع الردف.

قال [الجرمي]: ولو جاء قُوْلا مع قَوْلا وبِيعا مع بَيعا لم يجزْ، لأن الحذوين يتابع الردف والآخر يخالفه، وهو سناد، وهو عيب، نحو قول عمرو بن الأيهم التغلبي:

ألم تـــرَ أنَّ تَغْلِـــبَ أهـــلُ عـــزٍّ ... جِبَـــالُ معاقـــلٍ مـــا يُرْتقَينـــا

شرْبنـــا مـــن دمـــاء بنـــي سُـــليمٍ ... بـــأطراف القَنـــا حتـــى رَوينـــا

والحذو: كسر الواو في روينا، وهذا سناد، وهو عيب[1] ونحن نرى أن الحكم النقدي غير صحيح لأن الحذو في (روينا) يتابع الردف بينما يخالفه في ما يُرْتَقَيْنا.

التوجيه: قال [الجرمي]: التوجيه حركة الحرف الذي قبل حرف الروي في المقيد خاصة، وليس للمطلق توجيه، كقول العجاج:

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٦ و ٧.

قــــد جَــــبَرَ الـــدِّينَ الإلَـــهُ فَجَـــبَرْ[1]

ففتحها كلها، وقال لبيد:

ـىَّ ابنتـــاي أن يعـــيش ـَ أبوهمـــا وهـــل أَلا مـــنَّ ربيعـــة أو مَـــضرُ ـَ ْ

فـــإن حـــانَ يومـــاً أن يمـــوت أبـــوكما ـلا تخَمْـشا وجهـا وًلا تحلقـا الـشـَّعَر

وكان الخليل يقول: تجوز الضمة مع الكسرة، ولا تجوز مع الفتحة غيرها، فإن كان مع الفتحة ضمة أو كسرة فهو سناد والجيد قول طرفة:

أَرَّقَ العـــــينَ خَيَـــــالٌ لم يَقِـــــرْ طاف والرَّكْـبُ بـصحراءِ يُسُرْ[2] [3]

قال الخليل: أجزت الضمة مع الكسرة كما أجزت الياء مع الواو في الردف.

وأما القبيح فقول رؤبة:

وقـــاتِمِ الأعـــماق خـــاوِي المَخْـــترَقْ[4]

ثم قال:

أَلَّـــــ ـَ شَـــتَّى لـــيس بـــالراعي الحَمِـــقْ[5]

ثم قال:

مَـــضْبورةٍ قـــرواءَ هِرْجـــاب فنُـــقْ[6]

---

(١) تمامه: وأعره َّالرحمَنَ مُنَ وْلى ّ العَوَرْ / العجاج، ديوان ص ٢، تح، السطلي (عبد الحفيظ).

(٢) يسر: نقب تحت الأرض يكون فيه ماء لبني يربوع بالدهناء.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٨.

(٤) قاتم: من القتام، وهي الغبرة إلى الحمرة، والخاوي الخالي، والمخترق: الممر.

(٥) أَلَّفَ: يعني الحمار ألف وجمع ما تفرق من الأتن، وليس بالراعي الأحمق.

(٦) مضبورة: مجتمعة الخلق، والقرواء: الطويلة الظهر والهرجاب: الطويلة الضخمة، الوثيقة الخلق، والفنق: الفتية الضخمة.

الإشباع:

[قال أبو عمر الجرمي]: والإشباع حركة الحرف الذي بين ألف التأسيس وبين حرف الروي، كالحواجب فكسرة الجيم الإشباع، وقال الأخفش: وتجوز الكسرة مع الضمة وتقبح الفتحة مع واحدة منهما، فما جاء مكسوراً في القصيدة كلها قول النابغة:

كِلِينـــــي لهــــمَّ يــــا أميمـــــة ناصــــب[1]

فكسر القصيدة كلها.

وأما ما يقبح ويكون سناداً، فقول ورقاء بن زهير:

رأيـت زُهـيراً تحـت كلَكَـلِ خالـدٍ ... فأقبلـتُ أسـعى كـالعَجُول أُبـادِرُ

شلَّتْ يميني يـومَ أضرب خالـداً ... ويمنعــهُ منـي الحديــد المُظــاهَرُ

فهذا قبيح. وكان الخليل لا يراه سناداً[2].

التضمين:

قال المرزباني: حدثني أحمد بن محمد العروضي، قال: والتضمين هو بيت يبنى على كلام معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضياً له، فمن ذلك:

وســـعدٌ فـــسائلهمُ والرِّبـــابُ ... وســـائل هـــوازِنَ عنَّـــا إذا مـــا

لقينـــاهم كيـــف نعلـــوهمُ ... بـــواتِرَ يغـــرين بَيْـــضاً وهامـــا[3]

---

(١) عجز البيت وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ص ٤٠، دار المعارف بمصر م٢ ، ١٩٨٥.

(٢) الموشح، ص ١٠.

(٣) الموشح، ص ٢٣.

وقال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني: وعابوا على امرئ القيس قوله وهو مضمن:

أَبَعْدَ الحارثِ المَلْكِ ابْنِ عَمرو ... وبعد الملكِ حُجْرٍ ذي القِبابِ
أَرَجِّي مِنْ صروفِ العيْشِ لِينا ... ولم تغْفُل عن الصُّمِّ الهِضابِ[1][2]

وقال المرزباني: حدثني علي بن هارون، قال: «التضمين أحد عيوب القوافي الخمسة، وليس يكون فيه من قول النابغة الذبياني:

وهم وَردُوا الجِفارَ[3] على تميم ... وهُمْ أصحابُ يومِ عُكاظ إني
شهدْتُ لهم مواطنَ صالحاتٍ ... أتينَهم بحسنِ الوُدِّ مني

فأما قول امرئ القيس:

وتعْرفُ فيه من أبيه شَمائلاً ... ومن خاله ومِنْ يَزيد ومن حُجُرْ
سماحةَ ذا وبِرَّ ذا ووَفاء ذا ... ونائلَ ذا، إذا صحا وإذا سَكِرْ

فليس ذا بمعيب عندهم، وإن كان مضمناً، لأن التضمين لم يحلل قافية البيت الأول، مثل قوله: «إني شهدت لهم». وقد يجوز أن يوقف على البيت الأول من بيتي امرئ القيس، وهذا عند نقاد الشعر يسمى الاقتضاء: أن يكون في الأول اقتضاء للثاني، وفي الثاني افتقار إلى الأول»[4].

---

(١) الصم: المصمت، جبال ليس بالشوامخ،
(٢) الموشح، ص ٤٣.
(٣) الجفار: ماء لبني تميم بنجد..
(٤) الموشح، ص ٤٩.

الرَّمل:

قال [أحمد بن محمد العروضي]: «ومن عيوب الشعر الرَّمل. والرَّمل عند العرب كل شعر ليس بمؤلف البناء، ولا يجدون فيه شيئاً إلا أنه عيب[1]. وقد ذكر الأخفش أنه مثل قوله[2]:

أقفــرَ مـــن أهلـــه مَلحُـــوبُ ... فالقُطَبِيّـــاتُ[3] فالـــذَّنوبُ

وقوله أيضاً:

ألا لله قـــــــــومٌ و ... لـــدَتْ أخـــتُ بنـــي سَـــهْمِ

هـــشامٌ وأبـــو عبـــد ... منـــافٍ مِـــدْرَة الخَـــصْمِ

فكأنه عنده كل شعر غير تام الأجزاء»[4].

ونحن نرى أَنَّ المزرباني لم يهمل عيوب القافية، بل ذكرها مفصلة واضحة، وهو في الوقت نفسه لم يغفل اختلاف النقاد في هذه العيوب.

فالنقاد قد اختلفوا في عيب الإكفاء. فالعروضي قال: من الناس من يجعل الإكفاء بمعنى «الإقواء»، ومنهم من يجعله اختلاف الحركات قبل حرف الروي. نحو قول رؤبة:

وقـــاتم الأعـــماق خـــاوي المُخْـــترَقْ

---

(١) في اللسان (رمل): الرّمل في الشعر كل شعر مهزول غير مؤلف البناء، وهو مما تسمي العرب من غير أن يجدوا في ذلك سبباً.

(٢) عبيد بن الأبرص شرح القصائد العشر، ص: ٤٧٨، التبريزي، تح: فخر الدين قباوة ط/٢/ دار الأصمعي حلب ١٩٧٣. وديوان عبيد، ص /١٠/ تح د. حسين نصار ط /١١/ مط: البابي الحلبي بمصر ١٩٥٧. والوافي في العروض والقوافي، ص ٢٥٠ و٢٥٢، التبريزي /تح عمر يحيى، وقتادة.

(٣) القطبية: ماء بعينه، وأراد هذا الماء فجمعه بما حوله.

(٤) الموشح، ص ٢٣، ٢٤.

مع قوله:

ـــَّـــف َ شــــتى لـــــيس بــــالراعي الحمِـــقْ

فهذا سناد في رأي أبي عمرو الجرمي لأنه اختلاف حركة ما قبل الروي، والأخفش يراه، إكفاء لأنه كان يضع الإكفاء في موضع السناد والسناد في موضع الإكفاء.

أما الناقد الذي رأى الإكفاء بمعنى الإقواء فهو محمد بن سلام الجمحي، عندما قال: الإكفاء هو الإقواء، وهو أن يختلف إعراب القوافي فتكون قافية مرفوعة وأخرى مخفوضة أو منصوبة. وأبو عمر الجرمي يرى أن الإكفاء هو اختلاف حرف الروي.

وفي التوجيه، وهو حركة الحرف الذي قبل الروي في المقيد خاصة أجاز الخليل الضمة مع الكسرة وقال لا تجوز مع الفتحة بينما لا يرى الأخفش ذلك سناداً، ويقول: قد كثر من فصحاء العرب.

وما يراه الأخفش سناداً لا يراه الخليل - كذلك - ففي الإشباع، وهو حركة الحرف الذي بين التأسيس وبين حرف الروي أجاز الأخفش الكسرة مع الضمة وقبح الفتحة مع واحدة منهما. بينما كان الخليل لا يراه سناداً.

ولئن دلَّ ذكره الاختلاف على شيء إنّه يدل على ثقافة المرزباني الواسعة واستيعابه للتراث في هذا الباب.

من عيوب ائتلاف المعنى والقافية:

قال [قدامة]: ومن عيوب الشعر أن تكون القافيةُ مستدعاة، قد تكلف في طلبها، فاشتغل سائر البيت بها؛ مثل ما قال أبو تمام الطائي:

كالظَّبْيـة الأدْمَـاءِ ضـاقَتْ فارتعـت ... ـرَ ْالعَـرار الغِـض ّ والجَثْجاثـا

فجميع هذا البيت مبني لطلب هذه القافية، وإلاَّ فليس في وصف الظبية بأنها ترعى الجثجاث كبير فائدة؛ لأنه إنما توصف الظبية إذا قُصد لنعتها بأحسن أحوالها؛ بأن يقال إنها تَعْطو الشجر، لأنها حينئذ رافعةٌ رأسها، وتوصف بأن ذعراً يسيراً قد لحقها؛ كما قال الطرماح:

ـــل مَـــا عانَيْــتْ مُخْـرُوفَـــةٌ　　　نـــصَّها ذَاعِـــرُ رَوْعٍ مـــؤامْ[1]

فأما أن ترتعي الجثجاث فلا أعِرف له معنىً في زيادة الظبية من الحُسنِ، لا سيّما أنّ الجثجاثُ ليس من المراعي التي توصف»[2].

قال [قدامة]: «ومن عيوب هذا الجنس أن يؤتى بالقافية لتكون نظيرة لأخواتها في السجع لا لأنَّ [لها][3] فائدة في معنى البيت، كما قال علي بن محمد البصري:

وســابغة الأذيــالِ زَغْــفٍ مُفاضــةٍ　　　تكنَّفهــا منــي نِجــادٌ مُخطَّــطُ[4][5]

في وصف الدرع وتجويد نَعْتها، وليس يزيد في جودتها أن يكون نجادها مخططاً دون أن يكون أحمر أو أخضر أو غير ذلك من الأصباغ، ولكنه أتى به من أجل السجع[6].

---

(١) في اللسان (خرف) نصّها: نصبها. قال ثعلب: أحسن ما تكون الظبية إذا مدت عنقها من روع يسير، ولذلك قال مؤام لأنه المقارب اليسير. وخرفت البهائم: أصابها الخريف أو أنبت لها ما ترعاه.

(٢) الموشح ص ٣٦٨ و٣٦٩. ونقد الشعر، ص ٢١٠.

(٣) من نقد الشعر، ص ٢١٠.

(٤) الزغف: الدرع المحكمة، وقيل الواسعة الطويلة - تسكن وتحرك - وقيل الدرع اللينة.

(٥) في نقد الشعر، ص ٢١٠: «البجاد المخطط». والبجاد كساء مخطط - ونجاد: ما ينجدبه البيت من بسط وفرش ووسائد.

(٦) ورد في نقد الشعر: «فليس لأن يكون هذا البجاد مخططاً صنع في صفة الدروع وتجويد نعتها ولكنه أتى به من أجل السجع.

ومن هذا الجنس قول أبي عدي القرشي:

وَوُقيتُ الحُتوفَ مِنْ وارثٍ وا ... لٍ وأبقاكَ صالحاً ربُّ هُودِ

فليس نسبة هذا الشاعر الله عز وجل إلى أنه ربُّ هود بأجود في هذا البيت من نسبته إلى أنه ربُّ نوح ولكن القافية كانت داليّة فأتى بذلك للسجع، لا لإفادة معنى بما أتى به منه»[1].

من عيوب الوزن:

قال قدامة بن جعفر:

«من عيوب أوزان الشعر التخليع؛ وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنيةً للشعر الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وَهلَةٍ إلى ما ينكره حتى يُنْعِم ذوقه، أو يعرضه على العروض، فيصحُّ فيه، فإن ما جرى من الشعر هذا المجرى ناقص الطلاوة، قليل الحلاوة، وذلك مثل قول الأسود ين يَعفُر:

إنَّا دَمَمْنا على ما خيَّلتْ ... سعدَ بنَ زيدٍ وعمراً من تميمْ

وضيَّةَ المشتِري العارَ بنا ... وذاك عمٌّ بنا غيرُ رحيمْ

ونحنُ قومٌ لنا رماحٌ ... وثروةٌ من مَوالٍ وصميمْ»[2]

لا نشتكي الوَصْمَ في الحرب، ولا ... نئنُّ منها كتأْنان السَلِيم

---

(١) الموشح، ص ٣٦٩ و٣٧٠. ونقد الشعر، ص ٢١٠ و٢١١.

(٢) الموشح: ص ١٢١ و١٢٢ ونقد الشعر: ص ١٧٨. وأمثلة أخرى لعروة بن الورد، ومتمم بن نويزة وخالد بن أبي ذؤيب، الموشح، ص ١٢٢ و١٢٣. ونقد الشعر ص ١٧٨ و١٧٩.

ونحن نرى في هذه الأبيات اضطراباً في الموسيقى غير مستساغ ولا مألوف لدى السامع لكثرة زخارفه، فنجد البيت الأول مجزوء مذال(١)، ووزنه مستفعلان، تقطيعه:

إننـــا ذمـــم نـــا عـــلى مـــا خييلـــت	ســعد بــن زي دن وعــم رن مــن تمــيم
/٥/٥ //٥/ ٥/ ٥// ٥/٥/ ٥// ٥	/٥/ ٥/ /٥/ ٥/ //٥/ ٥/ ٥/ ٥// ٥٥

تفعيلته:

مـــــستفعلن فــــاعلن مــــستفعلن	مـــــستفعلن فــــاعلن مــــستفعلان
ســــــال ســــــالم ســــــالم	ســــــالم ســــــالم ـــــــ

أما البيت الثاني فقد وقع به خلل شديد، فهو مخبون ومطوى ومطوى مذال. تقطيعه:

وضي يتـــل مـــش نـــزل عاربنـــا	وذاك عـــم مـــن بنـــا غـــي ررحـــيم
//٥/ ٥// ٥/ ٥// ٥/ ٥/// ٥	//٥//٥ /٥/ ٥// ٥/ ٥/// ٥٥

تقطيعه:

مــــتفعلن فـــــاعلن مــــستعلن		مــــتفعلن فـــــاعلن مفـــــتعلان
ينقــــــــل إلى ينقـــــــــل إلى		ينقـــــل إلى مطـــــوى مــــــذال
مفاعلن	مفتعلن	مفاعلن
ويسمى	ويسمى	ويسمى
مخبوناً	مطوياً	مخبوناً

---

(١) المذال: ما زيد على اعتداله من عند وتده حرف ساكن، كأنه حبل له ذيل. الوافي في العروض والقوافي، ص ٥٩.

وفي البيت الثالث نجد الخبن[1]، ومخلع الخبن[2]، ومطوي مذال[3].

تقطيعه:

ونــح نقــو مــن لنــا رمــاحن	**وثــروتن مــن مــوا لــن وصــميم**
//ه //ه /ه //ه //ه /ه	**//ه //ه /ه //ه /ه ///هه**
متفعلن فاعلن مفعولن	**متفعلن فاعلن مفتعلان**
متفعلن ينقل إلى مفاعلن ويسمى مخبوناً	**متفعلن ينقل إلى مفاعلن ويسمى مخبوناً**
مفعولن إلى مخلع الخبن في مفعولن ينقل إلى فعولن	**مفتعلان مطوى مذال**

وتقطيع البيت:

لانــش تكــل وص مفــل حــرب ولا	**نــئن نمــن هاكتــأ نافــل ســليم**
/ه /ه //ه /ه //ه /ه ///ه	**//ه //ه /ه //ه /ه /ه //هه**
مستفعلن فاعلن مستعلن	**متفعلن فاعلن مستفعلان**
مستعلن مطوي ينقل إلى مفتعلن	**متفعلن مخبون ينقل إلى مفاعلن**
	مستفعلان مذال

---

(١) الخبن: يجوز في كل مستفعلن أن تسقط سينه فيبقى متفعلن فينقل إلى مفاعلن ويسمَّى مخبوناً. الوافي في العروض والقوافي، ص ٦٢ و٦٣.

(٢) ضرب من مجزوء البسيط يأتي مقطوعاً على وزن مفعولن، ويجوز في مفعولن الخبن فيصير معولن فينقل إلى فعولن. الوافي في العروض والقوافي، ص ٦٣.

(٣) الطي حذف الرابع الفاء من مستفعلن فينقل إلى مفتعلن. انظر: الوافي في العروض والقوافي، ص ٦٣.

وهكذا فقد رفض النقاد أي شعر يتخذ من التخليع بنية له، وعدوه عيباً من عيوب الوزن. وكانوا يحبون القليل منه». وإنما يستحب من التزحيف ما كان غير مفرط. أو كان في بيت أو بيتين من القصيدة من غير توال ولا اتساق يخرجه عن الوزن[1].

من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن:

قال [قدامة]: «ومن عيوب الشعر «الحشو»، وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لإقامة الوزن، مثال ذلك ما قاله أبو عَدِي القرشي:

نحن الرؤوسُ وما الرّؤوس إذا سمَتْ ... في المَجْدِ للأقوام كالأذنابِ

فقوله «للأقوام» حشو لا منفعة فيه»[2].

قال [قدامة]: «ومنها «التثلم»، وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص منها، مثال ذلك قول أمية بن أبي الصلت:

لا أَرى مَنْ يُعينني في حياتي ... غيرَ نفْسي إلاَّ بني إسْرَالِ[3]

وقال علقمة بن عبدة:

كأنَّ ابريقَهم ظَبْيٌ على شَرَف ... مُفَدَّمٌ[4] بسبَا الكتَّان ملْثومُ

---

(١) الموشح، ص ١٢٢ و١٢٣، ونقد الشعر ص ١٧٩ و١٨٠.

(٢) الموشح، ص ٣٦٥، ونقد الشعر ص ٢٠٦. وفي الصفحتين نفسيهما قولا لمصقلة بن هبيرة عيب بالحشو.

(٣) إسرال: يريد إسرائيل. وأمية شاعر جاهلي كان يتحنف في شعره أدرك الإسلام ولم يدخل فيه - مات عام (٩) هـ.

(٤) مفدم: من الفدام وهو السداد.

أراد بسبائب الكتان فحذف للعروض.

وقال لبيد بن ربيعة:

درس المَنَـــــا بمُتَـــــالِع فَأَبَـــــان[1]

أراد المنازل[2].

«ومنها» التذنيب، وهو عكس العيب، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض فيضطر إلى الزيادة فيها، مثال ذلك ما قال[3]:

لا كعبـــد المليـــك أو كيزيـــدِ ... سـليمان بَعَـْـد أُو كهِـشَـامِ

فالملك والمليك اسمان لله عز وجل، وليس إذا سمِّي إنسان بالتعبد لأحدهما وجب أن يكون مسمى بالآخر، كما أنه ليس من سمي عبد الرحمن هو كمن سمي عبد الله[4].

قال [قدامة]: «ومن هذا الجنس: «التغيير» وهو أن يحيل الشاعر الاسم عن حاله وصورته إلى صورة أخرى إذا اضطرته العروض إلى ذلك، كما قال بعضهم[5]، يذكر سليمان عليه السلام:

ونَـــسْج سُـــلَيْم كـــلّ قَـــضَّاءَ ذائـــلِ[6]

---

(١) عجز البيت: /وتقادمت بالحبسي فالسوبان/. شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ص: ٣٨، تح: د. إحسان عباس سلسلة التراث العربي نشر وزارة الإرشاد والأنباء. الكويت ١٩٦٢.

(٢) الموشح، ص ٣٦٥ و٣٦٦. ونقد الشعر، ص ٢٠٦ و٢٠٧.

(٣) في نقد الشعر، ص ٢٠٧. قال الكميت.

(٤) الموشح، ص ٣٦٦ و٣٦٧. ونقد الشعر ص ٢٠٧.

(٥) صدر البيت /وكلُّ صموتٍ نثلةٍ تبَّعيَّةٍ/. ديوان النابغة الذبياني، ص ١٤٦، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف بمصر /ط/ ٢/ ١٩٨٥.

(٦) المرزباني، الموشح، ص ٣٦٧. وقدامة، نقد الشعر، ص ٢٠٧ و٢٠٨.

قال [قدامة]: «ومن عيوب الشعر التفصيل، وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر، كما قال دريد بن الصّمة:

وبَلِّغ نميراً إنْ عرضت ابنَ عامر ... أي أَخٍ في النَّائبات وطالب

ففرق بين نمير بن عامر بقوله: إن عرضت»[1].

ولم يقتصر المرزباني في هذا العيب عما نقله عن قدامة بن جعفر، فنراه يتبنى آراء نقلها عن ابن طباطبا دون أن يشير إلى اسمه.

قال المرزباني: أُنكر على عمرو بن قميئة قوله:

لمّا رأتْ ساتيدما استعبرت ... لله درُّ اليومَ من لامَها

يريد: لله درُّ من لامها اليوم، فقدَم وأخر»[2].

وإنَّ ما قدمه المرزباني في هذا الخبر عبارة قدَّم وأخر.

وقال المرزباني: أنكر على [النابغة] الجعدي قوله:

وشمولٍ قهوةٍ باكرتُها ... في التَّباشِير من الصُّبْح الأوَّلِ

يريد مع التباشير الأول من الصبح، فقدّم وآخر»[3].

والخبر كسابقه، فإن ما قدمه المزرباني عبارة قدّم وآخر.

وقال المرزباني: عيب على أبي حية [النميري] قوله:

كما خُطّ الكِتَابُ بكفِّ يوماً ... يَهُودِيٍّ يُقَارِبُ أو يُزيلُ

---

(١) في الأصمعيات، ص ١١٨، رواية البيت:

وأبلغ نميراً إن مررت بدارها ... على نأيها فأيّ مولىً وطالب

(٢) المرزباني، الموشح، ص ١١٥. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٨٣.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٩٣. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٨٢.

لأنه أراكما خط الكتاب يوما بكف يهوديٍّ يقارب أو يزيلُ، فقدّم وآخر[1].

والخبر كسابقيه، فإن ما قدمه هو عبارة قدّم وآخر.

وممن وقع في هذا العيب. وأورد له المرزباني - الشماخ بن ضرار[2] والفرزدق[3]، والراعي[4]، وعروة بن أذينة[5].

ومما نلاحظه على هذا العيب أنه أطلق عليه عناوين مختلفة، فقد ورد عند المرزباني على أنه «التفصيل»، وعند قدامة «التعطيل»، وعند ابن طباطبا «الأبيات المتفاوتة النسج».

ويتضح أن العيب «عيب صياغة ونظم لأن الكلمات لا تقع في مواقعها حسب ترتيب المعنى بل فيها تقديم وتأخير لغير هدف معنوي، بل لتكمل الملاءمة بين نظم الكلام ووزن الشعر»[6].

وواضح - كذلك - أن المرزباني كان يضيف عبارة قدّم وآخر، وهي مهمة تعليمية قام بها حتى يزيل إبهام الخبر على ما يبدو.

من عيوب ائتلاف المعنى والوزن معاً:

قال [قدامة]: من عيوب الشعر «المقلوب» وهو أن يضطر الوزن الشعري إلى إحالة المعنى فيقلبه الشاعر إلى خلاف ما قصد به، مثال ذلك لعروة بن الورد:

فلو أنّي شهدتُ أبا مُعاذٍ ... غَدَاةَ غَدا بمهجته يفوقُ

فَدَيْتُ بنفسه نفسي ومالي ... وما آلوك إلاّ ما أُطِيقُ

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٣٥٥ و٣٥٦. وعيار الشعر، ص ٨٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٩. وعيار الشعر، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٥٢ و١٦٢ و١٨٧. وعيار الشعر، ص ٨٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٥٠. وعيار الشعر، ص ٨٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٣٣. وعيار الشعر، ص ٨١.

(٦) ابن طباطبا، عيار الشعر، مقدمة المحقق، محمد سلام زغلول، ص ٣٣.

أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسي، فقلب المعنى»[1].

وللحطيئة:

فلـمَّا خـشيتُ الهُـونَ والعَـيْرُ مُـمسكٌ ... عـلى رغْمِـه مـا أثبـتَ الحبـلَ حـافرُه

أراد الحبلُ حافرَه، فانقلب المعنى»[2].

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: «ومثله للمجنون:

يــضمُّ إليَّ الليــلُ أطفــالَ حُــبّكم ... كــما ضــمّ أزرارَ القمــيصِ البنــائقُ

أراد كم ضم البنائق أزرار القميص»[3].

قال [قدامة]:

«ومنها» «المبتور» وهو أنْ يطول المعنى عن أنْ يحتمل العروضُ تمامه في بيتٍ واحد، فيقطعه بالقافية، ويتممه في البيت الثاني، مثال ذلك قول عروة بن الورد:

فلــو كــاليوم كــان عــليَّ أَمْــرِي ... ومَــنْ لــك بالتــدبُّرِ في الأمــور

فهذا البيت ليس قائماً بنفسه في المعنى، ولكنه أتى في البيت الثاني بتمامه، فقال:

إذاً لملكْـــتُ عِـــصْمةَ أُمِّ وهـــبٍ ... على ما كان من حَسَكِ[4] الصُّدُورِ[5]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١٢٨. وقدامة، نقد الشعر ص ٢٠٩.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ١٢٨. وقدامة، نقد الشعر ص ٢٠٩.

(٣) المصدر نفسه، ص١٢٨ و١٢٩.

(٤) الحسك: نوع من النبات له ثمر كالحصا شائك (وهذا كناية عن شدة الغيظ الكاهن في نفسه)، حاشية نقد الشعر، ص ٢٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢٩. وقدامة، نقد الشعر، ص ٢٠٩.

من عيوب ائتلاف اللفظ والمعنى:

قال [قدامة]: «ومن عيوب الشعر الإخلال» وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى، مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعـــاذِلُ عاجــــلُ مــــا أشــــتهي أَحَــبُّ مِــنَ الأكثــر الرائـــث[1]

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القلة أحب إلي من الأكثر المبطئ، فترك «مع القلة» وبه يتم المعنى[2].

قال [قدامة]: «ومن عيوب هذا الجنس عكس العيب المتقدم، وهو أن يزيد في اللفظ ما يفسد به المعنى، مثال ذلك قول بعضهم:

فـما نطفـةٌ مـن مـاءِ نَحْـضٍ عُذَيـَـةٌ تُمَنَّــع مِــنْ أيــدي رُقــاة تروُمُهــا
بأطيــب مــنْ فيهــا لــو أنَّــك ذُقْتَــه إذا ليلةٌ أَسْجَتْ[3] وغــارتْ نجومهــا

فقول هذا الشاعر: «لو أنك ذقته» «زيادة توهم أنه لو لم يذقه لم يكن طيباً»[4].

وفي خاتمة القول ـ خلال ما قدمنا - نرى أن المرزباني حرص على عرض العيوب التي تخص البناء الشعري - سواء - في الألفاظ أم القافية أم الوزن - ودعوة النقاد إلى التقيد بقواعد القافية والوزن واللفظ لما لها من أثر إفهامي وإيقاعي على المتلقي. كما طرحت مفاهيم نقدية ذات علاقة مزدوجة

---

(١) الرائث: المبطئ.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٣٦٣. وقدامة، نقد الشعر، ص ٢٠٤. ويتابع المرزباني وقدامة بالتمثيل لهذا العيب بقولين لعروة بن الورد، والحارث بن حِلِّزة.

(٣) أسجت: سكنت.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٣٦٤ و٣٦٥، وقدامة، نقد الشعر، ص ٢٠٥.

بين المعنى والقافية، واللفظ والوزن، والمعنى والوزن، واللفظ والمعنى، ورأينا عيب التفصيل قد دخل ميادين اللغة (الضرورات الشعرية). كما ظهرت شخصية المرزباني التعليمية، عندما قدم عبارة (قدم وأخر) في عيب التفصيل. وشارك قدامة في عيب المقلوب عندما أضاف شاهداً على ما نقله عن قدامة بن جعفر.

وكما اهتم النقاد بعيوب الشكل فقد اهتموا بعيوب المضمون كما سنرى في الفصل التالي.



الفصل السادس

عيوب المضمون

عيوب الأغراض الشعرية

لقد تناول النقاد الأغراض الشعرية متفحصين لها، مبينين عيوبها، رافضين كل عيب يقع به الشاعر.

المديح: وهو أحد الأغراض الشعرية الرئيسة. وعابوا قول النابغة:

وكنت امرأً لا أمدح الدّهْرَ سُوقةً ... فلستُ على خيرٍ أتاك بحاسِدِ

قال [ابن المعتز]: وقالوا: كيف يحسده على ما قد جاد به له؟[1].

يصرح النابغة أنه لم يكن ليمدح السوقة فمديحه إذاً إنما كان يخص بعض أشراف القوم، والقول يشف عن نزوع طبقي لديه، والعيب الموجه له أنه حسد ممدوحه على أنه ما جاد به له.

وقال المرزباني: أنكر على الكميت قوله في رسول الله r :

إليكَ يا خَيْرَ من تضّمنتِ الأرْ ... ضُ وإنْ عابَ قولِيَ العُيُبُ

فلا يعيب قوله في وصف النبي r إلَّا كافر بالله مشرك[2].

(١) الموشح، ص ٥٤ و٥٥.

(٢) الموشح، ص ٣١١، وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ١٣٢.

فقد فضل الرسول على الناس جميعاً ثم ذكر أن ثمة من يعيب عليه مديحه له، فالمعنى ليس بسديد.

وساهم الخلفاء في نقد الأغراض الشعرية، ففي رواية المرزباني، وفي سند يرجع إلى الأصمعي، أنه أنشد الرشيد: «قول النابغة الجعدي:

أشمُّ طويل السَّاعدين شمرولٌ[1] إذا لم يَرُحْ للمجْد أصبح غاديَا

فقال الرشيد: ويله، ولِمَ لَمْ يرَوِّحه في المجد كما أغداه؟ ألا قال:

إذا راح للمعـــــروف أصـــــبح غاديـــــا

فقلت: أنت والله يا أمير المؤمنين في هذا أعلم منه بالشعر»[2].

فالرشيد والأصمعي ينكران على النابغة الجعدي أن يخص ممدوحه بصفة مدحية (المجد) في آن دون آن.

والممدوح يشير إلى عدم فطنة المادح. فقد روى المرزباني أن محمد بن يزيد النحوي، قال: يقال إنّ ذا الرّمة لما أنشد بلال بن أبي بردة:

ســـمعتُ النّـــاس ينتجعـــون غيثـــاً فقلـــت لـــصيدَحَ انتجعـــي بِـــلاَلا

تُنـــاخِي عنـــد خـــيْرَ فتـــىً يَـــمانٍ إذا النَّكْبَـــاءُ ناوَحـــتِ الـــشمالا

فلما سمع قوله: /فقلت لصَيْدَح انتجعي بلالا/ قال: يا غلام، مُرْ لها بقَتٍّ ونوى، أراد أن ذا الرمة لا يحسن المدح[3].

---

(١) الشمرول: الفتى القوي الجلد.

(٢) الموشح، ص ٩٣.

(٣) الموشح، ص ٢٨١ و٢٨٢. وتوجد رواية ثالثة عن أبي عبيدة لا تضيف جديداً. الموشح ص ٢٨١.

وفي رواية ثانية عن أبي عبيدة أن ذا الرّمة لما خرج «قال له أبو عمرو - وكان حاضراً: هلا قلت له: إنما عنيت بانتجاع الناقة صاحبها، كما قال الله عز وجل: «واسأل القرية التي كنا فيها، يريد أهلها...»[1].

فالممدوح ينكر على ذي الرمة أن ينسب انتجاعه الممدوح لناقته لا لنفسه، وفي ذلك ما يعبر عن ضآلة بصر الممدوح بالمجاز، فإذا ما نسب الشاعر الانتجاع لناقته، فكأنه نسبه لنفسه.

وفي رواية المرزباني «عاب محمد بن يزيد المبرّد قول أبي تمام:

تُثَفَّى[2] الحربُ منهُ حين تَغْلِي　　مَراجلُها بشيطانٍ رجيم

فجعل الممدوح هو الشيطان الرجيم»[3].

فالمبرد ينكر على أبي تمام صياغة المماثلة بين الممدوح والشيطان الرجيم في قول أبي تمام، لأنه فيما يبدو من أولئك الذين يقولون بالموافقة بين طرفي التشبيه، وهذه الموافقة لم تتحقق هنا.

وقد أنكر على أبي تمام أَن يجعل عطايا الممدوح يجن جنونها، ففي رسالة ابن المعتز قال: «فمما أنكر عليه - ويقصد أبا تمام - قوله في قصيدة:

تكاد عطاياهُ يُجَنُّ جُنونها　　إذا لم يعَوِّذْها بنَغْمَةِ طالب

ولم يُجَنُّ جُنون عطاياه انتظار للطلب؟ ليبتدئ بالجود ويستريح»[4].

فابن المعتز ينكر على أبي تمام استعارة الجنون للعطايا لأنه - فيما يبدو - من القائلين بالمقاربة في التشبيه.

---

(١) الموشح، ص ٢٨٢.

(٢) الأُثْفِيَّةُ: الحَجَرُ يُوضَعُ عليه القِدْرُ. وتأَثَّفَه:تكَنَّفَه ولَزِمَه وأَلِفَهُ، واتَّبَعَه وأَلَحَّ عليه.

(٣) الموشح، ص ٤٦٨ و٤٩٢.

(٤) الموشح، ص ٤٧٠.

الهجاء:

لقد تناول المرزباني: قصيدة هجائية للبحتري بالنقد. قال المرزباني، «قال الصولي: وله - يقصد البحتري - يهجو المستعين من قصيدة:

أعـــاذلتي عـــلى أسْـــماءَ ظُلْــماً ... وإجْــرَاءِ الــدّموعِ لهــا الغِــزَارِ

متـــى عـــاودْتني فيهـــا بلَـــوْمٍ ... فبـــتِّ ضـــجيعةً للمـــستعارِ

لأَسْـلح حـين يُمسي مـن حُبَـارَى ... وأقـضَم حـين يُـصْبحُ مِـنْ حِمَـارِ

إذا أهْـــوى لمرقَـــدِهِ بِلَيْـــلٍ ... فيــا خِــزْيَ الــبرادعِ والــسرارِي

ويــا بُــؤسَ الــضجيع وقــدْ تلظّــى ... بحَـــاظِي جامـــدٍ معَـــهُ وجــارِ

ولـــو أنّـــا اســـتطعنا لافْتَـــديْنَا ... قطـــوعَ الـــرّتم منــه بـــالبَوَارِي

ومــا كانــتْ ثيــابُ الملــك تَخْــشى ... جريـــرةَ بائـــلٍ فـــيهنَّ خَـــاري

يُبِيـــدُ الـــراحَ في يـــوم النّـــدامَى ... ويُغْنـــي الـــزادَ في يـــوم الخُـــمَارِ

مَــُـبٌ فينفُـــدُ الـــصّهباء جِلْـــفٌ ... قريـــبُ العهـــد بالـــدِّبْسِ[1] المُـــدارِ

ردَدْنـــــاهُ برُمَّتـــــهِ ذمِـــــياً ... وقـــد عـــمَّ البريـــةَ بالـــدَّمار

وكـــانَ أضرَّ فـــيهم مـــن سُـــهَيلٍ ... إذا أوتي، وأشْـــأَمَ مِـــنْ قُـــدَارِ[2]

قال: الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وهذه الأبيات من أقبح الهجاء وأضعفه لفظاً وأسمجه معنى، ولا سيما بيت «البواري» وهي أيضاً خارجة عن طريق هجاء الخلفاء والملوك المألوفة، وهي بهجاء سِفْلة الناس ورعاعِهم أشبه، مع ما جمعَتْ من سخافةِ اللفظ، وهَلْهَلَة النسج، والبُعْدِ عن الصواب»[3].

---

(١) الدبس: عسل التمر، وعسل النحل.

(٢) قدار: عاقر ناقة صالح. ويقال له أحمر ثمود.

(٣) الموشح، ص ٥١٣ و٥١٤.

يطرح المرزباني مقولات متعدة منها يدخل في إطار النقد الانطباعي: (من أقبح الهجاء وأضعفه لفظاً وأسمجه معنى)، ومقولات تخالف طريقة الهجاء في مخاطبة الخلفاء والملوك وتلائم طريقة الهجاء في مخاطبة الرعاع وتشف هذه المقولات عن إيمان المرزباني بمفهوم مقتضى الحال في الخطاب بل بما يمكن وراءه من تصنيف طبقي للمجتمع. مقولات تتصل بالأسلوب توحي بإيمان المرزباني بنقيض مدلولها في تقسيم الشعر: فسخافة اللفظ تستدعي شرف اللفظ، وهلهلة النسج تستدعي استواء النسج وإحكامه والبعد عن الصواب تستدعي فكرة المطابقة للواقع والحقيقة أو معيار الصدق الواقعي.

الغزل:

لقد عرف الشعر العربي نوعين من الغزل: عذري عفيف وفاحش عهري، ولم يسلم النوعان من تفحص النقاد، وإظهار ما وقع به الشعراء من عيوب.

ففي رواية المرزباني، قال عبد الله بن المعتز: «عيب على امرئ القيس قوله:

أغـــرَّكِ منّـــي أنَّ حُبَّـــكِ قـــاتِلِي وأنَّــكِ مهْــما تــأْمري القلــبَ يفْعــلِ

قال: وقالوا: إذا لم يغرَّها هذا فأي شيء يغرها؟ قال: وإنما هذا كأسير قال لمن أسره: أغرك مني أني في يديك[1].

---

(١) في الشعر والشعراء، الجزء الأول، ص ٧٤. «أغرك مني أنّي في يديك وفي إسارك وأنك ملكت سفك دمي». وقال أبو محمد - عبد الله بن مسلم بن قتيبة -: ولا أرى هذا عيباً، ولا المثل المضروب له شكلاً، لأنه لم يرد بقوله «حبك قاتلي» القتل بعينه، وإنما أراد به: أنه قد برّح بي فكأنه قد قتلني. وهذا كما يقول القائل: قتلتني المرأة بدلها وبعينها، وقتلني فلان بكلامه فأراد: أغّرك مني أن حبّك قد برّح بي وأنك مهما تأمري قلبك به من هجري والسلو عني يطعك أي فلا تغتري بهذا، فإني أملك نفسي وأصبرها عنك وأصرف هواي».

ونحوه قول جرير:

أغــرّكِ منّــي أنَّــما قــادني الهــوَى إليــك ومــا عَهْــدٌ لكُــنَّ بــدائم»[1]

في رأي النقاد أن غرور الحبيبة لشعورها بأن حب امرئ القيس لها قد شل إرادته وأفقده الحياة الطبيعية، ولذا فقد عابوا على امرئ القيس قوله لأن إنكاره الغرور عليها إنما يخالف طبيعة المرأة أي يخالف الصدق الواقعي النفسي.

والمثال الذي أورده المرزباني يماثل قول امرئ القيس السابق: فغرور الحبيبة لشعورها بأن حب المتحدث العميق جعله منقاداً لها، وهذا الغرور طبيعي ينسجم مع نفسية المرأة، فإنكار جرير له يخالف إذاً الصدق الواقعي ـ النفسي.

وقال [ابن المعتز]: «وقال في الغزل، - ويقصد أبا تمام - فلعن الله من واصله من الأحباب على هذا وأمثاله:

وَمَــنْ قــدْ شــفَّني فــصبرْتُ حتَّــى ظَنَنْــتُ بــأنَّ نفْــسي نفْــسُ كلْــب»[2]

ابن المعتز ينكر على أبي تمام إقامة علاقة مماثلة بين نفسه ونفس الكلب لأن في هذه العلاقة تحقيراً لنفسه.

وقال [ابن المعتز]: «وقال - ويقصد أبا تمام -:

جَحَدْتَ الهْوى أَنْ كنْت مُذْ جَعَلَ الهْـوى محاسَ شُمسْي نظرتُ إلى الشـَّمس[3]

أبو تمام ينكر الهوى منذ أن غدت محاسن المحبوب شمساً ينظر إليها ولا مجال لهذا الإنكار.

---

(١) الموشح، ص ٣٨.

(٢) المرزباني، الموشح، ص ٤٨٨.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٤٨٩.

وقال [ابن المعتز]: «وقال - ويقصد أبا تمام -:

كيف يصدُّ الدَّمع عَنْ جَرْيه   من عَينه من جَرْيهِ مُنْخُلُ[1]

لا يستطيع أن يمنع الدمع عن الجريان من غدت عينه منخلاً لا يحبس الماء، ولعل ما أنكر عليه استعارته المنخل للعين.

وقال [ابن المعتز]: «وقال - ويقصد أبا تمام -:

ليالينا بالرَّقْمَتيْن وأرضها   سقى العهدَ منك العهدُ والعهدُ والعهدُ»[2]

ولعل ما أنكر على أبي تمام هنا هو الإيغال وراء التجنيس حتى انتهى إلى الإبهام وهو ناجم عن المعاني المتعددة التي يأخذها لفظ العهد.

وقال قدامة بن جعفر: «من الكلام المستثقل في الغزل قول عبد الرحمن بن عبد الله القس:

إنْ تَنْأَ دارُكِ لا أَمَلُّ تَذَكُّراً   وَعَلَيْكِ مِنّي رَحْمَةٌ وسَلاَمُ

ومن المستحسن قول هذا الشاعر أيضاً:

سَلاَّمَ ليت لساناً تنطِقين به   قَبْلَ الّذي نالني مِنْ صوتهِ قُطِعا

فما رأيت أغلظ ممَّن يدعو على معشوقة أجادت في غنائها بقَطْعِ لسانها لأن المذهب في الغزل إنما هو الرقة واللطافة، والشكل والدماثة، واستعمال الألفاظ اللطيفة المستعذبة المقبولة غير المستكرهة، فإذا كانت جاسية مستوخمة كان ذلك عيباً»[3].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٨٩.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ٣٥١ و٣٥٢. وقدامة، نقد الشعر، ص ١٩١.

ولعل الاستثقال - في قول عبد الرحمن - ينجم هنا من نسبة الرحمة إلى نفسه لا إلى الله في دعائه للمعشوقة بالرحمة، ومثل هذا القول لا يليق بالغزل لأنه لا يجذب المرأة إلى قائله.

أما في قول الآخر فالمعيار عدم ائتلاف المعنى مع الغزل، فالدعاء على معشوقة أجادت في غنائها إجادة تخلب لب العاشق إنما هو كلام خشن من حيث المدلول في حين أن الغزل يقتضي الرقة واللطافة في مخاطبة المعشوق. ولفظ (القطع) الذي استخدمه الشاعر إنما هو لفظ خشن مستكره، جاس صلب في حين أن الغزل يقتضي الألفاظ اللطيفة التي تقع من السمع موقعاً عذباً مستحباً.

«وبلغني - والقول لقدامة بن جعفر - أن أبا السائب المخزومي لما أنشد قول إسحاق الأعرج مولى عبد العزيز بن مروان، وهو:

فلـــمّا بَـــدَا ليَ مـــا رَابَنـــي نَزَعْـــتُ نـــزوعَ الأبِيِّ الكـــريم

قال: قبَّحه الله، والله ما أحبَّها ساعةً قط.

ومثله لنابغة بن تغلب - واسمه الحارث بن غزوان(١) - أحد بني زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب:

هَجَـرْتُ أمامـةَ هجْـراً طـويلا وما كـان هجْـرُك إلاَّ جميلا

علـى غـير بُغْـضٍ ولا عـن قِـلىً(٢) وإلاّ حيـاءً وإلاَّ ذُهـولا

بَخِلنـا لبخلـكِ قـد تعلمـين فكيـف يلـومُ البخيـلُ البخيلا»(٣)

---

(١) انظر: قدامة، نقد الشعر، ص ١٩٠. «واسمه الحارث بن عدوان».

(٢) قلى الشيء: أبغضه وكرهه غاية الكره.

(٣) المزرباني، الموشح، ص ٣٥٢ و٣٥٣، وقدامة، نقد الشعر، ص ١٩٠ و١٩١ وورد الشطر في قدامة: «ولكن بخلنا لبخلك عمداً».

وفي رواية المرزباني وفي سند يرجع إلى أحمد بن عبيد الله، قال: "مما أنكر على أبي العتاهية قوله لما ترفّق في نسيبه بعُتْبَة:

إني أعــوذُ مــن التــي شَــغفَتْ ... مِنِّــي الفــؤادَ بآيــةِ الكــرسي

وآيةُ الكرسي يهربُ منها الشياطين ويحترس بها من الغيلان، كما روي عن ابن مسعود في ذلك.

قال: وأبو العتاهية مع رقة طبعه، وقرب متناوله وسهولة نظم المنثور عليه، وسرعته إلى ما يُعجزُ المتأنِّي بلوغه - لا يخلو من الخطأ الفاحش والقول السخيف[١].

فقول السائب المخزومي لا يوافق الغزل لأنه يعبر عن إباء العاشق لا تذلّلــه.

ومعنى قول الحارث لا يليق بالغرض: الغزل الذي لا يقتضي أن يكون هجر المحبوبة شيئاً جميلاً، وأن يتساوى الشاعر ومحبوبته في البخل.

أما قول أبي العتاهية فلم يأتلف المعنى مع الغزل: فاستعارة أبي العتاهية آية الكرسي للتعبير عن كلامها المهدئ غير مستحب لأن آية الكرسي تقرأ عادة للاحتراس من الشياطين والغيلان.

وأبو عبيد الله المرزباني قال: «ومما أنكر على أبي العتاهية من سفاسف[٢] شعره قوله في عتبة:

ولَّهَنــــي حُبُّهـــــا وصَـــــيَّرَني ... مثلَ جُحَى شَـهْرَةً وَمـشخلَبَة[٣][٤]

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٠١.

(٢) السفاسف من الشعر: الرديء.

(٣) في اللسان: مشخلبة كلمة عراقية. وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي. وتسمى الجارية مشخلبة بما يرى عليها من الخرز كالحلي.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٤٠١.

هذا الشعر رديء لأنه لا يحقق معيار الائتلاف إذ غدا الحب فيه سلبي الأثر، كما يشتمل على ألفاظ لا تليق بالشعر.

«وأنكر على [النابغة] الجعدي قوله:

وما رابَها من ريْبَة غير أنّها رأت لِمَّتي شابت وشاب لِدَانيا

فأيّ ريبة أعظم من أن رأته قد شاب!»[١]

ذكر الشيب لا يليق بالغزل لأنه لا يجذب المرأة إلى قائله، ومن حق النقاد أن ينكروا عليه ما ذكره من الشيب، ويؤيدوا ارتياب تلك المرأة.

وإذا انتقلنا إلى ميدان الغزل الصريح، فإننا نجد النقاد قد عابوا على الشعراء ذكر المعاني الفاحشة في أشعارهم:

فقد نقل المرزباني عن مؤدبه أبي سعيد قوله: «عيب على امرئ القيس فجوره وعهره في شعره، كقوله:

ومثلك حُبلَى قد طَرقتُ ومرضِعٍ فألهيتها عن ذي تمائمَ مُحْول[٢]

إذا ما بكى منْ خَلْفها انصرَفتْ له بشِقٍّ وتَحْتي شِقّها[٣] **لم يُحوَّل**

وقالوا هذا المعنى فاحش»[٤].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٠١، وعيار الشعر، ص ١٣١.

(٢) في الديوان:

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذي تمائم مُغيلِ

ديوان امرئ القيس، ص١٢، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم ط/٣/ دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

(٣) في الديوان:

إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشقٍّ وشقٍّ عندنا لم يحوَّلِ

المصدر نفسه، ص ١٤.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٤١.

وقال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى: «قالوا: كيف قصد للحبلى والمرضع دون البكر وهو ملك وابن ملوك؟ ما فعل هذا إلاَّ لنقص همته[1].

والمعيار هنا: مخالفة القيم الأخلاقية السائدة، والرأي النقدي الذي قدّمه محمد بن يحيى ظلّ للتفكير الطبقي.

وروى المرزباني خبراً يرجع إلى محمد بن سلام، قال: «كان من الشعراء من يتألَّه في جاهليته، ويتعفّف في شعره، ولا يستبهر بالفواحش، ولا يتهكّم في الهجاء. ومنهم من يَتْعهر وَّلا يبقُي على نفسه ولا يتستر ّ ه منهم امرؤ القيس، قال:

ومثلـــــك حـــــبلى ....

وقال:

دخلــتُ وقــد ألقــتْ لنــوم ثيابهــا   لــدى الــسِّتْرِ إلاّ لِبْسَةَ المتفـضِّل[2][3]

وقال:

سَــموتُ إليهــا بعْــد مــا نــام أهلُهــا   سمُوَّ حَبابِ الماء حــالاً عــلى حــال[4]

ومنهم الأعشى قال:

فَظَلَلْــتُ أرْعاهــا وَظَــلَّ يحوطُهــا   حتّــى دنــوتُ إذا الظّــلامُ دنــا لهــا

وقال:

وأقــرْرتُ عيْنــي مِــنَ الْغانيــا   ت إمّـــا نكاحـــاً وإمّـــا أُزَنْ

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٢.

(٢) في الديوان: /فجئت وقد نَضَت لنومٍ ثيابها/ ديوان امرئ القيس، ص ١٤، تح: محمد أبو الفضل - ط/٣/ دار المعارف بمصر ١٩٦٩.

(٣) نضت: نزعت. واللبسة: هيئة اللباس.

(٤ سموت إليها: نهضت إليها شيئاً بعد شيء، حالاً على حال: شيئاً بعد شيء.

وقال:

وَقَــدْ أُخْــرِجُ الْكاعــبَ المُــسْتَرا ... ةَ مِــنْ خِــدْرها وأُشِــيْعُ الْقِــمار[1]

وقال:

وقــد أخــالسُ ربَّ الْبيــت غفْلَتَــهُ ... وَقَــدْ يُحَــاذِرُ منِّــي ثــمَّ مــا يَئِــلُ[2]

وكان الفرزدق أقْوَل أهل الإسلام في هذا الفن، قال:

همــا دَلَّتــاني مِــنْ ثمانــين قامــةً ... انقـض ً بـازٍ أَقْـتمُ الـرّيشِ كـاسرُهْ

فلمّا استوتْ رِجلاَي في الأرض نادتَـا ... أحيّــاً يرَجَّــى أم قتــيلاً نحــاذرُه

فقلت ارفعوا الأسباب لا يفطنـوا بنـا ... ووَلَّيــتُ في أعجــاز ليــلٍ أبــادرُه

وأصبحت في القوم الجلوسِ وأَصبحت ... مُغَلَّقــةً دوني عليهــا دســاكره[3]»[4]

والمعيار هنا: لا يختلف عن سابقه - مخالفة القيم الأخلاقية السائدة.

ويتفرد عمر بن أبي ربيعة في غزله، ففي رواية المرزباني، وفي سند يرجع إلى ابن أبي عتيق، «قال لعمر بن أبي ربيعة في قوله:

بيـــنما يَنْعَتْننـــي أَبْـــصَرْنني ... دونَ قِيــدِ الميــل يَعْــدو بي الأَغَــرْ

قالــت أتعــرفن الفتــى قلــنَ نعــم ... قــد عرفنــاه وهــل يخفــى الْقمــر

(١ المستراة: العفيفة.

(٢ وأل ووءال: طلب النجاة.

(٣) الدسكرة: بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي، أو بناء كالقصر حوله بيوت.

(٤) الموشح، ص ١٧٩ و١٨٠ و١٨١. ويورد - كذلك - أبياتاً فاحشة للفرزدق. وطبقات فحول الشعراء، الجزء الأول، ص ٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤.

أنت لم تنسب بها، وإنما نسبْتَ بنفسك، إنما كان ينبغي أن تقول: قلت لها، فقالت لي، فوضعتُ خدي فوطِئت عليه»[١].

والمفضل بن سلمة يضع من شعر عمر في الغزل، ويقول: «إنه لم يرِقّ كما رقّ الشعراء؛ لأنه ما شكا قط من حبيب هجراً، ولا تألَّمَ لصدّ؛ وأكثر أوصافه لنفسه وتشبيهه بها، وأن أحبابَه يجدون به أكثر مما يجد بهم، ويتحسرون عليه أكثر مما يتحسر عليهم[٢].

ويعلق الدكتور عبد العزيز عتيق: «فاتجاه الغزل الطبيعي في نظر ابن أبي عتيق ـ على ما يبدو ـ هو ما ظهرت المرأة فيه في صورة من تتمنع وتتأبى والرجل في صورة من يتودَّد إليها ويتذلل»[٣].

وابن سلمة يؤكد مفهوم الرقة في الغزل، الذي يرتبط بفكرة الشكوى من الهجر، والألم لوقوع الصد.

ونحن نقول: إن الطبيعة النرجسية عند عمر بن أبي ربيعة هي التي أدت به إلى حب نفسه والتغزل بها، ونسيان المرأة التي يتغزل بها.

الوصف:

في وصف الاستسقاء، وفي رواية المرزباني في سند يرجع إلى الأصمعي، قال: قال الحكم الخضري لابن ميادة: أولست القائل:

---

(١) الموشح، ص ٣٢٠. والأغاني، الجزء الأول ص ١١٨ و١١٩. وفي الأغاني بعد البيت الأول:

قالت الكبرى أتعرفن الفتى　　　قالت الوسطى نعم هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها　　　قد عرفناه وهي يخفى القمر

(٢) الموشح، ص ٣٢٠ و٣٢١.

(٣) عتيق (عبد العزيز) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص ١٣٤، دار النهضة، بيروت، ط٤ تا ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.

فــلا بــرح المـمــدورُ رَيَّــان نــاعما   وجيــدَ أعــالي صــدْرِهِ وأســافلُهْ[1]

ويروى: «شِعْبُهُ وأسافله» فاستسقيت لأعاليه وأسافله وتركت وسطه، وهو خير موضع فيه لم تستسق له»[2].

فالمعنى يفتقر إلى الإصابة والدقة أهمل فيها الحديث عن جزء من الموصوف هو أجدر أجزائه بالوصف، وإذاً هو لم يستوعب أكثر هيئات الموصوف.

وفي وصف الفرس، روى المرزباني في سند يرجع إلى رفاعة الطَّهَوَي، قال: «وقف ذو الرّمة على مجلس لبني طُهيّة فأنشدهم:

ـبِرٍ رمـتَّـىَ روض ُ الْقِـذَافين مِتْنَــه   بــأَعْرَفَ يَنْبُــو بــالحَنِيَّيْنِ تامــكِ[3][4]

فقال له حبتر بن ضباب: أسمنت فابتعث، أي ليس هذا مما توصف به النجائب، لأن الرحلة تُعجلها عن السمن»[5].

المعيار: مخالفة الصدق الواقعي، فهو لم يحاك الواقع كما هو.

الرثاء:

لقد استنكر النقاد ضعف معاني الرثاء عند بعض الشعراء.

---

(١) المدور: مدرت الحوض: أصلحته بالمدر، وهو الطين المتماسك لئلا يخرج منه الماء. والعرب تسمي القربة بالطين واللبن المدرة، وكذلك المدينة الضخمة يقال لها المدرة.

(٢) الموشح، ص ٣٥٨.

(٣) ضبر: وثاب.

(٤) روض القذافين: موضع في شق حزوي: بأعرف: بسنام عال. ينبو: يرفع. الحنين: أراد جنبي الرحل. تامك: مشرف عال.

(٥) الموشح: ص ٢٨٤.

ففي رواية المرزباني في سند يرجع إلى أحمد بن إسماعيل، قال: «ماتت أم سليمان بن وهب، فجاءه أبو أيوب بن أخت أبي الوزير فعزاه، وقال: لا بدّ من أن تسمع مرثيتي لها رحمها الله تعالى، قال: هات، أعزك الله! فأنشده:

لأُمِّ سُـــليم نعْمـــةٌ مـــسْتفادةٌ ... علينـــا كـــسلِّ المُرْهفـــات الْبـــواترِ

عـــرانيَ هـــمٌ آخـــذٌ بالحنـــاجر ... لأمّ سُـليم مـــنْ كـــرام العنـــاصرِ

وكنـــتِ سراجَ الْبيـــت يـــا أمَّ ســـالم ... فـــسار سراجُ البيـــت وَسْـــط المْقـــابرِ

فأقبل سليمان بن وهب على الناس، فقال: ما امتحن أحد بمثل محنتي، ماتت أمي، وهي أعز الناس علي، ورثيت بمثل هذا الشعر، وكنيت بُكنْيتينْ لا نعرفُ واحدة منهما، وجعلتُ أنا مرَّةً سُليماً - مُصغّراً ومرةً سالماً، وتُرك اسمي الذي سمَّاني به أبواي، فمن مُحن بمثل محنتي!»(١)

المعيار النقدي: عدم ملاءمة المعنى للغرض وهو الرثاء، وما أنكر على الشاعر هنا: تكنية المرثية بكنية غير كنيتها.

وفي رواية المرزباني في سند يرجع إلى علي بن أبي المنذر العروضي، وموجز الرواية: أن الفضل بن الربيع أخرج إلى أبي علي بن أبي المنذر العروضي رقعة فقال: «اقرأ مرثية أبي العتاهية لسعيد بن وهب. فإذا فيها:

مـــات واللهِ سَـــعِيدُ بـــْن وهـــبِ ... رحـــمَ اللهَ ســـعيدَ بْـــنَ وهـــبِ

يـــا أبـــا عـــثمان أبكيـــتَ عَينـــي ... يـــا أبـــا عـــثمان أوجعـــت قلبـــي

فقلت: ما أدري ما أقول. فقال لي الفضل: أبو العتاهية بأن يرثى في حياته أولى من سعيد بعد موته.

---

(١) الموشح، ص ٣٥٧ و٥٣٨.

قال الصولي: وله شبه بهذا، حدثني أحمد بن يزيد، قال: حدثني الفضل اليزيدي، قال: قيل لأبي العتاهية: مات محمد بن زيد المسلمي، فقال:

قـــد مـــاتَ خِـــلِّي وأُنْـــسِي   مُحمَّـــــدُ بـــــن يَزيـــــدِ
مـــــا المـــــوتُ والله مِنَّـــــا   خِلافَـــــــهُ ببَعيـــــــدِ

قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وقول أبي العتاهية في مرثية عيسى بن جعفر أشبه بقوله في سعيد بن وهب مما ذكره الصولي وهو:

بكيت عيني عَـلَى عيسى بـن جعفـر   عَفا الرَّحمنُ عن عـيس بـن جعفـر[1]

وثاء أبي العتاهية كلام مبتذل ليس فيه من الشعرية شيء سوى الوزن، وأجود الرثاء ما مزج فيه مدح بتفجع وليس ههنا ذكر لما يتمتع به المرثيون من خصال حميدة.

الفخر:

لقد رفض النقاد أن يفتخر الشاعر فخراً بعيداً غير ممكن.

«ففي رواية المرزباني وفي سند يرجع إلى عمر بن شبّة، قال: للفرزدق في شعره افتخار بعيد المعنى لا وجه له، من ذلك قوله:

أنـا ابـنُ خِنْـدِفَ والحـامِي حقيقتَهـا   قد جعلوا في يَـدَيَّ الـشمْسَ والقمـرَا

ومنها:

خـــذْنَا بآفـــاقِ الـــسماءِ علـــيكُم   لنـــا قمرَاهـــا والنجـــومُ الطوالـــعُ

ومنها:

إنَّ الـسماءَ الّتـي مـن دارِمٍ خُلِقـتْ   رضْ َ كانـا لنـا عـزّاً ومُفْتخـرَا

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ٤٠٠ و٤٠١.

ومنها:

ولـو أنَّ أمَّ النَّـاسِ حـوّاءَ حاربـتْ   تمـيمَ بـن مُـرٍّ لم تَجِـدْ مـن يُجيرُهـا

فينبغي أن يكون جرير حين سئل. عن شعره فقال: كذّاب، إنما عني هذا من شعره وأشباهه».

إن ما فخر به الفرزدق لا يمكن أن يكون، وهو بالتالي يخالف الصدق الواقعي لأنه لا يمكن لأحد من الناس أن يجعلوا الشمس والقمر في يديه أو أن يكون له القمر والشمس والنجوم...

وفي العيوب التي نوه إليها النقاد، ولها صلة بالأغراض الشعرية، خرج الغرض من معناه المراد له إلى ضدهن فهذا الأخطل أراد أن يهجو فمدح:

ففي رواية المرزباني، في سند يرجع إلى أبي عمرو بن العلاء، قال: قال الأخطل لشقيق بن ثور - قال عمر بن شبة: ويقال قاله لسويد بن منجوف:

وما جذْعُ سَوْءٍ خَرَّقَ السوس جوفَـهُ   لِمَـــا حَمَّلَتْـــه وائـــلٌ بمطيـــق

فقال شقيق: أبا مالك أردت هجائي فمدحتي، والله ما تحمّلني ذُهل أَمْرها وقد حمَّلتني أنت أَمْرَ وائل طرّاً. فغلبه»[1].

وفي رواية ثانية في سند يرجع إلى عمر بن شبة، أن سويداً قال له: «يا أبا مالك، لا والله ما تحسن تهجو ولا تحسن تمدح، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً، وتريد المديح فيكون هجاء، قلت لي وأنت تريد هجائي: لما حملته وائل بمطيق، فجعلت وائل حملتني أمورها، وما طمعت في ذلك من بني ثعلبة فضلاً عن بكر بن وائل، ومدحت في نفسك سماك بن عمير أخا بني أسد، وأردت أن تنفي عنه شيئاً فحققته عليه حين تقول:

---

(١) الموشح، ص ٢١٣ و٢١٤.

نِعـم المجـيرُ سِـمَاكٌ مـن بنـي أسـد ... بـالمْرْج إذ حَملـتْ جيرانَهـا مـضرُ

وذكر الأبيات»[1].

ورواية سماك هي: «كان الأخطل مع مهارته وشعره يُسقط: كان مدح سماكاً الأسدي، وهو سماك المالكي بن عمير بن عمر بن أسد، وبنو عمير يلقبون القيون، ومسجد سماك بالكوفة معروف، وكان من أهلها، فخرج أيام علي عليه السلام هارباً حتى لحق بالجزيرة، فمدحه الأخطل فقال:

نعـمَ المجـيرُ سـماكٌ مـن بنـي أسـد ... بـالمرجِ إذا قتلَـتْ جيرانَهـا مُـضرُ

قـد كنـتْ أحـسِبهُ قيْنـاً وأنْبَـؤُه ... فـاليوم طـيِّرَ عـن أثوابـه الـشَّررُ

ويروى: /قد كنت أنبؤه فينا وأخبره/.

إنَّ سـماكاً بنـى مَجْـداً لأسرتـه ... حتـى المـماتِ وفعـلُ الخـير يُبْتَـدِرُ

فقال سماك: يا أخطل، أردت مدحي فهجوتني، كان الناس يقولون قولاً فحققته.

- وفي الرواية نفسها - قال سويد: يا أبا مالك، تحسن أن تهجو، ولا أن تمدح، لقد أردت مدح الأسدي فهجوته... كان الناس يقولون قينا فحققها...»[2].

فالأخطل أراد أن يهجو شقيق بن نور أو سويد بن منجوف كما تقول بعض الروايات ولكنه خرج بهجائه إلى المديح عندما حمله أمر وائل. وكذلك فقد أخطأ عندما مدح سماك الأسدي لأنه حقق ما كان يقوله الناس عنه، (القين): العبد والحداد وكل صانع. وهو بذلك يخرج عن الغرض المراد إلى ضده.

---

(١) الموشح، ص ٢١٦.

(٢) الموشح، ص ٢١٣ و٢١٤.

وفي رواية المرزباني في سند يرجع إلى محمد بن سلام، قال: "قال سلَمُ بن قتيبة: يا بنيَّ اروِوا ما هجانا به الفرزدق، ولا ترووا ما مدحنا به جرير. يريد قول الفرزدق:

أتــاك ورحْــلي بالْمدينــةِ وقْعــةٌ لآل تمــيم أقْعــدتْ كــلَّ قــائم

وقول جرير:

أباهِـلَ مـا أحببـتُ قتْـلَ ابـن مُـسْلمٍ ولا أن ترُوعــوا قــومكَكم بالمظــالم
أباهِــلَ قــد أوفيــتمُ مِــنْ دمــائكم غداةَ قتلتُم رَهْطَ قيسِ بن عاصـم»[١]

فالفرزدق أراد أن يهجو تميم، ولكنه رفع من شأنها عندما أعطاها القوة بالانتصار على كل من يحاول أن يرفع رأسه من القبائل الأخرى. وجرير صور ممدوحه بأنه ذليل لا يستطيع حماية نفسه من قبيلة باهلة، ونصر باهلة لقتلها جماعة من أهل الممدوح. وهما بذلك خرجا عن الغرض المراد إلى ضده.

قال المرزباني: قال محمد بن داود: أنشد أبو تمام المغيث الرافقي شعراً له يقول فيه:

وكــن كــريماً تجــدْ كــريماً تحظــى بــه يــا أبــا الْمغيــث

فقال له يوسف بن المغيرة القشيري، وكان شاعراً عالماً: قد هجاك! إنما قال لك: كن كريماً، وإنما يقال للئيم: كن كريماً»[٢].

(كن كريماً) صيغة توحي بأن الشاعر يحسن في أعماقه بأن ممدوحه لم يكن كريماً، ويرى القشيري أنها صيغة يخاطب بها اللئيم، وبذلك فقد خرج الشاعر عن الغرض المراد.

---

(١) الموشح، ص ١٩١ و١٩٢.

(٢) الموشح، ص ٥٠٤.

عيوب المعاني:

عوّل المرزباني في معالجة هذه العيوب على قدامة بن جعفر:

قال [قدامة]:

«ومن عيوب الشعر فساد القسم[1]، وذلك يكون إما أن يكررها الشاعر أو يأتي بقسمين أحدُهما داخل تحت الآخر في الوقت الحاضر، أو يجوز أن يدخل أحدُهما تحت الآخر في المستأنف، أو أن يدع بعضها فلا يأتي به.

فأما التكرير فمثل قول هُدَيل الأشجعي:

فـما برحـتْ تُـومِي إليـه بطرْفهـا   ومُض   أحيانـاً إذا خَـصْمُها غَفَـلْ

لأنَّ (تومض وتومي بطرفها) متساويان في المعنى.

وأما دخول أحد القسمين في الآخر فمثل قول أحدهم:

أبـادِرُ إهـلاكَ مُـسْتَهْلكٍ   لمـالي أو عَبَـثَ العابـثِ

فعبثُ العابث دخل في إهلاك مستهلك.

ومثل قول أمية بن أبي الصلت الثقفي:

لله نِعْمتُنَـا تبـاركَ رَبُّنـا   ربُّ الأنـام ورَبُّ مَـنْ يتأَبَّـدُ

فليس يجوز أن يكون أمية أراد بقوله من يتأبد الوحش؛ وذلك أن «مَنْ» لا يقع على الحيوان غير الناطق، وعلى هذا فمن يتوحَّش داخل في الأنام أيضاً.

وأما أن يكون القسمان مما يجوز دخولُ أحدهما في الآخر مثل قول أبي عدي القرشي:

غـير مـا أنْ أكـونَ نلْـتُ نـوالاً   مِـنْ نَـداها عفـواً ولا مَهْنِيَّـا

---

(١) في نقد الشعر: الأقسام، ص ١٩٢.

فالعفو قد يكون مهنيًّا. والمهنيُّ قد يجوز أن يكون عفواً.

ومن ذلك قول عبد الله بن سُلَيم الغامدي:

هبطت غُيثاً مَّا تفزعَّ وحشُه ... مِنْ بَيْنِ سِرْبٍ ناوٍ وكنُوس

ناوي: سمين؛ يقال: نوا أي سمن. والسمين يجوز أن يكون كانساً أو راتعاً، والكانس يجوز أن يكون سجيناً أو هزيلاً.

وأما القِسُم التي يترك بعضها مما لا يحتمل الواجب تركه، فمثل قول جرير في بني حنيفة:

صَارَتْ حنيفةُ أثلاثاً فثُلْثُهم ... من العبيد وثُلْثٌ من مَوَالِيهَا

وبلغني أنَّ هذا الرجل أنشد في مجلس، ورجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال: من الثلث الملغى»[١].

«ومن عيوب المعاني فساد المقابلات، وهو أن يضع الشاعر معنى يريد أن يقابله بآخر، إما على وجه الموافقة أو المخالفة، فيكون أحد المعنيين لا يخالف الآخر» ويوافقه، مثال ذلك قول أبي عدي القرشي:

يا بن خَيْرِ الأخيار من عبْدِ شمسٍ ... أَنْتَ زَينُ الدُّنيا وغَيْثُ الجنودِ

فليس قوله: «غيث الجنود» موافقاً: «زين الدنيا» ولا مضادّاً وذلك عيب»[٢].

«ومن عيوب الشعر» فساد التفسير «مثل قول بعض المحدثين:

فيا أَيّها الحَيْرَانُ في ظُلَم الدُّجى ... ومَنْ خاف أن يلقاهُ بَغْيٌ من العِدَى

تعال إليه تَلْق مِنْ نُور وجههِ ... ضياءً ومن كفَّيه بَحْراً من النَّدى

---

(١) الموشح، ص ١٢٤ و١٢٥ و١٢٦. ونقد الشعر ص ١٩٢ و١٩٣.

(٢) الموشح، ص ١٣٦ ونقد الشعر ١٩٣ و١٩٤. وانظر في العيب نفسه قولاً لآخر. الموشح ص ١٢٦. ونقد الشعر ١٩٤.

والعيب في هذين البيتين أنَّ هذا الشاعر لما قدَّم في البيت الأول الظُّلَم وبَغْيَ العدى كان الجيد أن يفسر هذين المعنيين في البيت الثاني بما يليق بهما فأتى بإزاء الإظلام بالضياء، وذلك صواب، وكان يجب أن يأتي بإزاء بغي العدى بالنصرة أو بالعصمة أو بالوزر، أو بما جانس ذلك مما يحتمي به الإنسان من أعدائه؛ فلم يأتِ بذلك وجعل مكانه ذِكْر الندى، ولو كان ذِكْر الندى في البيت الأول الفقر أو العُدْم لكان ما أتى به صواباً»[1].

قال [قدامة]:

«ومما جاء في الشعر من المتناقض على طريقة القِنْيةِ والعدم قولُ ابن نوفل:

إعلاجَ ثمانيةٍ وشيخٍ   ير السِن ذيّ بصَر ضرٍ يرِ

فلفظة ضرير إنما تستعمل - وهي تصريف فَعِيل من الضرِّ - في الأكثر للذي لا بصر له، فقول هذا الشاعر في هذا الشيخ إنه ذو بصر وإنه ضرير تناقض من جهة القنية والعدم، وذلك أنه كأنه يقول: إن له بصراً ولا بصر له، فهو بصير أعمى»[2].

قال [قدامة] ومما جاء في الشعر من المتناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن القس:

وإنّي إذا ما الموتُ حلَّ بنفسها   يُزال بنَفسي قبلَ ذاكَ فأُقبرُ

فقد جمع بين قبل وبعد، وهما من المضاف، لأنه لا قبل إلا لبعد ولا بعد إلا لقبل، حيث قال: إنه إذا وقع الموت بها - وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به - وجوابه هو قوله: يُزال بنفسي قبل ذاك. وهذا شبيه

---

(١) الموشح، ص ٣٦٧ و٣٦٨. ونقد الشعر، ص ١٩٤ و١٩٥.

(٢) الموشح، ص ٣٦٨. ونقد الشعر ١٩٨ و١٩٩.

بقول قائل لو قال: إذا انكسر الكوز انكسرت الجرة قبله، فجعل هذا الشاعر ما هو قبل[1] بعداً[2]

قال [قدامة]:

«ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الإيجاب والسلب قول عبد الرحمن القس:

أرى هَجْرَها والقَتْلَ مِثْلَين فاقْصرُوا ملامَكُم فالْقتلُ أَعْفَى وأَيْسَرُ

فأوجب هذا الشاعر للهَجْر والقتل أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: إنَّ القتل أعفى وأيسر؛ فكأنه قال: إنَّ القتل مثل الهجر وليس هو مثله»[3].

وقال قدامة بن جعفر:

«الفرق بين الممتنع والمتناقض أنَّ المتناقض لا يكون ولا يمكن تصوّره في الوَهْم، والممتنع لا يكون ويجوز أن يُتَصَوَّرَ في الوهم. ومما جاء في الشعر وقد وضع الممتنع فيما يجوز وقوعه. قول أبي نواس:

ـا أمين اللهِ عِش أبداً دُمْ على الأيام والزَّمنِ

. فليس يخلو هذا الشاعر من أن يكون تفاءل لهذا الممدوح بقوله:

«عش أبداً» أو دعا له، وكلا الأمرين بما لا يجوز مستقبح. ولعلّ معترضاً يعترض هذا القول بأن يجعل هذا القول غُلوّاً يلزمنا تجويزه كما أَصّلنا تجويز الغلوّ

---

(١) في نقد الشعر: ومنزلة هذا التناقض عندي فوق منزلة جميع المتقابلين في الشناعة، لأن هذا الشاعر جعل ما هو قبل بَعداً.

(٢) الموشح، ص ٣٥٣. ونقد الشعر، ص ١٩٨.

(٣) الموشح، ص ٣٥٣ و٣٥٤. ونقد الشعر، ص ٢٠٠ ومثله قول أبي نواس، انظر الموشح ٢١٢. ونقد الشعر ص ٢٠١ ومثله قول زهير، الموشح، ص ٦٢. ونقد الشعر ص ٢٠١. ومثله قول يزيد بن مالك الغامدي، الموشح، ص ٣٥٤ ونقد الشعر،ص ٢٠٠ و٢٠١.

في الشعر واستجادته فالفرق بين هذا الباب وباب الغلو أن مخارج الغلو إنما هي على «يكاد» وليس في قول أبي نواس: «عش أبداً» موضع يحسن فيه، يكاد «لأنه لا يحسن على مذهب الدعاء أن يقال: يا أمين الله تكاد تعيش أبداً»[1].

قال [قدامة]: ومن التناقض قول أبي نواس أيضاً يصف الخمر:

كـأنَّ بقايـا مـا عَفـا مِـنْ حَبابِهـا ... تفـاريقُ شَـيب في سـوادِ عِـذار[2]

فشبه حباب الكأس بالشيب، وذلك جائز لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره. ثم قال:

تَـردَّتْ بـهِ ثُـمَّ انْفَـرى عَـنْ أدِيمهـا ... تفـرِّي ليـلٍ عَـنْ بيـاضِ نهـارِ[3]

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العِذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار؛ وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهةٍ من العُذْر؛ لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكلّ واحد منهما في غاية البُعد عن الآخر، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض إلا كما يوصف الأدكن في الألوان بالقياس إلى كل واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما، فيقال: إنه عند الأبيض أسود وعند الأسود أبيض، وليس فيما قاله أبو نواس حالٌ توجب انصرافَ ما قاله إلى هذه الجهة[4].

وبينما المرزباني يتوقف هنا في إظهار العيب، ولم يتمم نقله. نرى قدامة يتابع معالجته للبيت، إذ يقول: «ولعل قوماً يحتجون لأبي نواس بأن يقولوا إنَّ قوله:

---

(١) الموشح، ص ٤١٠ و٤١١. ونقد الشعر، ٢٠١ و٢٠٢.

(٢) عفا: محا. الحباب الفقاقيع التي تعلو الماء والخمر. العذار: الشعر الذي يحاذي الأذن.

(٣) تردت به: اتخذته وراءً. تفرى: تشقق. أديمها: جلدها.

(٤) الموشح، ص ٤١١ و٤١٢. ونقد الشعر، ص ١٩٧ و١٩٨.

/تفرّيَ ليل عن بياض نهار/ لم يرد به لا أبيض ولا أسود، لكن الذي أراده إنما هو ذات التفري وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أم أبيض أم غير ذلك من الألوان، فنقول من يحتج بهذه الحجة تبطل من جهات:

إحداها أن الرجل قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله عن بياض نهار.

والثاني تشبيهه الحباب لا يشبه الشيب من جهة من الجهات غير البياض.

والثالثة أن الليل والنهار ليس هما غير الظلمة والضياء فيظن بالجاهل لهما في وصف من الأوصاف أنه أراد شيئاً آخر، فإن القائل مثلاً في شيء قد يتبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين.

وقد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين:

أحدهما[1] أن يظن أنه أراد تبريء الأسود من الأبيض لأن في الشعرة والعجين جسماً يجوز أن يتبرأ من جسم وسواداً وبياضاً، فأما الليل والنهار فليس هما غير سواد وبياض فقط، فأما جسم يتبرأ من جسم فلا»[2].

قال قدامة بن جعفر: «من عيوب معاني الشعر» مخالفة العُرْفِ والإتيان بما ليس في العادة والطبع، مثل قول المَرَّار:

وخَالٍ على خدَّيك يَبْدُو كأنهُ ... سَنَا الْبَدْرِ في دَعْجَاءَ بادٍ دُجونها[3]

فالمتعارفُ المعلوم أنَّ الخيلان سواد أو ما قاربها في ذلك، والخدود الحسان إنما هي البيض، وبذلك تُنْعت، فأتى هذا الشاعر بقلب المعنى:

---

(١) الوجه الثاني ساقط من الأصل. الهامش.

(٢) قدامة، نقد الشعر، ص ١٩٧ و١٩٨.

(٣) الدعجاء: هي ليلة ثمانية وعشرين. الدجن: المطر الكثير.

ومن هذا الجنس قول الحكم الخُضْرِي:

كانَــــتْ بنـــو غالـــب لأمتَّهـــا ... كالغيــث في كــلِّ ســاعة يكِـفُ[1]

فليس في المعهود أن يكون الغيث واكفاً في كل ساعة»[2].

قال [قدامة]: «ومن عيوب المعاني أيضاً أن يُنْسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان:

فــإنْ صُــورَةٌ راقتْــكَ فــاخبُرْ فــربَّما ... أمــرَّ مــذاقُ الْعــود والْعــودُ أخْـضرُ

فهذا الشاعر بقوله «أمر مذاق العود والعود أخضر» كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذباً أو غير مُر، وهذا ليس بواجب؛ لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر»[3].

والصدق والكذب من مقاييس المعنى. والصدق في الشعر صدقان كما عبر عنه الدكتور أسعد علي: صدق يطابق الشاعر فيه وقائع العالم الخارجي فيكون مصيباً، وصدق يطابق وقائع الحالة النفسية التي يحياها، وذلك الصدق الفني[4].

وقد أورد المرزباني روايات متعددة تتخذ من هذا المقياس بعداً نقدياً تُقوَّم بعض الأشعار من خلاله:

فسعيد بن حسان المخزومي، قال: سمعت عبد الملك بن عمير يحدّث أن لبيداً الشاعر قام على أبي بكر رحمه الله فقال:

ألا كـــلُّ شيءٍ مـــا خـــلا اللهُ باطـــلِ

---

(١) يكف: يقطر.

(٢) الموشح، ص ٣٦٢. ونقد الشعر، ص ٢٠٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٦٢ و٣٦٣.ونقد الشعر، ص ٢٠٣.

(٤) علي (أسعد)، السبر الأدبي، ص ٧٣.

فقال: صدقت. قال:

وكـــــلُّ نعـــــيم لا محالـــــةَ زائـــــلُ

فقال: كذبت، عند الله نعيم لا يزول»[1].

ودعبل بن علي، قال: «أكذب الأبيات قول مهلهل بن ربيعة:

فلـولا الْـرِّيحُ أَسْـمِعْ أَهْـلَ حَجْـرٍ ... صـليلَ الْبِـيض تُقْـرَعُ بالـذّكورِ

قال: وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام، وحَجْر: هي اليمامة.

قال: ومنها قول أبي الطمحان القيني:

أضـاءَتْ لهُـمْ أَحْـسابُهُمْ ووجـوهُهُمْ ... دُجى اللّيـل حتَّـى نظَّـم الجـزْعَ ثاقبـهْ[2]»[3]

والمرزباني ينكر على لسان قوم من أهل العلم البيتين السابقين ويضيف إليهما، «قول النمر بن تولب:

تظــلُّ تَحْفِـرُ عنــهُ إنْ ضربْــتَ بــه ... بَعْدَ الذِّراعينِ والسّاقين والْهـادي»[4]

وابن قتيبة يقول في البيت: «ذكر أنه قطع ذلك كله ثم رسب في الأرض، حتى احتاج إلى أن يُحْفَر عنه! وهذا من الإفراط والكذب»[5].

وكذلك قول أبي نواس:

«وأخفْـتَ أَهْـلَ الـشّرك حتَّـى إِنّـهُ ... لتَهابُــكَ لنطُّــف ُ الّتــي لم تُخْلَــقِ

(١ المرزباني، الموشح، ص ١٠٠ و١٠١.

(٢) دجا الليل: أظلم. الجزعة: طائفة من الليل ما دون النصف من أوله أو من آخره. والثقب: الخرق النافذ.

(٣) المرزباني، الموشح، ص ١٠٦ و١١٣ و١١٤ و٣٨١.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ١١٣.

(٥) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ص ٢٢٨.

وكذلك قول الأعشى:

لـــو أســـندتْ ميْتـــاً إلى نحْرهـــا   عـــاش ولم ينقـــل إلى قـــابرِ»[1]

وفي رواية المرزباني عن محمد بن أحمد العلوي، قال: من الأبيات التي أغرق قائلوها! ويذكر بيتي أبي نواس وأبي الطمحان القيني ويضيف إليهما أبياتاً: للنابغة الجعدي والطرماح وزهير وامرئ القيس وقيس بن الخطيم وجرير وأبي وجزة السعدي وبكر بن النطاح[2].

وفي روايتين أخريين نصتا على الإحالة في قولين لأبي تمام[3] ويزيد المهلبي[4].

ومن الملاحظ أن المرزباني أصر على إيراد أمثلة متعددة عن ظاهرة الكذب في الشعر، ولم ينقل عن قدامة رأيه في قول النمر بن تولب ومهلهل، وإنما اتكأ على الرواية المسندة وعلى النقل عن ابن طباطبا ونعتقد أن السبب هو مخالفته لرأي قدامة الذي يذهب مذهب الغلو في الشعر حيث يقول:

«إن الغلو عندي أجود المذهبين وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: أحسن الشعر أكذبه، وكذا نرى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهب لغتهم، ومن أنكر على مهلهل والنمر بن تولب قوله المتقدم ذكره فهو مخطئ»[5].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص ١١٤. وكرر بيت أبي نواس ص ٣٨٢ و٤٠٣ و٤١٦ و٤١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٨٠ و٣٨١ و٣٨٢ و٣٨٣. وابن طباطبا، عيار الشعر، ص ٨٦ و٨٧ و٨٨.

(٣) الموشح، ص ٤٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٢٥.

(٥) نقد الشعر، ص ٩٤.

ومما يرجح رأينا نقل المرزباني عن ابن طباطبا ووصف الأخير لهذه الأبيات بأن قائليها قد أغرقوا في معانيها، وابن طباطبا نفسه ممن يميلون إلى الصدق الواقعي في القول الشعري حيث يقول «يجب على الشاعر أن يعتمد الصدق في الشعر»[١].

ولم ينحصر الخلاف عند قدامة وابن طباطبا في ظاهرة الصدق والكذب في الشعر، وإنما وقف النقاد بين مناصر للكذب أو للصدق ومنهم من وقف موقفاً وسطياً.

فالآمدي يرفض المغالاة في الشعر[٢]، وابن بسام يمقت الشعر إذا ابتعد عن الصدق الواقعي[٣] وحازم القرطاجني ينصر الصدق[٤]، بينما نجد ابن حزم[٥]، وابن وكيع[٦]، والمواعيني[٧] يأخذون برأي (أحسن الشعر أكذبه). أما الحاتمي فلم يكن منتمياً إلى أحد الفريقين بجرأة ووضوح[٨]، والمرزوقي يطرح مفهوماً جديداً (أحسن الشعراء أقصده)[٩] والجرجاني يطرح (الاحتكام إلى العقل)، وشهد به فهو اليقيني[١٠].

وخلاصة القول أنّ المرزباني لم يغفل الرؤى النقدية التي وجهت إلى الأغراض الشعرية، وهذه العيوب تقوم على عدم الائتلاف بين المعنى أو الصورة مع الغرض، أو في مخالفة الشاعر للقيم الأخلاقية السائدة أو مخالفة الصدق

---

(١) عيار الشعر، ص ٤٤.
(٢) عباس، إحسان، تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٧٠.
(٣) المرجع السابق ص ٥٠٥.
(٤) المرجع السابق ص ٥٤٨.
(٥) المرجع السابق ص ٤٨٧.
(٦) المرجع السابق ص ٢٩٩.
(٧) المرجع السابق ص ٥١٦.
(٨) المرجع السابق ص ٢٥١.
(٩) المرجع السابق ص ٤٠٩.
(١٠) المرجع السابق ص ٥٤٨.

الواقعي، أو في عدم قدرة الشاعر على استيعاب أكثر هيئات الموصوف، أو مفهوم مقتضى الحال والأسلوب الشعري كما رأينا في نقد المرزباني.

أما في نقد المعاني الشعرية فقد عوّل المرزباني على قدامة بن جعفر في هذه العيوب كما قدمنا وإن كان يميل إلى الصدق الواقعي في قضية الصدق والكذب. كما رجحنا، وهو بذلك يخالف قدامة.

وبعد أن عرضنا الاتجاهات النقدية التي حازت عليها كتب المرزباني، لا بد من استعراض آراء المحدثين في المرزباني ومؤلفاته كما سنتحدث في الفصل التالي.



الفصل السابع

آراء المحدثين في المرزباني ومؤلفاته

لقد ظهرت لمحات نقدية حول المرزباني وأعماله، ندّت عن نقاد منوعين:

فالمستشرق هيوارث، وفي مقدمة تحقيقه لكتاب الأوراق للصولي، أطلق حكماً متسرعاً، عندما قال: يكاد الموشح أنْ يكون من عمل الصولي وإنما المرزباني راوية له[1]. ومنير سلطان حاول أن ينفي هذه التهمة قائلاً: «يبدو أن هيوارث كان يجمع النصوص من مظانها فوجدها متراصة في الموشح فحكم حكمه وكأننا حين نفرغ لدراسة شخصية ما، علينا أن نهيل عليه الأكاليل وأن نخرجه من عداد البشر»[2].

ونحن أميل للدفاع عن الموشح بطريقة أخرى خارجية وداخلية: فالموشح نص عليه القدماء أنه للمرزباني[3]، هذا من جهة ومن جهة ثانية لم يكن الصولي هو المصدر الوحيد في الموشح، فالموشح يحتوي روايات متعددة أخذها المرزباني عن جماعة من أهل العلم: كإبراهيم بن محمد العطار[4]، وعلي بن هارون

---

(١) هيوارث مقدمة كتاب الأوراق للصولي صفحة ك. مطبعة الصاوي، ط(١) تاريخ ١٩٣٤.

(٢) سلطان (منير) الموشح والمزرباني، ص ٤٢٢.

(٣) معجم الأدباء، جزء: ١٨، ص ٢٧١، وغيره ممن قدمنا.

(٤) الموشح، ص: ٣١، ١٦٠، ١٨٨، ٢٠٥، ٢٤٤، ٢٢٥، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٩٢، ٤٥٣، ٥٠٢، ٥٤٨، ٥٦٠، ٥٦٤، ٣٣٥.

المنجم[1]، وإبراهيم بن شهاب[2]، وأحمد بن محمد المكي[3]، وعبد الله بن مالك النحوي[4]، وعبد الله بن جعفر[5]، وأحمد بن محمد الجوهري[6]، ويوسف بن يحيى المنجم[7]، ومحمد بن أبي الأزهر[8]، وابن دريد[9]، والعروضي[10]، وابن طباطبا[11]، وغيرهم[12].

---

(١) الموشح، ص: ٤٣، ٣٩٣، ٤٦١، ٤٦٤، ٥١٥، ٤٩٢، ٢٢٨، ٣٥٤، ٣٢٠، ٥١٠، ٥٢٧، ٥٥٨، ٥٦٨.

(٢) المصدر نفسه، ص: ٤٥، ٥٠، ٥٩، ٩٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٥٦، ١٦٨، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٣٤، ٢٥١، ٢٧٠، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص: ٤٦، ١٠٠، ٢٥٢، ٣١٧، ٤٤٣، ٥٥٧.

(٤) المصدر نفسه، ص: ٨١.

(٥) المصدر نفسه، ص: ٦٦، ٨٥، ١٠٤، ٢٨٥، ٣٠٣، ٣١٤، ١٦٥.

(٦) المصدر نفسه، ص: ٦٧، ٧٧، ١٦٩، ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٦٠، ٢٨٣، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٥٤، ٣٧٧، ٣٨٦، ٤٥٦، ٥٥٠.

(٧) الموشح، ص: ٧٤، ٢٥٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٩١، ٣٩٣، ٤٦٤، ٥٥٦، ٥٦٩، ٥٧٢، ٥٧٤، ١٧٥، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٥، ٥٧١.

(٨) الموشح: ص: ٩٤، ١٦١، ١٦٧، ١٩١، ٢٣٠، ٢٨١، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٣٤، ٣٨٠، ٣٨٣، ٥٥٢، ٣٧٦.

(٩ الموشح، ص:٤٤، ٧٣، ٥٢، ١٠٨، ٢٢٩، ٢٦٧، ٢٩٣،٣٢٧، ٣٥٠،٣٧، ٥٠، ٥٩، ٦٣، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٩، ١١٢،١١٩،١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧١، ١٩١، ٢٠٧، ٢٢٢، ٢٥٥، ٢٣٢، ٢٥٠، ٢٧٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣١٢، ٣٢٦، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٥، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٩، ٥٤٧، ٥٥١، ٥٥٢، ١٦٨، ٣٥١، ٢٥١، ٥٥٠.

(١٠) الموشح: ص، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥١١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٨٨، ١٠١، ١٢٢، ١٢٣، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٣٦٣، ٣٦٤، ١٩١، ١٩٠، ١٩٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤١٠، ٤١١، ٦٢، ٤١٢، ٣٦٢.

(١١ الموشح، ص: ١١٥، ٥٣، ٨٣، ٩٩، ١٥٢، ١٦٦، ١٨٧، ٢٥٠، ٣٣٣، ٣٥٥، ١٣٢، ١٣١، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣.

(١٢) منهم: (محمد بن أحمد الكاتب، محمد بن عبد الله البصري، علي بن سليمان الأخفش، محمد بن القاسم الأنباري، أحمد بن سليمان الطوسي، علي بن يحيى المنجم، ابن المعتز، أحمد بن عبد الله بن عمار، أحمد بن أبي طاهر، أحمد بن عبد العزيز الجوهري، عبد الله بن يحيى العسكري....).

أما شوقي ضيف فقد حدد ما انبنى عليه الكتاب قائلاً: «وقد مضوا يعدون عليهم سقطاتهم بالمعنى الصحيح، إذ هي في كثرتها إما ضرورات رآها الشعراء العباسيون في الشعر القديم فقاسوا عليها، وإما لغات شاذة رأوها أيضاً في هذا الشعر وظنوا أن من حقهم مجاراتها، وإما اشتقاق وأبنية استحدثوها على ضوء المقاييس اللغوية التي تلقوها. واقرأ في كل ما نثره المرزباني في (الموشح) من هذه السقطات فستراه قلما يعد وهذه الوجوه الثلاثة[١].

وقد ذهب منير سلطان في نظرة شوقي ضيف، بأنها «من أشمل النظرات إلى الموشح»[٢].

ونحن نرى مبالغة ومحاباة في تأييد سلطان لشوقي، وبحثنا الذي قدمنا يقيم الدليل على أن شوقي لم يكن موفقاً في حكمه.

أما رؤية زغلول فتقوم على أن المرزباني: «كان جامعاً أكثر منه مبتكراً فلم يبين رأيه في الكتاب ولم تظهر شخصيته واكتفى بالرواية عن العلماء السابقين أو النقل عن الكتب التي تعرضت للموضوع وبين الحين والحين نرى رأياً له هنا أو هناك كالرأي الذي أوردناه بالنسبة لسرقات أبي تمام واعتمد المرزباني على بعض كتب النقد التي عرضنا لها من قبل مثل كتب البديع لابن المعتز وعيار الشعر لابن طباطبا ونقد الشعر لقدامة بن جعفر»[٣].

ونحن نوافق سلطان على أن النص الذي نسبه زغلول للمرزباني ليس له وإنما نقله المرزباني من رسالة أنشأها ابن المعتز وصرح المرزباني بذلك[٤]. ولكننا

---

(١) ضيف (شوقي): العصر العباسي الأول، ص ١١٨، ط(٣)، دار المعارف.

(٢) سلطان (منير)، الموشح والمرزباني، ص ٤٣٥، ط(١) تاريخ ١٩٧٨، الهيئة المصرية العامة للكتب.

(٣) سلام (محمد زغلول)، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص ٣٠٧، نشأة المعارف بالإسكندرية، تاريخ ١٩٨٢.

(٤) المرزباني، الموشح، ص ٤٧٠.

لا نوافقه في الرد على زغلول «وأخشى أن أقول إن الدكتور زغلولاً قد ظلم المرزباني والموشح وأنه لم يعط لهما من العناية ما كانا جديرين بهما[١]». ونعتقد أن حجة سلطان ليست علمية في الرد. هذا من جهة ومن جهة ثانية فلم يكمل رؤية زغلول عندما قال:

و قد أطال الوقوف عند جماعة من المحدثين ممن ثار الجدل حول شعرهم، كأبي نواس وأبي تمام والبحتري وتعرض من شعرهم لما أخذه عليهم جماعة من النقاد ممن أشرنا إلى بعضهم كالمبرد، وابن المعتز، وابن طباطبا. كما نراه يغلب آراء اللغويين، وأصحاب الاتجاه التقليدي ممن يفضلون القديم، وجملة ما ينقله عن هؤلاء مما يعيبون به شعر المحدثين الضعف والسوقية كما في شعر أبي العتاهية، وإن كان لا يخلو من طبع، كما أخذت عليهم بعض الأخطاء العروضية واللغوية»[٢].

ونحن نقول: لم يأت زغلول بجديد عندما وصف المرزباني بأنه كان جامعاً أكثر منه مبتكراً فالمرزباني يصرح في مقدمة كتابه (الموشح): «وأودعت هذا الكتاب ما سهل وجوده وأمكن جمعه»[٣]. ولكن هذا لا ينفي أن للمرزباني رؤًى نقدية رافقت مظاهر النقد العربي، والمدقق فيها يرى مكانة المرزباني النقدية. وأما بشأن تغليب آراء اللغويين وأصحاب الاتجاه التقليدي، فلم نجد المرزباني قد غلب رأياً على رأي سوى أنه علق على معيار التفاوت في شعر أبي تمام، عندما قال: «وهذه حجة ضعيفة جداً»[٤]. وذلك أثناء تعليقه على رواية أخبره بها محمد

(١) سلطان (منير)، ص ٤٢١. الهيئة المصرية العامة للكتب ط(١)، تاريخ ١٩٧٨.

(٢) سلام، (محمد زغلول)، تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، ص ٣٠٥ منشأة دار المعارف بالإسكندرية تاريخ ١٩٨٢.

(٣) المرزباني، الموشح، المقدمة.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٩٣.

بن يحيى والمسندة إلى مثقال [الشاعر]، قال: دخلت على أبي تمام وقد عمل شعراً لم أسمع أحسن منه، وفي الأبيات بيت واحد ليس كسائرها، فعلم أني قد وقفت على البيت. فقلت: لو أسقطت هذا البيت، فضحك، وقال لي: أتراك أعلم بهذا مني، إنما مثل هذا مثل رجل له بنون جماعة كلهم أديب جميل متقدم، ومنهم واحد قبيح متخلف، فهو يعرف أمره، ويرى مكانه، ولا يشتهي أن يموت، ولهذه العلة ما وقع مثل هذا في أشعار الناس. وفي رواية ثانية حدثه بهذا علي بن هارون ومسندة إلى مثقال الشاعر، قال: «قلت لأبي تمام تقول الشعر الجيد، ثم تقول البيت الرديء! فقال: مثل هذا مثل رجل له عشرة بنين منهم واحد أعمى، فلا يحب أن يموت»(١).

وقبل أن نغادر ميدان أبي تمام فقد قدّم منير سلطان رؤية نقدية، قال فيها: «ويسير المرزباني في موكب القدماء المناهضين لأبي تمام - فأبو تمام في ترتيب الشعراء المحدثين يحتل في الموشح المرتبة التاسعة عشرة وبعد من؟ بعد بكر النطاح والفضل الرقاشي ومحمد بن وهيب الحميري وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وبعد مروان بن أبي الجنوب...»(٢).

ونحن نرى أن الترتيب لم يدل على فضل أحدهم على غيره، وخاصة أن الكتاب مبني على العيوب هذا من جهة ومن جهة ثانية، فالبحتري احتل رقم عشرين في الترتيب، والمرزباني يقدمه على شعراء عصره ففي ترجمته لعلي بن العباس الرومي، قال: «أشعر أهل زمانه بعد البحتري»(٣).

وهو بذلك يقدم البحتري على شعراء زمانه ويحتل في المرتبة رقم العشرين.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٤٩٢ و ٤٩٣.

(٢) سلطان (منير) المرزباني والموشح، ص ٣٨٢. الهيئة المصرية العامة للكتاب ط (١) تاريخ ١٩٨٧.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ١٤٥.

أما زكي مبارك فإنه لا يكتفي بأن ينقل نصوصاً من الموشح، ويسندها إلى المرزباني، وهي لغيره، بل يعتقد أن المرزباني تحامل على أبي تمام: «ولا يخلو المرزباني على فضله من تحامل: فقد رأيته يغض من قيمة مختارات أبي تمام، إذ يقول:

(وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها. ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء، وإنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره، وجعل بعضه عدة يرجع إليها في وقت حاجته).

ويعقب زكي مبارك قائلاً: «ففي هذه الفقرة تجن شديد على أبي تمام. وإزراء بإحسانه في تأليف مختاراته. وما أحسب الخاطر الذي مر ببال المرزباني مر ببال ناقد شريف القصد.... ولا أدري كيف يصح هذا من المرزباني إلا أن أرجح أنه كان من خصوم أبي تمام»[1].

والنص الذي بنى مبارك رأيه عليه ليس للمرزباني، وإنما منقول من رسالة ابن المعتز، ونراه قد تسرع في حكمه لأنه لم يدقق في نسبة النص.

ولم يتوقف مبارك في كيل الاتهامات اللاذعة، وإنما حاول أن يضفي على المرزباني صفة الحقد، حيث قال: «وتظهر في كلامه ثنايا الحقد على المشاهير وإن اجتهد في إخفاء ذلك وحاول أن يصبغ كلامه بصبغة البحث الصرف فقد حدثنا أن أهاجي البحتري للخلفاء والملوك أشبه بهجاء سفلة الناس ورعاعهم... ويقول المرزباني في التعقيب على هذه المثالب: ولم أذكر حاله في ذلك على طريق التحامل مع اعتقادي فضله وتقديمه ولكني أحببت أن أبين أمره لمن لعلّه انستر عنه وحسبنا الله ونعم الوكيل - ويرى مبارك في قول المرزباني ظاهراً وباطناً: وظاهر هذه الكلمة نزيه ولكنها تمثل شهوة حقد طالما التبس أمرها على الناقدين،

(١) مبارك (زكي) النثر الفني في القرن الرابع الهجري، جزء (٢)، ص ١٥١ و ١٥٢، دار الجيل بيروت - تاريخ ١٩٧٥.

على أن المرزباني مشكور على أي حال فمن أمثال هذه الهفوات تنكشف جوانب من النفس الإنسانية. والناقد مسؤول عن كشف ما يتعذر كشفه على الجمهور من أخلاق الشعراء والكتاب والباحثين، ولو أن رجلاً من رجال الأخلاق يعلل هفوات البحتري بمثل ما عللنا لرأى المرزبانيُّ أنه ليس مما يشفي النفس أن يبين أمر البحتري لمن لعله انستر عنه! وما الذي كان يقع لو ظلت صغائر البحتري مستورة وظفر بلسان صدق في الآخرين»[1].

ويحاول منير سلطان أن يدافع عن المرزباني: «وأقول ليس المرزباني بمعصوم ألا يحقد على أحد، ولكن تمنيت أن يكشف الدكتور زكي عن سر حقد المرزباني على البحتري»[2].

ونحن نستغرب إلى درجة الاندهاش تمني الدكتور سلطان أن يكشف زكي مبارك عن سر حقد المرزباني، والسر واضح، تمثل في نقد المرزباني للبحتري، ويظهر أنها رؤية لا تتلاءم وإعجاب مبارك بالبحتري الشاعر المشهور في عصره.

وعلى أية حال، أميل إلى رفض كلمة الحقد التي أطلقها مبارك، فالمرزباني يصرح بفضل البحتري وتقديمه، وينفي التحامل قبل أن يتهمه به أحد هذا من جهة، ومن جهة ثانية خص غرض الهجاء عند البحتري، ومثّل لذلك بقصيدة أظهر فيها عيوبه، ولم يتناول جوانب أخرى تسترعي من مبارك أن يرى في كلام المرزباني حقداً على المشاهير. أضف إلى ذلك كله أن المرزباني يدين بمعيار الصدق الواقعي في النقد.

---

(١) مبارك (زكي) النثر الفني في القرن الرابع الهجري، جزء (٢)، ص ١٥٧ و ١٥٨، دار الجيل بيروت - تاريخ ١٩٧٥.

(٢) سلطان (منير)، المرزباني، الموشح، ص ٤١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط (١) - تاريخ ١٩٧٨.

أما في معجم الشعراء، فقال زكي مبارك مشككاً ضمناً بقدرة المرزباني على تأليف هذا الكتاب الضخم: «ومن المدهش أنه ألف كتاباً في أخبار الشعراء سماه (المعجم) تحدث فيه عن نحو خمسة آلاف شاعر وأثبت فيه أبياتاً لكل من تحدث عنهم من الشعراء. فمن الذي يعرف اليوم هذا المقدار من أسماء الشعراء مع أننا اجتزنا من تاريخ الأدب نحو خمسة عشر قرناً وكان المرزباني لم يجتز منه غير خمسة قرون!»[1].

ونحن نرى غرابة في اندهاش زكي مبارك، فالمعجم نص عليه القدماء، والمرزباني صاحب ثقافة موسوعية دللت عليها كثرة مؤلفاته، ولا نود أن نتحدث كثيراً عنه وعن أقرانه من علمائنا القدماء أولي العزم والقوة فيما قدموه إلينا من تراث، والذي يهمنا قوله: إن المرزباني قضى عمره في العلم، واتكأ على مجموعة من المصادر ساعدته على إنشاء هذا المعجم الذي افتقدنا قسماً منه، وأما قول مبارك: وأثبت فيه أبياتاً لكل من تحدث عنهم من الشعراء، فهو كلام ينقصه الدقة، وأعتقد أنه لم يقرأ المعجم كله لأن المرزباني ذكر ستين شاعراً دون أن يستشهد لهم بأشعار.

أما مصطفى الشكعة فقد أفرد فصلين من كتابه مناهج التأليف عند العلماء العرب، تحدث فيهما عن المرزباني، ترجم في أحدهما حياة المرزباني وعدد مؤلفاته[2]، وفي الآخر تحدث عن منهج المرزباني في معجم الشعراء وقد أخذ حرف العين مثالاً فذكر عددهم ووجه بعض الملاحظات المنهجية، وعدّها عيوباً نوافقه على بعضها ونخالفه في بعضها الآخر. فمما قاله: «ما ذكر من الشعراء

---

(١) مبارك (زكي)، النثر الفني في القرن الرابع الهجري جزء (٢)، ص ١٤٩، دار الجيل بيروت - عام ١٩٧٢.

(٢) الشكعة (مصطفى) مناهج التأليف عند العلماء العرب، من ص ٢٦٩ إلى ٢٧٥. دار العلم للملايين بيروت ط (٥)، تا ١٩٨٩.

بحرف العين مائة وثلاثة وسبعين عمراً، واثني عشر شاعراً يحملون اسم عمير، وشاعرين تحت اسم عويمر وثمانية عشر تحت اسم عدي، وسبعة عشر شاعراً يحملون اسم عثمان، وسبعة شعراء تحت اسم العباس، واثنين تحت اسم عتبه، وثلاثة تحت اسم، عتاب، - وهكذا يمضي ليسرد كل الأسماء التي تبدأ بحرف العين -... ومن ثم فإنه يصعب على القارئ الوصول إلى موضع شاعر ذي كنية أو صفة ما لم يكن يعرف اسمه الأصيل كما هو الحال في القطامي والفرزدق وهذا يشكل بطبيعة الحال عيباً من عيوب الكتاب[1].

ونحن نقول: إن الخطة التي التزمها المرزباني متناسبة مع العنوان (معجم الشعراء) هذا من جهة، ومن جهة ثانية فليس كل الشعراء، قد اشتهروا بالكنية أو الصفة وبخاصة أنه يترجم لعدد كبير.

وقال الشكعة: «ولم يلتزم بذكر اسم الشاعر وبعض خبره حسبما فعل مع «عمارة بن عطية» فإن كل الذي قاله عنه: «لقيه الأصمعي وأخذ عنه» وحسبما فعل مع «علي بن عبد الكريم المدائني» فلم يزد على أن قال في خبره: «يتشيع ويكثر من مدح آل البيت عليهم السلام» بل إن المرزباني لم يأت في التعريف بعدى بن وداع الأزدى بأكثر من صفة «الأعمى». إن مثل هذه الحالات يمكن أن تشكل نقداً لمنهج المرزباني في طريقة تأليفه الكتاب، إذ ما الذي يمكن أن يستفيده طالب معرفة عن شاعر كل ما قدم عنه المؤلف من تعريف أنه كان أعمى، أو أنه كان يتشيع لآل البيت ويكثر من مدحهم دون أن يأتي ببيت واحد من شعر الشعراء»[2].

ونحن نقول: إن المعجم الذي بين أيدينا، هو جزء من المعجم المفقود، وقد ترجم المرزباني لألف ومئة ونيف من الشعراء، والعدد الذي خلت ترجماتهم من

---

(١) الشكعة (مصطفى)، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص: ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٤٩.

الشواهد الشعرية يقدر بستين شاعراً، وهو عدد ضئيل بالقياس إلى الكم المذكور. هذا من جهة - ومن جهة ثانية، فهو يرى أن بعض الشعراء لا يستحقون أن يروي لهم أشعاراً، ففي ترجمته لمحمد بن إدريس بن سليمان بن يحيى بن أبي حنيفة، قال: «أنشدني له علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي قصيدة طويلة مدح فيها المتوكل لم أجد فيها بيتاً واحداً مما يليق أن يدون»[١]

وقال الشكعة: «ويعمد المؤلف من ناحية أخرى إلى الإطالة نسبياً بشعراء آخرين، ربما لإعجابه الشخصي بشعرهم حسبما فعل مع ابن الرومي أو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم أو علي بن الجهم»[٢].

ونحن نذهب مع الشكعة في حب المرزباني لآل المنجم فكلما ذكر واحداً من آل المنجم ووصفهم بأنهم أهل علم وفضل ولكننا نضيف سبباً آخر وهو الشهرة، وإلا فلماذا يطيل في ترجمة الفرزدق[٣] ومسلم بن الوليد[٤] والنابغة الجعدي[٥] وقيس بن الخطيم[٦].

أما رجاء عيد فقد نوه إلى الموازنات التي وردت في الموشح، حيث قال: «ويميل صاحب «الموشح» في تناوله لقضية الموازنة إلى النظر فيما يخص صورة شعرية عند هذا الشاعر أو ذاك، والتركيز على تحليل ما امتازت به تلك الصورة عن أخراها من غير تعصب لهذا أو ذاك»[٧].

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٣٨٦.

(٢) الشكعة (مصطفى)، مناهج التأليف عند العلماء العرب، ص ٤٤٩.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٧٧، ٢٧٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٩٥.

(٦) المصدر نفسه، ص ١٩٦.

(٧) عيد (رجاء)، التراث النقدي، ص ٢٤٧، منشأة المعارف بالإسكندرية، تاريخ ١٩٨٣.

ثم يقول «ويعتمد المرزباني على موازنات أخرى تكتفي بالرأي المتسرع والحكم المتعجل خاصة أن أصحاب تلك الموازنات لا يمثلون الجانب النقدي بقدر ما يمثلون الجانب اللغوي أو السفلي حيث يستشهد - أيضاً - برأي أبي عمرو بن العلاء من غير أن يعلق - ككثير من أمره - يقول: «قال أبو عمرو بن العلاء: ما يصلح زهير أن يكون أجيراً للنابغة»، (وكاعتماده على رأي «المبرد» في قوله: «وكان أبو العباس بن المبرد يفضل الفرزدق على جرير»[(١)].

ويتابع قوله: «وينقل المرزباني صورة من تلك الموازنات التي كانت تدور في منزل سكينة بنت الحسين وجميعها تمثل وجهة نظر في بيت أو عدة أبيات، وإن كانت لا تخلو في صورتها العامة سواء صحت أم لم تصح من اهتمام مبكر بنقد الشعر في صورة مبسطة»[(٢)].

ونحن نقول: إن رجاء عيد تحدث عن الموازنات بشكلها العام، ولم يستنبط المعايير النقدية، وبحثنا الذي قدمنا - النقد الانطباعي والنقد التعليلي - يقيم الدليل على ذلك.

أما الدكتور بدوي طبانه فقد صنف «معجم الشعراء» بين طائفة المؤلفات التي نهجت في النقد منهجاً تاريخياً، «وهي تلك الكتب التي عمد مؤلفوها إلى إحصاء الشعراء أو مشهوريهم، فذكروا شيئاً من تاريخ حياتهم، وأشاروا إلى العوامل المؤثرة في نتاجهم، وعرضوا للمأثور من هذا النتاج»[(٣)].

والمعجم في رأينا لم يقتصر على ما ذكره طبانه، وإنما كنا نجد فيه بعض اللمحات النقدية التي قدمها المرزباني.

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٤٨.

(٢) عيد (رجاء)، التراث النقدي، ص ٢٤٩. ص ١٤٨.

(٣) طبانة (بدرى)، دراسات في نقد الأدب العربي ص ١٣٨. مكتبة الإنجلو المصرية تاريخ ١٩٧٥ ط: السابعة.

ويعد طبانة الموشح من الكتب التي عمدت إلى إحصاء المآخذ التي أخذها العلماء والنقاد على الشعراء[1]. وهو ما صرح به المرزباني في مقدمة كتابه.

ومصطفى حسين يعد المرزباني أحد اثنين تفوقوا على سائر الرواة في القرن الرابع الهجري. «فإن هناك راويين يقفان بين سائر الرواة في هذا القرن بأوفى نصيب من الجهد لجمع أخبار الشعراء:

أولهما: أبو الفرج الأصفهاني، بكتابه الأغاني وسواه، وأما الثاني: فهو المرزباني الذي يحظى وحده بقريب من سبعة كتب، كلها في أخبار الشعراء»[2].

ونحن نرى أن الدكتور مصطفى حسين كان موفقاً في حكمه على المرزباني كرواية شهد له القدماء بسعة معرفته بالروايات وبصدق لهجته، ويتضح ذلك في الموشح عندما كان يكرر الرواية الواحدة أكثر من مرة أحياناً لأنه أخذها من مصادر متعددة وإن كانت لا تضيف في كثير من الأحيان رؤية نقدية، ولكنه الصدق الذي وصفه القدماء به. فابن النديم قال عنه: «آخر من رأينا من الإخباريين والمصنفين، راوية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات، كثير السماع»[3]. ونجد له وصفاً آخر على لسان القفطي: «كامل زكي، راوية مكثر»[4].

ونحن نذهب مع الدكتور أمجد الطرابلسي فيما وصفه من معجم الشعراء: «حاول المرزباني أن يستقصي ذكر الشعراء قاطبة، مشهورهم ومغمورهم، مكثرهم ومقلهم، حتى ضمنه ما لا يقل عن خمسة آلاف اسم كما يذكر ابن النديم. ولكن الذي يؤسف له أن هذا المعجم القيم لم يصل إلينا بتمامه، إذ لم يعثر

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٣٨ و ١٣٩.

(٢) حسين (مصطفى) رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع، ص ١٦٩، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٨.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص (١٩٦).

(٤) القفطي، انباه الرواة، ص ٣/ ١٨٢.

الباحثون إلا على قسمه الأخير الذي يتضمن أسماء الشعراء من حرف العين - مادة: عمرو - حتى آخر الحروف الهجائية، ولو أن هذا الكتاب وصل إلينا بتمامه لكان أوفى سجل نرجع إليه للبحث عن أسماء شعراء العربية من أقدم العصور حتى نهاية القرن الهجري الثالث»[١].

وبعد أن عرضنا كلام النقاد المحدثين، نظهر صورة المرزباني الناقد كما رأيناه فنبرز الجوانب النقدية التي اهتم بها.



(١) الطرابلسي (أمجد)، نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب، ص ١٩٠ و ١٩١، مكتبة دار الفتح بدمشق، الطبعة الخامسة، تاريخ ١٩٧١م.


الهيئة العامة
السورية للكتاب

الفصل الثامن

منزلة المرزباني النقدية

لقد قدمنا أن المرزباني يقف موقفاً إيجابياً من النقد الانطباعي[1]، ونرى أن إسهاماته في مجال هذا النقد تقدمه ناقداً انطباعياً، ونحن لا ننتحل المسوّغات لفكرتنا، وإننا نجد الأدلة لتأييدها.

فالمرزباني قدم يحيى بن أبي منصور المنجم على أنه أشعر أهل زمانه[2]. وهو بذلك يعبر عن محبته لآل المنجم، فقد صرح في ترجمته (ليحيى) عن التقدير الذي يكنه لأسرته، وقال: «وهو من شجرة الأدب الناضرة وأنجمه الزاهرة، فاضل الآباء والأجداد، منتخب الأهل والأولاد لا نعلم أنه اتصل في بيت من بيوت الأدب من التمسك بالدين والمناضلة عنه، والافتنان في الأدب والمثابرة عليها، ما اتصل فيهم قديمهم ومحدثهم»[3].

وقد مال مع أهل الحجاز، وقدم كثيراً من شعراء الحجاز، فقد قال: «وكان شاعر أهل الحجاز في الإسلام لا يقدمون عليه أحداً[4]. وهو بذلك يواكب فكرة

---

(١) البحث، ص ٧٨.

(٢) البحث، ص ٥٢. ومعجم الشعراء، ص ٤٩٣.

(٣) معجم الشعراء، ص ٤٩٤.

(٤) البحث، ص ٥٣، ومعجم الشعراء، ص ٢٤٢.

ابن سلام، عندما قال: «وكان كثير شاعر أهل الحجاز، وإنهم ليقدمونه على بعض من قدمنا عليه»[١].

وهو يقدم القاسم بن يوسف بن القاسم بن صبيح على أخيه أحمد - هذا من جهة - ومن جهة ثانية يقدمه على الناس جميعاً في رثاء البهائم، فقال: «وهو أشعر من أخيه أحمد وأكثر شعراً، وهو أرثى الناس للبهائم»[٢].

ويتبنى رأياً في غرض المديح، فقد أطلق على قول أبي الطمحان القيني عبارة. ويقال: هو أمدح بيت قيل في الجاهلية[٣].

وفي تفاوت شعر الشاعر، رفض حجة[٤] أبي تمام وعدها حجة ضعيفة، عندما دافع عن نفسه أمام نقد مثقال الشاعر، إذ قال له: تقول البيت الجيد ثم تقول البيت الرديء[٥]. وهو يقدم بيتاً لعبد الله بن رواحة بن ثعلبة على أنه أحسن[٦] ما مدح النبي r، ويستثني هذا البيت من دون أشعار عبد الله في مديح الرسول r.

وهو يلح على فكرة تقديم الفرزدق على جرير. فالمرزباني - رفض تقديم النوار لجرير على الفرزدق عندما قدمت جريراً على الفرزدق في غرض الغزل وساوت بينهما في غرض الهجاء[٧]. ويشارك مروان بن أبي حفصة تقديمه للفرزدق على جرير في فن النقائض. ويورد نصاً يقدم به الفرزدق

---

(١) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص ٥٣٤ و ٥٤٠.

(٢) البحث ص ٥٤ ومعجم الشعراء ٢١٦.

(٣) البحث، ص ٦١. ومن الضائع من معجم الشعراء، ص ٤٩ و ٨٢.

(٤) قال أبو تمام: مثل هذا مثل رجل له عشرة بنين منهم واحد أعمى فلا يحب أن يموت.

(٥) البحث، ص ٧٧. والموشح، ص ٤٩٣.

(٦) البحث، ص ٦٢. ومن الضائع من معجم الشعراء، ص ٩١.

(٧) البحث، ص ٥٩. والموشح، ص ١٦٩.

على جرير، فقد قال: «وأكثر أهل العلم يفضلونه على جرير، وقد فضله جرير على نفسه»[١].

ويبدو أن المرزباني ممن يقدمون الفرزدق على جرير ويشارك في ذلك أهل العلم نظرتهم. فيونس بن حبيب والمفضل الرواية كانا يقدمان الفرزدق تقدمة شديدة بغير إفراط[٢]، بينما نجد بشاراً العقيلي يقدم جريراً، وكذلك الشعراء وأهل البادية بشعر جرير أعجب[٣].

ولم يقتصر المرزباني في إسهاماته على النقد الانطباعي، وإنما تعدى ذلك ليساهم في النقد التعليلي، فقوله - نقلاً عن قدامة - في الموازنة بين الأعشى في قول مدحي وكثير في مديح عبد الملك تعليلي قام على المفاضلة بين المعاني المبالغة، وقدم الأعشى على كثير[٤].

وقد وازن في غرض الفخر بين قول لحسان وآخر لرجل من كلب، وقدم الآخر على قول حسان لأنه حقق الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج[٥].

أما في غرض الهجاء فقد وازن بين البحتري وابن الرومي، وقدم ابن الرومي في هذا الغرض خاصَّة رغم تقديمه للبحتري عامّة، وهو يحكم معيار الصدق الخلقي في تقييم هجاء البحتري[٦].

ونجد له نصاً آخر يقدم فيه ابن الرومي على البحتري والشعراء عامة في غرض الهجاء. فقد قال في ابن الرومي، أشعر أهل زمانه بعد البحتري وأكثرهم

---

(١) المرزباني، معجم الشعراء، ص ٤٦٧.
(٢) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص ٢٩٩.
(٣) ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، السفر الثاني، ص ٣٧٥.
(٤) البحث، ص ٨٢. والموشح، ص ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢.
(٥) البحث، ص ٨٤. والموشح، ص ٨٤.
(٦) البحث، ص ٨٥. والموشح، ص ٥١٤ و ٥١٥.

شعراً وأحسنهم أوصافاً وأبلغهم هجاء وأوسعهم افتناناً في سائر أجناس الشعر وضروبه وقوافيه، ويركب من ذلك ما هو صعب متناوله على غيره ويلزم نفسه ولا يلزمه، ويخلط كلامه بألفاظ منطقية يحمل لها المعاني ثم يفصلها بأحسن وصف وأعذب لفظ. وهو في الهجاء مقدم لا يلحقه فيه أحد»[١].

ونحن نلاحظ أن التقديم في هذا النص قام على صفات مميزة قدمه من خلالها. فابن الرومي يجيد الهجاء، وهو يبدع في سائر أجناس الشعر، ويقوم شعره على الإجمال ثم التفصيل. ولديه مقدرة على الوصف والإتيان بالألفاظ العذبة، وهو شاعر مكثر. وبسبب ذلك قدمه على شعراء عصره بعد البحتري، وقدمه في غرض الهجاء عليهم جميعاً.

وهو يرى ما يراه أهل العلم بالشعر في تفضيل قول عنترة فيما أخبر به عن شكيه فرسه إليه على قول ابن هرمة عندما جعل كلبه يكلم ضيفه ثم جرده من الكلام لوقوعه في تناقض مستحيل[٢].

ويطلق المرزباني مصطلحات نقدية على مجموعة من الشعراء: (فحل[٣]، مفلق)[٤]. وقد وجدناه أحياناً لا يورد سبب اكتساب الشاعر هذه الصفة. وهو ما يبدو أن المصطلح كان متعارفاً عليه في زمنه.

أما في مجال النقد التاريخي، فنحن نرى أن المرزباني يعد صاحب اتجاه تأليفي في حركة النقد العربي، يشهد له كثرة مؤلفاته وتنوعها[٥].

---

(١) معجم الشعراء، ص ١٤٥.

(٢) البحث، ص ٩٦. والموشح، ص ٣٤٩. ونقد الشعر، ص ١٩٩ و ٢٠٠.

(٣) البحث، ص١١٥. ومعجم الشعراء، ص٧٣، ١٩٦، ١٦، ٢٣، ٢٥٥.

(٤) لبحث، ص١١٦. ومعجم الشعراء، ص١٩٥، ٢٧٧، ٤٦٠، ١٢٥، ٢١١، ٢٣٣، ٣١٧. ومن الضائع من معجم الشعراء، ص١٠٢.

(٥) البحث، ص٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١.

لقد شهد القدماء للمرزباني بصدقه وكثرة رواياته وسعة معرفته، فالقفطي قال عنه: «كامل زكي، ورواية مكثر»[1]، وابن النديم وصفه بأنه «آخر من رأينا من الإخباريين المصنفين، رواية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع»[2].

وهو وإن كان اعتمد على الرواية المسندة على نحوٍ أساسي في كتابيه: الموشح، ونور القبس فإنه أفاد من بعض الكتب ككتابي (نقد الشعر، وعيار الشعر) التي اعتمد عليها، أو ما وجده بخط الآخرين، أما في معجم الشعراء فإننا نجده في أكثر ترجماته يعتمد على ثقافته سوى بعض الدواوين والكتب التي اتكأ عليها.

ونجد عنده ظاهرة تتسم بالقلة، وهي إنشاد بعض الشعراء والنقاد أمامه شعراً لأنفسهم، أو لغيرهم، فمن الذين أنشدوه لأنفسهم: محمد بن أبي الأزهر[3]، ومحمد بن يحيى الصولي[4]. وممن أنشده لغيره: علي بن هارون[5]، وأبو بكر أحمد بن كامل القاضي[6]، وابن دريد[7] وعلي بن عبد الرحمن

---

(١) القفطي، إنباه الرواة، جزء /٣/، ص١٨٠، ١٨١.

(٢) ابن النديم، ص١٩٠.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص٤٣٩. قال المرزباني: «أحد الأدباء الشعراء، كان يستملي العباس المبرد وأنشدني لنفسه...».

(٤) المرزباني، معجم الشعراء، ص٤٣١. بعد أن ترجم له المرزباني وأورد له نموذجاً شعرياً، قال: «وأنشدني لنفسه...» والموشح، ص٥٥٠.

(٥) المرزباني، معجم الشعراء، ص٣٨٦. قال المرزباني: - في ترجمته لمحمد بن إدريس بن يحيى بن أبي حفصة - «أنشدني له علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي». والموشح، ص٥١٠. أنشده علي بن هارون بيتاً للبحتري.

(٦) المرزباني، معجم الشعراء، ص٤٢٤. ففي ترجمته لمحمد بن جعفر النحوي، قال: «أنشدنا عنه أبو بكر أحمد بن كامل القاضي».

(٧) المرزباني، الموشح، ص٥٥٠ و٥٥١.

الكاتب[١]. ومحمد بن أحمد الحكيمي[٢]، وأحمد بن سليمان الطوسي[٣]، وأحمد ابن محمد بن زياد[٤].

مما يشهد بأنه كان موضع ثقة في رواياته وأحكامه النقدية - هذا من جهة - ومن جهة ثانية، لم يتوقف في رواية الشعر عند الشعراء القدماء والإسلاميين وإنما تعدى ذلك إلى المحدثين والمعاصرين له.

ولا بدّ من القول: إنّ المعجم الذي ألفه المرزباني يشهد له ببصر واسع بأخبار الشعراء وأشعارهم وأنسابهم وبلدانهم. وإن دلّ على شيء فإنما يدلّ على معرفة المرزباني الواسعة والجهود المضنية التي قدمها للمحافظة على التراث العربي.

ومما نراه في الموشح شدة العناية بسلسلة السند، وهو تقليد هام لتوثيق الآثار الأدبية، وهو لم يكتف بذلك وإنما حرص على عرض جميع الروايات التي تخص حدثاً نقدياً مما يظهر بجلاء إخلاصه للحقيقة التي يقدمها للقارئ.

ومما يدل على صدقه توقفه أحياناً عن القَطْع بنسبة الأثر الشعري مبدياً شكّه ونعتقد أنه يفتقد الدليل الذي يعينه على الإدلاء برأيه القاطع. وتراه أحياناً يقف وقفات عديدة يثبت فيها نصاً شعرياً لصاحبه.

وسبب الخلاف في نسبة الأثر الشعري هي نفسها أسباب الانتحال التي عرج عليها المرزباني في كتبه وأضاف أشياء جديدة على ما قدّمه ابن سلام الذي أعد ملامح نظرية في قضية الانتحال[٥].

---

(١) المرزباني، الموشح، ص٥٥١.
(٢) المرزباني، الموشح، ص٥٥٠. ومعجم الشعراء، ص١٥٢.
(٣) المصدر نفسه، ص٩٨.
(٤) المصدر نفسه، ص٥٥١.
(٥) ابن سلام يرجع بواعث الانتحال إلى سببين: انتحال بعض الرواة للشعر وإدخاله في أشعار غيرهم، وحرص بعض القبائل العربية بحكم العصبية إلى انتحال بعض الأشعار لتظهر أنفسها أنها صاحبة أمجاد أمام القبائل الأخرى. طبقات فحول الشعراء، السفر الأول، ص٢٤.

ومن الأسباب التي أضافها المرزباني: السبب الاقتصادي - وذلك - عندما روى قصة شراء مروان بن أبي حفصة قصيدة من رجل من باهلة كان امتدح بها مروان بن محمد، وحورها وجعلها مديحاً لمعن[١]. وقوة الشاعر وشهرته سبب آخر، فقد أورد المرزباني روايات متعددة حول نحل الفرزدق لأشعار غيره. «إنما فعل الفرزدق بجميل وذي الرمة وغيرهما هذا - نَحَلَهُمْ أشعارهم - لأنه كلما مرّ به شعر جيد رأى نفسه أحق به من قائله لفضله عليه في الشعر، ولأنه من جنس جيده لا ردئ قائله»[٢]. وسبب ثالث هو اجتماع مجموعة من الشعراء حول شاعر معروف فيقول هذا بيتاً وهذا بيتاً حتى يتموا قصيدة في الهجاء فينحلها الشاعر ويهجو بها شاعراً آخر كما يفعل الأخطل بجرير[٣]. وسبب رابع متعلق بالإبداع وذلك أن الشاعر قد يقول بيتاً شعرياً ويرتج عليه القول فيطلب من غيره أن يجيز ما قاله، كما فعل العباس بن الأحنف عندما طلب من الذلفاء جارية ابن طرخان أن تجيز بيتاً قاله، فأجازته وضمّه إلى بيته[٤].

أما موضوع السرقات الشعرية فقد أدرجها المرزباني في ثنايا كتبه، وقد تناول شعراء مختلفين (جاهليين وإسلاميين ومحدثين) وأبان عن سرقاتهم، واستعمل مصطلحات نقدية (الانتحال، النحل، النقل، الاحتذاء، الأخذ، النسخ، الإغارة، المسخ، والاجتلاب)، وهي وإن كان لها مدلولات خاصة - كما قدمنا - فهي تعني السرقات الشعرية بالمفهوم العام.

والمرزباني يقدم رؤية نقدية في حسن السرقة وقبحها لا تختلف عن النقاد الآخرين كابن المعتز وأبي هلال العسكري والصولي[٥]. فقد وازن بين محمود بن

---

(١) البحث، ص١٣٠. والموشح، ص٣٩٣.
(٢) البحث، ص١٢٩. والموشح، ص٣٠٨ و٣١٠.
(٣) البحث، ص١٣٠. والموشح، ص٢٢٤ و٢٢٥.
(٤) البحث، ص١٣١و١٣٢. والموشح، ص٤٤٨.
(٥) البحث، من ص ١٢٩ إلى ص ١٤٢.

الوراق وعلي بن الجهم في قول اشتركا به، وأخذاه جميعاً من قول عدي بن زيد[١]، وهو يرى أن محموداً أساء لأنه إنْ كان أخذ المعنى من علي فقد جاء به في بيتين هذا من جهة ومن جهة ثانية استعمل الأسلوب القصصي في التعبير عن المعنى المراد، أما علي وإن كان أخذ المعنى منه فقد جاء به في بيت واحد وأحسن في التعبير، فصار أحق بالمعنى.

ومما قدمه المرزباني في مجال النقد التاريخي دفاعه عن الفرزدق، ودحضه لهجوم الأصمعي على الفرزدق عندما اتهمه بأن تسعة أعشار شعره سرقة[٢]، ونحن نرى أن دفاع المرزباني ينم عن روح علمية صادقة دحض من خلالها رائحة التعصب القبلي التي برزت في مقولة الأصمعي.

وعلى ما يبدو أن المرزباني يرفض كل نقد صدر عن صاحبه بدافع العصبية، فهو كما رفض التعصب القبلي نراه يرفض التعصب الأيديولوجي، ولذا نراه يدافع عن كثيّر عزة ويدحض اتهام الزبير بن بكار له فيما بين عليه في سرقاته[٣]، والسبب في ذلك أن الزبير متحامل على كثيّر لأنه شيعي والزبير متعاطف مع عبد الله بن الزبير الذي انحرف عن آل البيت عليهم السلام.

وجهود المرزباني لم تقتصر في هذا المجال على ما قدمناه، فهنالك مؤلف مفقود أبان فيه عن منحول الشعر ومسروقه، وسماه المرزباني كتاب الشعر: «كتاب الشعر وهو جامع لفضائله وذكر محاسنه وأوزانه وعيوبه، وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه، وبيان منحوله ومسروقة وغير ذلك»[٤].

---

(١) البحث، ص١٣٩و١٤٠.

(٢) البحث، ص١٤٣و١٤٤.

(٣) البحث، ص١٤٤.

(٤) البحث، ص٢٢.

أما في معيار الاستخدام السليم (معيار آداب اللياقة) فنحن نرى أن المرزباني تبنى عيوباً نقلها عن ابن طباطبا ولم ينسبها إليه، وهذا يدل على تبنيه لهذه العيوب، فذكر ما قدمه ابن طباطبا فيما ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله... وأن يتجنب التشبيب من يوافق اسمها اسم بعض نساء الممدوح. ولنا ثلاث ملاحظات فيما قدمه المرزباني في مجال النقد المتصل بآداب اللياقة.

(الأولى) أنّه أورد روايات متعددة خرج فيها على ما أورده ابن طباطبا في عيار الشعر، فأورد عيوباً للنابغة الذبياني، والراعي والقطامي، وابن النجم العجلي وإسحاق بن إبراهيم الموصلي، وأبي تمام، وعلي بن الجهم.

(الثانية) ومما أورده المرزباني - ولم نورده من قبل - ونرى أنه يتبع معيار اللياقة قوله: «قال الشيخ أبو عبيد الله المرزباني رحمه الله تعالى: وقد تبع الشماخ في إساءته أبو دهبل الجمحي، فقال: - وأنشدناه أحمد بن سليمان الطوسي عن الزبير في بكار:

يـــا نـــاقُ ســـيرى واشرَقـــي بـــدَمٍ إذا جئـــت المغـــيرهْ
ســـيُثيبُني أخـــرى سِـــوا كِ وتلـــكَ لي مِنْـــه يَـــسِيرهْ[1]

إذاً العيب الذي وجهه المرزباني متصل بآداب اللياقة، وهو عدم رفق الشاعر بناقته، ومجازاتها بالدبح بعد أن توصله إلى ممدوحه، وأن الممدوح سيثيبه بناقة أخرة، والمعيار النقدي: خروج الشاعر عن قاعدة إسلامية تدعو إلى الرفق بالحيوان. فالرسول (ﷺ) قال: «للأنصارية المأسورة بمكة، وقد نجت على ناقة له، فقالت: يا رسول الله، إني نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها فقال رسول الله (ﷺ): لبئس ما جزيتها»[2].

---

(١) الموشح، ص٩٨.

(٢) الموشح، ص٩٢.

(الثالثة) بروز شخصية المرزباني التعليمية، فنراه يعلق على بعض الأخبار فيزيل إبهامها كتعليله كره عبد الملك بن مروان استماع شعر أبي إبراهيم بن متمم ابن نويره، لأن فيه معنى النكث بالوعد بعد إعطاء الأمان وكان عبد الملك قد قتل عمرو بن سعيد الأشدق بعد إعطائه الأمان(١).

وعلل سبب تقطيب زياد، وذلك لأنه سمع شعراً فيه ذكر اسم سمية وأم زياد اسمها سمية(٢). ومما قدمه في هذا المجال تفسيره للتعقيد الذي وصف به بيت الفرزدق:

وما مثله في الناس إلا مُمَلَّكاً   أبو أمّهُ حيٌّ أبوه يقاربه

حيث إنّ الفرزدق قدم وأخر، وقال المرزباني: «وإنما مدح بهذا الشعر خال هشام، فقال: ما في الناس حي يقارب خال هشام، إلاَّ هشام الذي أبو أمه أبوه، يعني أن جده هشام لأمه هو أبو هذا الممدوح. وقال: إنما زدنا في شرحه ليفهم»(٣).

أما معيار النقد التسلطي، فلقد أورد المرزباني روايات متعددة، ولنقاد متعددين، تخص ظاهرة اللحن التي نشأت وظهرت في أشعار الشعراء، وهو ما ولد الضرورات الشعرية التي نقلها المرزباني عن حديث العروضي له مباشرة، وبيّن ما هو جائز، وما هو غير جائز، وليس بالحسن، وما هو قبيح وشاذ لا يجوز ولا يقاس عليه.

أما في عيوب الشكل: (اللفظ)، فقد نقل المرزباني عيب حوشي الكلام عن قدامة بن جعفر، ولكنه لم يقتصر في هذا العيب عمّا نقله قدامة، وإنما أورد روايات متعددة ليتخذ منها شواهد يضيفها على ما نقله(٤).

---

(١) البحث، ص ١٤٩.

(٢) البحث، ص ١٥٠.

(٣) البحث، ص ١٦٣.

(٤) البحث، ص ١٧٢.

والروايات التي نقلها تدلنا على أنه يخالف منطق قدامة في مسألتين:

(الأولى): أنه أورد رواية لابن المعتز دلل من خلالها عن أن زهير بن أبي سلمى لم يسلم شعره من حوشي الكلام، وهذه المقولة تنفي ما قدمه قدامة على لسان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عندما وصف زهيراً بأنه كان لا يتتبع حوشي الكلام.

(الثانية): إن استشهاده بأشعار لزهير والعجاج ووصفه لهم بأنهم وقعوا في حوشي الكلام يخالف منطق قدامة الذي جوز هذا العيب للقدماء ليس من أجل أنه حسن، ولكن من أجل الحاجة للاستشهاد بأشعارهم في الغريب، ولأنه عادة وسجية عندهم، وليس تكلفاً.

وفي عيب المعاظلة، فلم ينقله عن قدامة، وإنما أورده على لسان قوم لم يذكر أسماءهم وهو في الوقت نفسه لم ينقل تعريف المعاظلة وكأنه تنبه إلى أنّ هذا العيب يخص الصورة الشعرية أكثر من كونه يخص عيباً من عيوب اللفظ[1].

أما في عيوب القافية واختلاف العرب فيها، فقد اتكأ على روايات متعددة ترجع إلى أبي عمرو الجرمي والخليل ومحمد بن سلام، والأخفش، وحديث أحمد ابن محمد العروضي له، وفي عيب الإقواء لم يكتف بهذه الروايات وإنما أورد روايات متعددة وفي أماكن متفرقة تدل على هذا العيب.

أما في عيوب العناصر الأربعة المركبة كما أسماها قدامة. فقد اتكأ في عيب ائتلاف المعنى والقافية على قدامة بن جعفر. وفي المقابل نراه في عيب ائتلاف اللفظ والوزن قد اعتمد على قدامة، سوى أنه في عيب التفصيل وهو عيب جزئي من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن قد نقل شاهداً عن قدامة، ثم سرد مجموعة من الأمثلة نقلها عن ابن طباطبا دون أن يشير إلى اسمه[2]، وكان يضيف إلى سلسلة

---

(١) البحث، ص ١٧٢.

(٢) البحث، ص١٩٠.

الشواهد التي نقلها عن ابن طباطبا عبارة (قدّم وأخّر) ولعلها مهمة تعليمية كان يقوم بها المرزباني.

أما في عيب ائتلاف المعنى والوزن (المقلوب) فإنه يضيف على ما نقله عن قدامة بن جعفر شاهداً للمجنون، حيث قال معلقاً على قول المجنون:

يَضُمُّ إليّ اللّيل أطفْال حبّكُم كما ضمَّ أزرَارَ الْقميص الْبنائقُ

«أراد كما ضم البنائق أزرار القميص»[1].

ونراه في عيب ائتلاف المعنى والقافية يتكئ على قدامة دون أن يضيف شواهد أخرى.

وإذا تركنا الشكل وانتقلنا إلى المضمون، فإننا نجد المرزباني قد شارك في هذا النوع من النقد فقد تبنى رأياً لابن طباطبا ينكر فيه على الكميت قوله المدعي في رسول الله (ﷺ)[2]. وكذلك يتبنى رأياً آخر لابن طباطبا عندما أنكر على النابغة الجعدي ذكره الشيب في شعره وأيد ارتياب تلك المرأة من الشيب لأنه لا يليق في الغزل[3].

ونرى المرزباني ينكر على أبي العتاهية قولاً في عتبة لرداءته لأنه لا يحقق الائتلاف بين المعنى والغرض (الغزل) هذا من جهة ومن جهة ثانية فقد استعمل ألفاظاً لا تليق بالشعر[4].

ونراه يتبع أستاذه الصولي في نقده قصيدة رثائية لأبي العتاهية، فالفضل بين الربيع فَقَدَ عرض الرثاء عند أبي العتاهية، عندما قال: «أبو العتاهية بأن يرثى في

---

(١) البحث، ص١٩٢.

(٢) البحث، ص١٩٥.

(٣) البحث، ص٢٠٤.

(٤) البحث، ص٢٠٣و٢٠٤.

حياته أولى من سعيد بعد موته. وذلك في قصيدة قالها أبو العتاهية في رثاء سعيد بن وهب. والصولي يقول: وله شبيه بذلك ويسرد بيتين رثائيين قالهما أبو العتاهية في موت محمد بن يزيد السلمي، والمرزباني يرى قول أبي العتاهية في مرثية عيسى بن جعفر أشبه بقوله في سعد بن وهب(١).

ومما يسجل للمرزباني في هذا المضمار نقده لقصيدة هجائية للبحتري برز فيها ناقداً انطباعياً عندما وصفها بأنها تجمع بين ضعف اللفظ وقبح المعنى، كما أظهر نقده للقصيدة عن إيمانه بمفهوم مقتضى الحال، وهو يشارك بشر بن المعتمر والجاحظ رؤيتهم في هذا المفهوم، فبشر يقول: «ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات»(٢). وهو يصرح كذلك «وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»(٣).

والجاحظ لم يكتف بكلام بشر بن المعتمر وإنما نقل عن صحيفة هندية ما يعني أن «لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السوقة»(٤).

ولم يتوقف نقد المرزباني عند ذلك وإنما نقد أسلوب القصيدة، فهي مهلهلة غير محكمة، وأظهر نفسه ناقداً يدين بمعيار الصدق الواقعي عندما صرح بأن القصيدة بعيدة عن الصواب.

---

(١) البحث، ص٢١٠.

(٢) البيان والتبيين، جزء/١/، ص١٣٨ و١٣٩.

(٣) البيان والتبيين، جزء/١/، ص١٣٦.

(٤) البيان والتبيين، جزء/١/، ص٩٢.

الخاتمة

لعلي بهذا الجهد المتواضع أكون قد وفقت فيما رمت إليه من إبراز مكانة المرزباني في حركة النقد العربي القديم، فقد استطعت، بادئ ذي بدء، أن أبرز الاتجاهات النقدية في مؤلفات المرزباني، وهي النقد الانطباعي والتعليلي والتاريخي، ومعيار الاستخدام السليم، والشكل والمضمون.

واتضح من خلالها أن المرزباني رواية مكثر صادق، أثبتنا إخلاصه للحقيقة في مروياته، وفي نسبة الأثر الشعري إلى صاحبه، وفيما أضافه على ابن سلام في قضية الانتحال، ومعارضته للأصمعي والزبير بن بكار في بعض آرائهم في السرقات الشعرية، وكذلك مشاركة الصولي وابن المعتز والعسكري رؤيتهم في حسن السرقة وقبحها.

وهو صاحب ثقافة نقدية أفادت من منبعين ثقافيين، عربي خالص، وعربي متأثر بالثقافة اليونانية.

والسؤال المطروح، هل وقف المرزباني عند حد الرواية كما فهمه القدماء والمعارضون، وقد أجبنا عن هذا السؤال في بحثنا دون الإشارة إليه.

فالمرزباني ناقد انطباعي شارك جماعات النقاد، من مثل: أبي عمرو بن العلاء وخلف الأحمر والأصمعي وحماد والصولي وغيرهم ممن ذكرناهم في بحثنا - النقد الانطباعي - من النقاد ممن أطلقوا أحكاماً ذاتية تلقائية على الشعراء تبدت في استعمال صيغة التفضيل أو التفضيل الضمني.

وهو ناقد تعليلي اشترك مع غيره من النقاد في الموازنات التعليلية، والتي أثبتنا أنها تستند إلى معايير نقدية: ملائمة المعنى (الموضوع) للغرض المعالج

ومخالفته له، والصدق الخلقي، النزعة الطبقية، صدق العاطفة، عيبا التناقض والتضمين، ائتلاف اللفظ والمعنى أو عدم ائتلافهما، والتقصير لفظاً ومعنى عند بعضهم والإجادة عند الآخر، أو في الإخفاق في التعبير عن صورة جزئية عند البعض، أو عدول بعضهم عن الفضائل النفسية الخاصية بمدح الرجال.

ورأينا أن المرزباني يحتكم إلى معيارين:

١ - معيار ائتلاف المعنى للغرض المعالج.

٢ - معيار الصدق الخلقي.

كما أثبتنا أنه تابع مسيرة الأصمعي وابن سلام في إطلاق مصطلحات نقدية تعليلية على الشعراء وأشعارهم، وبخاصة مصطلح الفحولة الشعرية.

أما في الاستخدام السليم فقد احتكم إلى قاعدة إسلامية تعد رافداً من روافد النقد العربي، وبرز في هذا المعيار شخصية المرزباني التعليمية، فقد أزال إبهام بعض الأخبار النقدية التي كانت تبدو صعبة الفهم على المتلقي لولا تفسيره لها، كما بدت شخصيته التعليمية في عيب التفضيل، عندما كان يضيف عبارة (قدم وأخر) على ما نقله عن ابن طباطبا.

كما شارك غيره من النقاد نقدهم للمضمون الشعري، والذي اتكأت على معايير نقدية: عدم ائتلاف المعنى مع الغرض، وعدم استيعاب أكثر هيئات الموصوف، ومخالفة الصدق الواقعي.

أما المرزباني فإنه احتكم إلى معياريين نقديين في هذا المجال:

١ - مفهوم مقتضى الحال وما يمكن وراءه من تصنيف طبقي، وهو بذلك يشارك الجاحظ وبشر بن المعتمر رؤيتهم في هذا المفهوم.

٢ - احتكامه إلى الأسلوب، وإيمانه بمقولات توحي بنقيض مدلولها في تقييم الشعر.

ورجحنا أنه ممن يميلون إلى الصدق الواقعي في قضيتي الصدق والكذب والسبب في حكمنا هو نقله عن ابن طباطبا وتجاهله لأقوال قدامة بن جعفر في هذه القضية.

أما في عيوب القافية والعيوب اللغوية، فقد اقتصر عمله على الرواية ولم يقدم لنا رؤى خاصة به.

(وبعد).

فهذه ثمرة نظرات ووقفات في منزلة المرزباني النقدية، وإني لأرجو أن يكون عملي هذا محاولة ناجحة في الوصول إلى نتائج صحيحة.

وما توفيقي إلاّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب.



المصادر والمراجع

١ - إنباه الرواة، تح: أبو الفضل إبراهيم / ط / دار الكتب المصرية.

٢ -أخبار أبي تمام. تح: خليل عساكر، ومحمد عزام، ونظير الإسلام الهندي ١٩٣٧.

٣- تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي، ط القاهرة ١٩٣٧.

٤- تاريخ النقد الأدبي عند العرب - د. إحسان عباس، دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت، ط/١/ ١٩٧١.

٥- تاريخ النقد الأدبي عند العرب - عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت ط،/٤/ ١٩٨٦.

٦- تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري - د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بالإسكندرية ١٩٨٢.

٧- التراث النقدي - د. رجاء عبيد=، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣.

٨- دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث -، مكتبة الأنجلوالمصرية، ط/٧/ ١٩٧٥.

٩- ديوان أبي تمام - الخطيب التبريزي. تح: محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.

١٠ - ديوان أوس بن حجر، تح: محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت.

١١ - ديوان جرير، محمد بن حبيب ونعمان محمد أمين، دار المعارف بمصر، ١٩٦٩.

١٢ - ديوان عبيد الأبرص. تح: د. حسين نصار مطبعة البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٧.

١٣ - ديوان علقمة الفحل - الأعلم الشنتمري، تح: لطفي الصقال ودرية الخطيب، مراجعة د. فخر الدين قباوة، دار الكتاب العربي بحلب، ط/١/ ١٩٦٩.

١٤ - ديوان لبيد بن ربيعة العامري. تح: د. إحسان النص، سلسلة التراث العربي نشر وزارة الإرشاد والأنباء - الكويت ١٩٦١.

١٥ - ديوان البحتري. تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر، ط/٣/ ١٩٧٧.

١٦ - ديوان العجاج. تح: د. عبد الحفيظ السلطي، مكتبة أطلس، دمشق ١٩٧١.

١٧ - ديوان الفرزدق. عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي بمصر، ط/٣/ ١٩٧٧.

١٨ - ديوان امرئ القيس. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/٣/ دار المعارف بمصر.
١٩ - ديوان مروان بن أبي حفصة. تح: د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر، ط/٣/ ١٩٨٢.
٢٠ - ديوان النابغة الذبياني. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر/ ط/٣/١٩٧٧.
٢١ - رواية الشعر العربي من بداية القرن الرابع الهجري حتى نهاية السابع الهجري، د. مصطفى حسين، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٧٨.
٢٢ - السبر الأدبي - د. أسعد أحمد علي. الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية في باريس ١٩٨٦.
٢٣ - سلسلة فنون الأدب العربي،د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر،ط/٣/.
٢٤ - شرح القصائد العشر - التبريزي. تح: فخر الدين قباوة، ط/٢/ دار الأصمعي بحلب، ١٩٧٣.
٢٥ - الشعراء نقاداً - د. عبد الجبار المطلبي. بغداد، ط/١/ ١٩٨٦.
٢٦ - شعر زهير بن أبي سلمى - صنعة الأعلم الشنتمري. تح: د. فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط/٣/ ١٩٨٠.
٢٧ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة. دار الثقافة، بيروت.
٢٨ - الصناعتين - أبو هلال العسكري. تح: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا - بيروت ١٩٨٦.
٢٩ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام الجمحي. تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، ١٩٨٠.
٣٠ - عيار الشعر - ابن طباطبا. تح: د. محمد زغلول سلام، منشأة المعارف بالإسكندرية ط/٣/.
٣١ - في الأدب الجاهلي - د. طه حسين. دار المعارف بمصر، ط/١٠/.
٣٢ - الإبداع والنقد د. أسعد علي. الاتحاد العالمي للمؤلفين باللغة العربية في باريس ١٩٩١.
٣٣ - الإمتاع والمؤانسة - التوحيدي. أحمد أمين، وأحمد الزين، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٥٣.
٣٤ - الأصمعيات. الأصمعي. تح: أحمد محمد شاكر عبد السلام هارون، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤م.
٣٥ - الأغاني - أبو الفرج الأصفهاني. ط الهيئة المصرية بإشراف محمد أبي الفضل إبراهيم ١٩٧٠.
٣٦ - الأوراق. الصولي. تح: ج هيوارث، مطبعة الصاوي بمصر، تاريخ ١٩٣٤.
٣٧ - البيان والتبيين - الجاحظ. تح: عبد السلام،، محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط،٤/ ١٩٧٥.

٣٨- لسان العرب - ابن منظور.
٣٩- المرزباني والموشح. د. منير سلطان. الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الإسكندرية ط/١/ ١٩٧٨.
٤٠- المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي. د. عز الدين إسماعيل، دار المعارف بمصر، ط/٢/ ١٩٨٠.
٤١- العصر العباسي الأول - د. شوقي ضيف. دار المعارف بمصر، ط/٣/.
٤٢- العمدة - ابن رشيق القيرواني. تح: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الجيل، بيروت ط/٤/ ١٩٧٢.
٤٣- الفهرست - ابن النديم. ط التجارية، القاهرة.
٤٤- القاموس المحيط الفيروز آبادي.
٤٥- المجازات النبوية - الشريف الرضي. تح: محمد محمود شاكر، ط/١/ ١٩٣٧.
٤٦- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم - ابن الجوزي. ط حيدر آباد ١٣٥٨ه-.
٤٧- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء - المرزباني. تح: محمد علي البجاوي، ط/٢/ دار النهضة مصر ١٩٦٥.
٤٨- الموازنة بين أبي تمام والبحتري - الآمدي. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٤٤.
٤٩- الموازنة بين الشعراء أبحاث في أصول النقد وأسرار البيان. د. محمد زكي مبارك. مطبعة الحلبي مصر، ط/٢/ ١٩٣٦م.
٥٠- الوافي في العروض والقوافي - الخطيب البغدادي. تح: عمر يحيى، ود. فخر الدين قباوة، دار الفكر ط/٢/ ١٩٧٥.
٥١- الوساطة بين المتنبي وخصومه - علي بن عبد العزيز الجرجاني. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٢.
٥٢- مشكلة السرقات في النقد العربي. د. محمد مصطفى هدارة. المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق ط/٣/ ١٩٨١.
٥٣- مصادر الشعر الجاهلي - د. ناصر الدين الأسد. دار المعارف القاهرة ط/٥/ ١٩٧٨.
٥٤- معجم الأدباء - ياقوت الحموي. دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان. ط الرفاعي.
٥٥- معجم الشعراء - المرزباني. تح: عبد الستار فراج، دار الحلبي بمصر، ومنشورات دار النوري.
٥٦- معجم البلدان - ياقوت الحموي. دار صادر بيروت ١٩٦٨.
٥٧- مناهج التأليف عند العلماء العرب د. مصطفى الشكعة دار العلم للملايين ط/٥/ ١٩٨٩.

٥٨ - من الضائع من معجم الشعراء د. إبراهيم السامرائي. مؤسسة الرسالة بيروت ط/١/ ١٩٨٤.
٥٩ - النثر الفني في القرن الرابع الهجري - د. زكي مبارك. دار الجيل، بيروت ط/٢/ ١٩٧٥.
٦٠ - نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب في اللغة والأدب د. أمجد طرابلسي. مكتبة دار الفتح بدمشق، ط/٥/ تاريخ ١٩٧١.
٦١ - نقاض جرير والفرزدق، طبعة ليدن ١٩٠٧.
٦٢ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر. تح: د. محمد منعم الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٦٣ - نور القبس المختصر من المقتبس - المرزباني. تح: رودلف زلهايم، بيروت ١٩٦٤.

مخطوطات

١ - أبو تمام، مبدع الإغراب لدى العرب، نظراته النقدية، وفنه الشعري، رسالة دكتوراه، د. فهد عكام، باريس.

مجلات

١ - مجلة فصول. بواكير المصطلحات النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء - د. رجاء عيد. مجلد /٦/ عدد /٢/ تاريخ ١٩٨٦.
٢ - مجلة الأبحاث، ملتقطات من القسم المفقود ومن معجم الشعراء. د. إحسان عباس. مركز الدراسات العربية. ودراسات الشرق الأوسط، بيروت، العدد /٣٣/ تاريخ ١٩٨٥.

n

الصفحة

الفصل الأول

الفصل الثاني

الفصل الثالث

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الصفحة


الهيئة العامة
السورية للكتاب



الطبعة الأولى / ٢٠١٣م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة





www.syrbook. gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف: ٢٣٢١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٣م

سعر النسخة ٢٠٠ ل.س أو ما يعادلها